المجتمع فى مصر الإسلامية

من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى

الجزء الثانى

بقلم

هويدا عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

الباب الثالث

التكوين الاجتماعى للمجتمع المصرى

الفصل الأول : تعريب المجتمع المصرى

الفصل الثانى : المرأة فى المجتمع المصرى

الفصل الثالث : العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى



To: www.al-mostafa.com

الفصل الأول

تعريب المجتمع المصرى

- هجرة القبائل العربية
- الفتح العربى وبداية نزوح القبائل العربية إلى مصر.
- مناطق سكنى القبائل العربية بعد الفتح العربى :
  - الفسطاط
  - الجيزة
  - الاسكندرية
- العوامل التى أدت إلى هجرة القبائل العربية.
- أسباب اختلاط القبائل العربية بالمصريين:
  - حركة الارتباع
  - رابطة الاسكندرية
  - الضيافة
  - مطالب الحياة اليومية

- الأعمال التى اشتغل بها العرب فى مصر
- ثورات العرب.
- اسماء القبائل العربية التى هاجرت إلى مصر حسب مناطق سكناها

- انتشار اللغة العربية:

.أسباب انتشار اللغة العربية:

- هجرة القبائل العربية.

- حركة التعريب.

انتشار الاسلام :

عوامل انتشار الاسلام:

- هجرة القبائل العربية.

- الرغبة فى التخلص من دفع الجزية.

- تحريم الخلفاء استخدام أهل الذمة فى الوظائف.

الفصل الأول

تعريب المجتمع المصرى

اصطبغ المجتمع المصرى بالصبغة العربية بثلاث طرق رئيسية:

الأولى : هجرة القبائل العربية.

الثانية : انتشار اللغة العربية.

الثالثة : انتشار الإسلام.

اولا: هجرة القبائل العربية:

كان من الطبيعى أن يشجع الفتح العربى لمصر، وتملك العرب زمام السلطة فيها ـ الكثير من القبائل العربية على الهجرة الى مصر. وليس معنى ذلك انه لم تكن ثمة هجرات عربية الى مصر قبل حملة عمرو بن العاص، وانما يذكر المؤرخون أخباراًعن هجرة بعض بطون خزاعة فى الجاهلية الى مصر والشام لأن بلادهم أجدبت كما كان يعيش فى الأسكندرية فى عام ٦١٠م كثير منْ العرب الى جانب غيرهم من الاغريق والقبط واليهود والسوريين.

ويرى «بندلى جوزى» أن الدافع لهجرة العرب الى مصر قبل الفتح العربى هو جفاف أرضهم المستمر وما يتبع ذلك من الضيق والفقر.

وقد كان غنى مصر معروفا للعرب قبل الاسلام عن طريق العلاقات التجارية بينهما، وقد ذكرت فى فصل سابق أن عمرو بن العاص ـ وهو الذى قاد الحملة لفتح مصر ـ كان تاجرا فى الجاهلية، وكان يأتى بتجارته الى مصر وهى الأدم والعطر، وهكذا كان التجار العرب على معرفة تامة بأحوال

مصر الاقتصادية المزدهرة، لذلك يقول ابن عبد الحكم عن عمرو بن العاص:«كان عمرو قد دخل مصرفى الجاهلية، وعرف طرقها، ورأى كثرة ما فيها».

وقد بدأ أول نزوح للقبائل العربية الى مصر مع حملة عمرو بن العاص. فتذكر المصادر العربية أن عمرو عندما فتح مصر كان معه أربعة آلاف أو ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل «كلهم من عك» وفى رواية أخرى أن ثلثهم من غافق، وأنه فى أثناء توجهه إلى مصر، وبالتحديد عندما وصل إلى جبل الحلال [1]، انضمت اليه قبيلة راشدة وقبائل من لخم.

كما تشير المصادر أيضا الى أسماء لقبائل أخرى اشتركت مع عمرو بن العاص فى الفتح، وخاصة فى فتح قصر بابليون وهم: بنو هَمْدان، وبنو الصدف، وبنو بَلِيّ، فقد قال عمرو بن العاص عنهم أثناء فتح قصر بابليون:

يوم لِهَمْدان ويوم للصَّدِف　　　والمَنْجَنيق فى بَلِيّ تختلف.

أما عن أماكن سكنى هذه القبائل، فتذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص عندما تم له فتح الاسكندرية نزل موضعَ فسطاطه، واتخذها عاصمة لمصر، وهنا انضمت القبائل العربية بعضها الى بعض، وتنافسوا فى المواضع، فولّى عمرو بن العاص على الخطط معاوية بن حديج التجيبى، وشريك بن سُمَىّ الغطيفى، وعمرو بن قحزم الخولانى، وحَيْويل بن ناشرة المعافرى، فقاموا بالفصل بين القبائل، وأنزلوهم فى الخطط، وكان ذلك فى عام ٢١هـ / ٦٤١م.

كما اختط العرب مدينة الجيزة على غرار خطط الفسطاط، وقد ذكرت المصادر العربية فى سبب بناء الجيزة أن عمرا بن العاص عندما رجع مَن الأسكندرية، ونزل الفسطاط، جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية. ولما استقر فى الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة

(١) جبل الحلال: بالفتح، وهو جبل فى طريق مصر من الشام، وكان من منازل بنى راشدة.

أن ينضموا إليه، فرفضوا أن يتركوا أماكنهم، فكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب اليه عمر: « كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك؟ لم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينهم وبينك بحر، لاتدرى مايفجؤهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ماتكره فاجمعهم اليك، فإن أبوا عليك، وأعجبهم موضعهم، فابن عليهم من فئ المسلمين حصنا». فجمعهم عمرو، وأخبرهم بكتاب عمرين الخطاب، فامتنعوا من الخروج من الجيزة، فأمر عمرو ببناء الحصن، فبنى فى عام ٢١هـ/ ٦٤١م، وفرغ من بنائه عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م، وأمرهم عمرو بالخطط بها.

أما الأسكندرية، فيذكر ابن عبد الحكم انه لم يكن بها خطط، وانما كانت أخائذ، من أخذ منزلا، نزل فيه هو وبنو أبيه.

وكانت سكنى القبائل فى الأسكندرية فى هذه الفترة المبكرة للفتح - مرتبطة برباطهم. وقدذكرت فى فصل سابق أن عمرا بن العاص اقطع من أصحابه لربط الأسكندرية ربع الناس، وربعا فى السواحل، والنصف كانوا مقيمين معه، وكان مدة رباطهم[٢] بالاسكندرية ستة أشهر فى الصيف، يعقبهم شاتية ستة أشهر وهكذا.

وعن طريق سكنى الأسكندرية يقول ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب : «إن المسلمين لما سكنوها فى رباطهم، ثم قفلوا [٣] ثم غزوا، إبتدروا[٤] فكان الرجل يأتى المنزل الذى كان فيه صاحبه قبل ذلك، فيبتدر، فيسكنه. فلما غزوا، قال عمرو: إنى أخاف أن تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها[٥] فلما كان عند الكريون [٦] قال لهم: سيروا على بركة الله، فمن ركز منكم رمحه فى

---

(٢) الرباط: المكان الذى يرابط فيه الجيش. والجمع ربط.

(٣) قفل : رجع.

(٤) إبتدر القوم أمرا: بادر بعضهم بعضا اليه، أيهم يسبق اليه .

(٥) تعاور واعتور القوم الشئ : تعاطوه وتداولوه.

(٦) الكريون: بكسر اوله، وسكون ثانيه، وفتح الياء المثناة من تحتها، وواو ساكنة، ثم نون.اسم لموضع قرب الاسكندرية والكريون بمركز كفر الدوار - مديرية البحيرة.

دارفهى له، ولبنى أبيه، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل منها، ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار، فكانت الدار تكون لقبيلتين، ثلاث، وكانوا يسكنونها. حتى اذا قفلوا سكنها الروم، وعليهم مَرمّتها (٧). فكان يزيد بن أبى حبيب يقول: لا يحل من كرائها شئ ولا بيعها، ولايورث، ولا يورث منها شئ، إنما كانت لهم يسكنونها فى رباطهم» .

وكان هذا هو أول استيطان للقبائل العربية فى مصر بعد الفتح العربى، ومنذ ذلك التاريخ بدأت القبائل العربية فى الوفود إلى مصر بشكل متزايد وثابت، بعد أن ظهرت إلى جانب العامل الاقتصادى عوامل أخرى سياسية واقتصادية منها:

أولا : تشجيع الخلفاء للقبائل العربية على الوفود إلى مصر لتعزيز الجند واستيطان البلاد.

ثانيا : أن أغلب الولاة الذين حكموا مصر فى فجر الاسلام كانوا يصحبون معهم جيوشا عربية حتى نهاية العهد الأموى. وقد سبق لنا ذكر أعداد الجيوش التى جاءت إلى مصر فى الفصل الخاص بالنظام الحربى .

ثالثا: النفى السياسى. فقد نفى معاوية بن أبى سفيان جماعة من الأزد إلى مصر. كانوا قد خرجوا على زياد بن أمية بالبصرة، فعاقبهم معاوية بتغريبهم عن أوطانهم، وكان ذلك فى عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م وأمير مصر فى ذلك الوقت مسلمة بن مخلد (٤٧- ٦٢هـ /٦٦٧- ٦٨١م) وكان عددهم حوالى ٢٣٠، فأنزلوا بالظاهر وهو أحد خطط مصر بالفسطاط.

---

(٧) مرمة البناء أو الأمر : أصلحه.

رابعا: تحقيق توازن قَبَلى. فقد كانت هجرة قيس إلى مصر لتحقيق توازن قبلى بين عنصرى سبأ وقيس أو قحطان وعدنان، فيرى الدكتور عبد المجيد عابدين أن تشجيع القيسية لا ستيطان مصر كان للحد من سيطرة العنصر السبئى الذى كان مايزال يمثل الغالبية من عرب مصر، فقد كان إحداث التكافؤ بين العنصرين فى الحوف الشرقى يخفف من الأخطار التى قد تنجم من تفرد أعقاب سبأ واستئثارهم بالنفوذ.

خامسا: نقل قبائل بَلِىّ التى تؤلف ثلث قضاعة فى بلاد الشام إلى مصر، وكان ذلك بأمر الخليفة عمر بن الخطاب. ولست أدرى سببا لهذا النقل، هل هو سبب سياسى للتخلص منهم لأنهم يكونون قوة فى بلاد الشام، أو سبب اجتماعى لتحقيق توازن قبلى فى مصر . ويرى محمد عزة دروزة أن ارسال هذه القبيلة إلى مصر كان بقصد الاستيطان.

سادسا: الهجرات الجماعية للقبائل العربية من أجل الانضمام لذويهم فى مصر، فيقول ابن عبد الحكم : « وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل، فلما مُدّت الأمْداد فى زمن عثمان بن عفان وما بعد ذلك، وكثر الناس، وَسَّع كل قوم لبنى أبيهم، حتىٰ كثر البنيان والتأم».

سابعا : ومن الأسباب أيضا رغبة الوالى فى تواجد عصبة له فى مصر. فتذكر المصادر العربية أن عبد العزيز بن مروان عندما ولى مصر من قبل أبيه الخليفة مروان بن الحكم (٦٥هـ/ ٦٨٤م) قال لأبيه: «ياأمير المؤمنين، كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى»؟

وقد كان المرافقون للوالى ينضمون إلى قبائلهم فى مصر، ويستمرون مقيمين بها، بعد انتهاء ولاية الوالى، وانصرافه عن مصر.

اختلاط القبائل العربية بالمصريين:

نلاحظ أن العرب الأوائل الذين استقروا فى مصر كانوا يقيمون فى الفسطاط أو الجيزة أو الأسكندرية، فيقول المقريزى:« فانظر أعزك الله - كيف كانت اقامة الصحابة؟ إنما هى بالفسطاط والأسكندرية، وإنه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى، وإن النصارى كانوا متمكنين من القرى، والمسلمون بها قليل، وإنهم لم ينتشروا بالنواحى إلا بعد عصر الصحابة والتابعين» .

لذا لم يختلط العرب بالمصريين فى البداية، ولم يكن لهم تأثير يذكر على القبط سواء أكان هذا التأثير من ناحية انتشار الدين الاسلامي أم اللغة العربية، كما أن اختلاط القبائل العربية بأهل مصر عن طريق التزاوج أو الولاء كان نادرا فى أول الأمر.

على أنه لم يلبث أن جدت الأسباب التى دفعت إلى الاختلاط بالمصريين، وتتمثل فى الآتى :

الارتباع - رابطة الاسكندرية - الضيافة - مطالب الحياة اليومية.

أولا - الارتباع:

ويقصد بالارتباع نزول القبائل العربية فى الريف فى شهور الربيع بقصد المرعى. وكان الارتباع يتم وفقا لمخطط مرسوم وضع له منذ اللحظة الأولى للفتح. وفى ذلك نشير إلى الخطبة التى ألقاها عمرو بن العاصْ على جنوده، بمناسبة بدء موسم الارتباع، وفيها يقول : « يامعشر الناس، إنه قد تدلّت الجوزاء، وذَكَت الشِعْرىَ، واقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقلّ الندى، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودَرَجَت السخائل. وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر، فَحَىَّ لكم، على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه

وخرافه وصيده، وأربِعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فانها جُنّتكُم[8] من عدوكم، وبها مغانمكم وأثقالكم. واستوصُوا بمن جاورتموه من القبط خيرا .... حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله (ص) يقول : إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فان لكم منهم صهرا وذمة. فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ماأتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه، واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علّة حَطَطتُّه من فريضته قَدْرَ ذلك. واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم، وتشوق قلوبهم اليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية. وحدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله (ص) يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض. فقال له أبو بكر : ولم يارسول الله؟ قال: لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة. فأحمدوا الله معشر الناس على ماأولاكم، فتمتعوا فى ريفكم ماطاب لكم، فاذا يبس العود، وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن، وَصوَّح الْبقْل[9]، وانقطع الورد من الشجر، فحى على فسطاطكم على بركة الله، ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله، إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته. أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم» .

ويظهر من هذه الخطبة النقاط الآتية:

اولا : أن موسم الارتباع كان يبدأ فى أخريات الشتاء وقد «تدلت الجوزاء، وذكت الشعرى»، ويستمر حوالى ثلاثة اشهر، ثم ينتهى فى أوائل الصيف.

---

(٨) الجُنّة: جمع جُنَن. بمعنى السترة.

(٩) صَوّحَ البقل : جففته.

ثانيا: أن من أهداف الارتباع الهامة كان إطعام الخيل وتقويتها، على اعتبار أنها تشكل جانبا أساسيا من قوة العرب العسكرية في ذلك الوقت.

ثالثا: وفيها يوصي عمرو جنده بأن يحسنوا معاملة القبط، سكان البلاد الأصليين، عندما يتصلون بهم في خلال الارتباع، ويؤكد وصيته هذه بأحاديث منسوبة إلى النبي«ص»، تحض على معاملة المصريين بالحسنى. ولما كان عمرو على علم بالوسائل التي يلجأ اليها الغزاة عادة في الاعتداء على أهالي البلادالمفتوحة، فانه يأمر جنده هنا أمرا صريحا بأن يكفوا أيديهم عن أموال المصريين وأبدانهم. وأن يعفوا فروجهم عن أعراضهم، وأن يغضوا أبصارهم عن نسائهم.

رابعا: وفيها ينبه جنده إلى دقة موقفهم في مصر نتيجة لموقع مصر الحساس من جهة، وثروتها الواسعة من جهة أخرى، وما يتطلبه ذلك من يقظة دائمة واستعداد كبير.

خامسا: كان الارتباع نوعا من العطلة والاستجمام والراحة من مشاق القتال، فينالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده، مع تجنب الترف في المأكل والملبس، فانه يفسد الدين ويقصر الهمم.

سادسا: ولما كان الجنود لا يصحبون نساءهم معهم في هذه الرحلة، فقد حرص عمرو على أن يذكرهم بأن يأخذوا بعض الهدايا معهم إلى أسرهم عند عودتهم.

وعن مناطق الارتباع يقول عبد الله خورشيد:

«وبالرغم من أنه كان يترك للقبيلة اختيار الجهة التي تفضل الارتباع بها في الدلتا أو الصعيد، فان الوالي كان يصدر أمرا كتابيا يحدد فيه القرية التي تذهب اليها (القبيلة)، وكميات اللبن التي يسمح لها بالحصول عليها من المصريين.

وبالنظر في الجهات التي كانت القبائل تختارها للارتباع نستطيع أن نلحظ في وضوح كاف أن هذه الحركة كانت تتركز في كور أو مناطق بعينها هي:

منف(١٠)، ووسيم (١١) لخصبهما، إلى جانب قربهما من الفسطاط، ومنوف(١٢) لخصبها كذلك.كما كانت تتركز فى الشمال الشرقى أى فى تلك الكور التى أصبحت فيما بعد تؤلف مايعرف باسم (الحوف الشرقى) وهى: عين شمس (١٣)، أَتْرِيب (١٤)، بَنا (١٥)، بَسْطَه (١٦) فريبط، طرابية، صان (١٧)،إِبْلِيل (١٨)، نتو، تمى.

---

(١٠) منف: بالفتح ثم السكون وفاء. اسم مدينة فرعون، وهى من المدن القديمة فى أول الصعيد على غربى النيل، وبينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ. واسمها القديم مافه اى مدينة الثلاثين، وبالرومية منفيس.

(١١) وسيم : بالفتح ثم الكسر وميم. كورة فى جنوبى مصر. قال البكرى: تخرج من الفسطاط وتصير إلى الجيزة، وهى فى الضفة الغربية من النيل، وبقرب الفسطاط على راس ميل منها قرية يقال لها وسيم. ذكرها محمد رمزى فى قاموسه باسم أوْسِيم، وقال إن اسمها العربى القديم كان وسيم . وكانت اوسيم قاعدة قسم اول جيزة، ويعرف بقسم أوسيم لوجود مقره بها، ثم نقل منها ديوان المركز والمصالح الاخرى إلى امبابة لوقوعها على السكة الحديدية فى سنة ١٨٨٤، على ان يبقى باسم مركز اوسيم، وفى سنة ١٨٩٦صدر قرار بتسميته مركز امبابة لوجوده بها.

(١٢) منوف : من قرى مصر القديمة . باسفل الأرض (الوجه البحرى) من بطن الريف، ويقال لكورتها المنوفية . ومنوف الآن قاعدة مركز منوف ـ مديرية المنوفية.

(١٣) عين شمس : كانت من أشهر المدن المصرية القديمة، موقعها فى الشمال الشرقى للقاهرة، بأراضى ناحية المطرية، من ضواحى القاهرة، وعلى بعد عشرة كيلومترات منها. واسمها المصرى القديم « اتوم » أو« رع » ومعناها الشمس . والعبرى « اون »، والرومى « هليوبوليس » أى مدينة الشمس . وقد اندثرت هذه المدينة، ومحلها اليوم يعرف بتل الحصن، وماجاوره بارض المطرية حيث توجد إحدى المسلتين اللتين اقامهما الملك سنوسريت الأول المعروف بسيزو ستريس الأول على باب معبد المدينة.

(١٤) أتريب: بالفتح ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وباء. وهى مدينة مصرية قديمة. وقد بدأ الخراب فى مساكن هذه المدينة من القرن السابع الهجرى، ثم اندثرت بعد ذلك. ويعرف محلها اليوم باسم تل اتريب بمركز بنها ـ مديرية القليوبية.

(١٥) بنا : هى من المدن المصرية القديمة ذكرها محمد رمزى فى قاموسه باسم بنا أبوصير بمركز سمنود ـ مديرية الغربية وتنسب إلى بوصير لأنها تجاورها.

(١٦) بسطة : بالفتح ويقال بسطة بالضم. كورة بأسفل الأرض بمصر . وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اطلالها الان باسم تل بسطة، وكانت مبانيها تشغل أرض حوض التل رقم ١٢ باراضى ناحية شويك بسطة بمركز الزقازيق بمديرية الشرقية. وهذا الحوض يقع فى الجنوب الشرقى لمدينة الزقازيق وعلى بعد كيلو متر واحد منها.

(١٧) صان: من كور اسفل الارض.وفى العهد العثمانى عرفت باسم صان الحجر بسبب مايوجد فى اطلالها القديمة من الأحجار الباقية من معبدها المصرى القديم . وفى سنة ١٩٣٢ قسمت أراضى صان الحجر هذه إلى ناحيتين تميزت هذه وهى الأصلية منهما بالقبلية بسبب موقعها بالنسبة للاخرى البحرية المستجدة. وصان الحجر بمركز فاقوس ـ مديرية الشرقية.

(١٨) إبليل: بالكسر ثم السكون ولام مكسورة وياء ساكنة ولام أخرى. قرية من قرى مصر بأسفل الأرض . وقد اندثرت هذه المدينة، ومكانها يعرف اليوم بتل بليم المحرفة عن ابليل، ويقال له أيضا تل البطيخ بجزيرة فى بحيرة المنزلة شرقى صان الحجر، على بعد ٣١ كيلو مترا، وغربى محطة الكاب الواقعة على السكة الحديدية الموصلة بين الاسماعيلية وبورسعيد بمسافة ١٤ كيلو مترا .

ويلحظ أن هذه الكور تتمتع بالخصب، إلى جانب متاخمتها من الشرق للصحراء، حيث كان يتهيأ للعرب الصيد، وتأديب خيولهم، وتدريبها، مع الاقامة فى جو قريب إلى جو البادية التى مايزال الحنين الشديد يجذب قلوبهم اليها. أما الاتجاه إلى الشمال فكان محدودا ولا يتجاوز بَنا، وبوصير والبَدقُون [١٩] وخِرْبِتَا [٢٠] وسَخا [٢١] . والقبائل التى كانت تذهب هناك قليلة.

وكذلك كان الاتجاه إلى الجنوب محدودا، ففى الفيوم كان يرتبع بعض القبائل، وأقصى ماوصلوا اليه هو أهْناس [٢٢] والبهنسا والقيس حيث كانت ترتبع قبيلة واحدة.

وهكذا كانت القبائل تقل كلما زاد الاتجاه نحو الشمال أوالجنوب، فى حين تتركز حول الفسطاط شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، بحيث يمكن القول بأن الارتباع كان يتم فيما يشبه دائرة مركزها الفسطاط . ولا بد أن القبائل كانت تختار أماكن ارتباعها وفقا لا عتبارات معينة، اذ نلحظ مثلا أن فى منف ووسيم القريبتين من العاصمة كانت ترتبع القبائل ذات النفوذ مثل: بلى وتجيب. ومثل ــ بالذات ــ آل عمرو بن العاص، وآل عبد الله بن سعد بن أبى سرح ــ أول أميرين لمصر .

---

(١٩) البدقون: وردت فى معجم البلدان باسم البندقون كورة بمصر وهى من كور الحوف الغربى. .

(٢٠) خريتا: هى من المدن القديمة. وردت فى معجم البلدان خريتا قرية وكورة من كور مصر بالقرب من الاسكندرية. خريتا بمركزكوم حمادة ـ مديرية البحيرة.

(٢١) سخا: كورة بمصر، وقصبتها سخا باسفل مصر وسخا بمركز كفر الشيخ ـ مديرية الغربية.

٢٢) اهناس: بالفتح ـ إسم لوضعين بمصر احدهما اسم كورة فى الصعيد الادنى يقال لقصبتها: اهناس المدينة، واضيفت نواحيها إلى كورة البهنسا، واهناس هذه قديمة ازلية وقد خرب اكثرها وهى على غربى النيل، ليست ببعيدة عن الفسطاط وقد ذكر محمد رمزى فى قاموسه ان اطلال هذه المدينة لا تزال ظاهرة بالقرب من مساكن القرية الحالية.

والموضع الثانى: اهناس الصغرى و هى قرية كبيرة فى كورة البهنسا ايضا. ويقول محمد رمزى : ولما كانت كلمة الصغرى تحط من شان هذه القرية غيرت بالخضرا تفاؤلا بلون زرعها.

وكانت العصبية القبلية موضع اعتبار بوجه عام، بحيث كانت القبائل المتقاربة تشترك فى مرتبعات واحدة مثل : بَلىّ ولَخْم، وجُذام، وغِفار، وأَسْلَم، وآل عمرو،وآل عبد الله بن سعد. وقد يكون للقبيلة أكثر من مرتبع مثل : بلى، وتُجِيب، ولخم، والمَعَافر. ويبدو أن ذلك يرجع إلى كبر حجم هذه القبائل وأمثالها.

وقد كان لحركة الارتباع هذه تأثير كبير فى اختلاط القبائل العربية بالمصريين، اذ هيأت للعرب فرصة التعرف على البيئة الجديدة وسكانها، فى نفس الوقت الذى هيأت فيه للمصريين أن يتعرفوا إلى هؤلاء الوافدين الجدد.

ومن هنا يمكن اعتبار الارتباع الخطوة الأولى، أو حجر الاساس فى عملية تعريب مصر. ولا أدل على ذلك من أن قبائل بعينها انتهى بها الأمر إلى اتخاذ مرتبعاتها منازل، والاقامة فيها بصفة دائمة بعد أن تركت الفسطاط نهائيا، مثل: مدلج ومن حالفهم من حِمْير وذُبْحان الذين استقروا فى خِرْبِتا. ومثل : خُشَيْن وطائفة من لخم وجذام نزلوا أكناف صان، وإبليل، وطرابية من الحوف الشرقى، حيث انتهى بهم الأمر إلى الذوبان التام فى سكان تلك المناطق الأصليين.

ولما كانت حركة الارتباع قد تركزت حول الفسطاط فى الجيزة ووسط الدلتا وشرقها، فكان من الطبيعى أن تكون هذه المناطق أسرع تعربيا من مناطق أخرى مثل: شمال الدلتا وغربها والصعيد.

وقد كان يسود القرية المصرية طوال فترة الارتباع، التى تمتد بامتداد وجود البرسيم فى الحقول . وقد تأخذ جزءا غير قصير من الصيف ـ جو غير عادى من النشاط والجلبة والبهجة، تتخلله المبادلات الاقتصادية الساذجة بين البدو وأهل القرى، وتمارس فيه العلاقات الاجتماعية الانسانية المألوفة من تزاور، وتهاد، ومجاملة. وقد يحدث أن يتزوج أحد العرب من

مـصـرية، فى حين لايحـدث العكس، « لأن العـربى يفـضل أن يأكل ابنتـه التمساح، ولا يأخذها الفلاح!».

ثانيا: رابطة الاسكندرية:

يقصد برابطة الاسكندرية القوات العربية المرابطة فى الأسكندرية. وتعتبر عاملا آخر من عوامل اختلاط العرب بالمصريين، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن هذه القوات لم تكن تتخذ معسكرا خاصا لها كالفسطاط، وانما كانت تقيم طوال فترة الرباط فى مساكن الأهلين العادية، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه.

وهكذا، اذا كانت حركة الارتباع لم تبلغ الأسكندرية، لبعدها من جهة، ولعدم صلاحيتها للمراعى من جهة أخرى - فلا شك فى أن مرابطة هذه الأعداد الهائلة من الجند العرب فيها منذ اللحظات الأولى، واقامتهم بين الأهالى كان له أثر هام فى تعريب تلك المدينة وغيرها من الثغور مثل: رشيد، واخناء، والبرلس،والأشْتُوم (٢٣)، ودمياط.

ثالثا: الضيافة:

أما العامل الثالث الذى أدى إلى اختلاط العرب بالمصريين، فهو الشرط الذى ورد فى نص الصلح الذى تم بين العرب والمصريين بعد الفتح من أن «للمسلمين عليهم النُزْل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين، أو أكثر من ذلك، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم».(٢٤)

---

(٢٣) الاشتوم : بالضم ثم السكون، وتاء مثناه مضمومة، والواو ساكنة، وميم موضع قرب تنيس .

(٢٤) وترى الدكتورة فاطمة مصطفى عامر ان شرط الضيافة كان فى الغالب على أهل القرى دون المدن . ويرجع ذلك ـ كما تقول ـ إلى ان الخليفة عمر رضى الله عنه، قد حرم على الجند المسلمين سكنى القرى حتى لا ينشغلوا بالزراعة، وامتلاك الاراضى وأمرهم بسكنى المدن حتى يكونوا دائما على أهبة الاستعداد للجهاد والفتح.

وهكذا كان للعرب أفرادا و جماعات الحق فى أن ينزلوا ضيوفا على المصريين لمدة أقصاها - نظريا - ثلاثة أيام، يتمتعون فى أثنائها بكل مايجب للضيف من حقوق الضيافة . ويقول عبد الله خورشيد: إن هذه المسألة يبدو أنها نظمت بحيث كانت القرية كلها تتحمل نفقات من ينزل عليها من الضيوف العرب . فعند تقدير الخراج المستحق على القرية كان يجتمع عرفاؤها ومازوتها ورؤساء أهلها ويتناظرون، فيخرجون من زمام القرية، الذى سيقدر الخراج على أساسه، عددا من الفدادين، يخصص ريعها للانفاق على المرافق العامة مثل : الكنائس والحمامات والمعديات و - وهو مايهمنا هنا - الضيافة للمسلمين ونزول السلطان .

ويرى عبد الله خورشيد أنه سواء كان العربى ينزل ضيفا على المصرى فى بيته الخاص أو فى المضيفة العامة، فلابد أن هذا الشكل من أشكال الاتصال - وهو الضيافة - كان له أثره فى تقارب العرب والمصريين.

رابعا: مطالب الحياة اليومية:

على هذا النحو، كان العرب يتحركون فى مصر، ويختلطون بالمصريين عند الارتباع، وفى الرباط، وعند الضيافة، ولا شك فى أن ذلك كان يتيح للجانبين فرصا هامة للاحتكاك والاختلاط. وكانت هناك فرص أخرى كثيرة تتعدد وتتجدد بتعدد وتجدد مطالب الحياة اليومية نفسها، فقد اعتمد العرب اعتمادا يكاد يكون كاملا على المصريين فى أمور بعينها، كأعمال الديوان، والطب، ومسح الأراضى، وأعمال الزراعة، وبناء البيوت، وبناء السفن، وصناعة الأقمشة وغيرها.

والسؤال الآن : ما هى الأعمال التى كان يقوم بها العرب فى مصر؟

للاجابة على هذا السؤال نلاحظ وجود فترتين متميزتين فى تاريخ مصر: الأولى، من الفتح حتى سقوط العرب من الديوان فى عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م . والفترة الثانية، ماتلى ذلك .

وفى الفترة الأولى نلاحظ أن عمر بن الخطاب قد حرم على العرب الاشتغال بالزراعة أو امتلاك الأراضى (وقد ذكرنا ذلك فى فصل سابق)، وبالتالى فلم يكن العرب يشتغلون فى مصر بغير السياسة والحكم والحرب .

على أن هناك حالة استثنائية لذلك هى قبيلة قيس، التى جاءت إلى مصر عام ١٠٩هـ /٧٢٧م بشرط ممارستها لمهنة الزراعة.

وعن سبب مجىء هذه القبيلة إلى مصر يقول الكندى : إنه فى ولاية الوليد بن رفاعة على مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م نقلت قيس إلى مصر، وذلك عندما تولى عبيد الله بن الحبحاب الخراج فى مصر من قبل هشام بن عبد الملك، فقد قال : « ما أرى لقيس فيها حظا إلا لناس من جَدِيلة وهم فهم وَعدْوان(٢٥) فكتب إلى هشام: إن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - قد شرف هذا الحى من قيس، ونعشهم ورفع من ذكرهم، وإنى قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظا إلا أبياتا من فهم، وفيها كور وليس فيها أحد ، وليس يضر بأهلها نزولهم معها، ولا يكسر ذلك خراجها، وهى بلبيس، فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل.

فكتب اليه هشام: أنت وذلك. فبعث إلى البادية، فقدم عليه مائة أهل بيت من بنى نصر، ومائة أهل بيت من بنى عامر، ومائة أهل بيت من أبناء هوازن، ومائة أهل بيت من بنى سليم . فأنزلهم بلبيس، وأمرهم بالزرع، ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها اليهم، فاشتروا إبلا، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم، وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل، ثم أمرهم باشتراء الخيول، فجعل الرجل يشترى المهر، فلا يمكث إلا شهرا حتى يركب، وليس عليهم مؤونة فى اعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم.

---

(٢٥) وقد سمى عدوان لانه قتل أخيه فهم. واسمه الحقيقى الحارث.

فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمّل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية، فكانوا على مثل ذلك . فأقاموا سنة، فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت. فمات هشام (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) وبلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس . حتى اذا كان فى زمن مروان بن محمد (١٢٧ـ١٣٢هـ/٧٤٤ـ ٧٤٩م) وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى مصر (١٢٨ ـ ١٣١هـ/ ٧٤٥ ـ ٧٤٨م)، مالت إليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت، ثم توالدوا، وقدم عليهم من البادية من قدم» .

وهكذا فان العرب فى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ـ ١٢٥هـ / ٧٢٣ـ ٧٤٢م)ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ أخذوا يتخلون عن السياسة التى اتبعوها منذ الفتح، وهى سياسة الترفع عن الاختلاط بالأهالى، وعن الاشتغال بالزراعة. وترى أيضا أنه ربما أراد الخليفة من نقل هذه البطون إلى مصر، والسماح لها بالاشتغال بالزراعة، أن يتقوى المسلمون بالعرب ضد الأقباط الذين بدأواثوراتهم، أو أن يحل العرب محل من يموت من الأقباط فى هذه الثورات، أو من يهجر أرضه، وذلك حتى لا يصيب الزراعة ضرر.

على كل حال، فلم يلبث أن جاء سقوط العرب من الديوان عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م، وقطع أعطياتهم زمن المعتصم (٢١٨ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ـ ٨٤١م)، فى ولاية كيدر بن نصر بن عبد الله على مصر (٢١٦ـ٢١٩هـ/ ٨٣١ـ ٨٣٤م). فلقد كان من نتيجة ذلك أن وجد العرب أنفسهم أمام ضرورة احتراف الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المهن التى كانت حتى ذلك الوقت وقفا على أهالى البلاد .

وبذلك فقد العرب مركزهم السامى فى الدولة الاسلامية، واضطروا إلى الانتشار فى الريف، والاختلاط بالمصريين والتزاوج من بناتهم، والاشتغال بهذه الأعمال التى ترفعوا من قبل عن الاشتغال بها. فيقول المقريزى :« وكان

من خير أراضى مصر، بعد نزول العرب بأريافها، واستيطانهم وأهاليهم فيها، واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا، وانقياد جمهور القبط إلى إظهار الاسلام، واختلاط انسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات ......».

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن العرب منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أصبحوا لايتميزون عن أهل البلاد، ودليلها على ذلك شواهد القبور. فقد احتفظ العرب بالانتساب لقبائلهم حوالى قرنين من الزمان، ففى معظم شواهد القبور التى اكتشفت حديثا فى مقابر أسوان والفسطاط، كان اسم الميت يتبع باسم قبيلته فى خلال القرنين الأولين للهجرة، ولكن فى خلال القرن الثالث الهجرى نجد أن اسم القبيلة قد حل محلها اسم الجهة أو الاقليم الذى ينتسب اليه المتوفى، فيكتب فلان الكوفى أو المصرى ...الخ.

ثورات العرب:

كان من أثر اشتغال العرب بالزراعة وامتلاك الأراضى، أن أخذوا يدفعون الخراج، وبالتالى أخذوا يتعرضون لنفس المظالم التى كان يتعرض لها الأقباط والمسالمة الذين يدفعون الخراج، من زيادة الخراج عليهم بدون وجه حق. لذلك فقد أخذوا يشاركونهم ثوراتهم .

ففى السنوات الأولى نلاحظ قيام الاقباط وحدهم بهذه الثورات، ثم بعد مرور فترة تبدأ المصادر العربية فى ذكر ثورات العرب مع الاقباط، مما يدل على نوع من الاندماج بين العرب والمصريين، وبالتالى تضامنهم ضد أى اعتداء يقع عليهم.

فتذكر المصادر العربية أن أول انتفاض للقبط فى مصر كان عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م فى ولاية الحر بن يوسف على مصر (١٠٥ـ ١٠٨هـ / ٧٢٣ـ٧٢٦م). وكان ذلك لأن عبد الله بن الحبحاب صاحب الخراج أرسل إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل قيراط دينارا .

ثم تبدأ المصادر العربية فى ذكر انتفاضات القبط المختلفة على طول السنين، ومنها : انتفاضة القبط عام ١٢١هـ / ٧٣٨م فى ولاية حنظلة بن صفوان الثانية (١١٩ـ١٢٤هـ/ ٧٣٧ـ ٧٤١م). ثم فى عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م فى سمنود. وفى عام ١٣٥هـ/ ٧٥٢م بسمنود أيضا فى ولاية أبى عون عبد الملك بن يزيد (١٣٣ ـ ١٣٦هـ / ٧٥٠ـ٧٥٣م). وفى عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م أيضا خرج القبط بناحية سخا أثناء ولاية يزيد بن حاتم على مصر من قبل المنصور (١٤٤ـ١٥٢هـ/ ٧٦١ـ٧٦٩م). وفى عام ١٥٦هـ/٧٧٢م وفى أثناء ولاية موسى بن على بن رباح على مصر (١٥٥ـ ١٦١هـ / ٧٧١ـ ٧٧٧م) خرج القبط ببلهيب.

ثم تبدأ المصادر فى ذكر انتفاضات العرب الذين كانوا يشتغلون بالزراعة من القيسية واليمانية، بسبب زيادة الخراج، وفى أحيان كثيرة تشير إلى ثورات قام بها العرب والأقباط معا.

وأول انتفاضات العرب كانت فى عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م فى ولاية موسى بن مصعب على مصر من قبل المهدى (١٦٧ـ١٦٨هـ / ٧٨٣ـ ٧٨٤م)، وكان ذلك بسبب تشدده فى استخراج الخراج، كما أنه زاد على كل فدان ضعف مايقبل به، فثارت قيس واليمانية وهم أهل الحوف.

وفى ولاية اسحاق بن سليمان من قبل الرشيد (١٧٧ ـ ١٧٨ هـ/ ٧٩٣ ـ ٧٩٤م) خرج عليه أهل الحوف، بسبب زيادة الخراج على المزارعين «زيادة أجحفت بهم» ـ على حد تعبير الكندى.

وفى ولاية الليث بن الفضل على مصر من قبل الرشيد (١٨٢ ـ ١٨٧ هـ/ ٧٩٨ ـ ٨٠٢م)، ثار أهل الحوف عام ١٨٦ هـ/ ٨٠٢م، وكان السبب فى ذلك أنه «بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم، فانتقصوا من القصبة أصابع، فتظلم الناس إلى الليث، فلم يسمع منهم. فعسكروا، وساروا إلى الفسطاط».

والغريب أن الليث بن الفضل سافر إلى هارون الرشيد فى عام ١٨٧ هـ/ ٨٠٢م، وطلب منه أن يبعث معه بالجيوش« لأنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف إلا بجيش يبعث به معه»!

وفى ولاية الحسين بن جميل من قبل الرشيد على مصر (١٩٠ ـ ١٩٢هـ/ ٨٠٥ ـ ٨٠٧م)، امتنع أهل الحوف من أداء الخراج، فأرسل إليهم الرشيد جيشاً لمحاربتهم بقيادة يحيى بن معاذ. ويذكر الكندى أنه فى ولاية مالك بن دلهم من قبل الرشيد (١٩٢ ـ ١٩٣هـ/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨م) ورد كتاب الرشيد على يحيى بن معاذ، يأمره بالخروج إليه، فكتب إلى أهل الأحواف أن «أقدموا حتى أوصيكم مالك بن دلهم، وأدخل فيما بينكم وبينه فى أمر خراجكم». فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية، وقد أعد لهم القيود، فأمر بالأبواب، فأخذت، ثم دعا بالحديد فقيدهم، وتوجه بهم إلى مقر الخلافة وذلك عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م.

كما قامت ثورات العرب من أهل الأحواف، خاصة أهل تنو وتنمى، فى ولاية حاتم بن هرثمة (١٩٤ ـ ١٩٥ هـ/ ٨٠٩ ـ ٨١٠م).

كذلك قامت ثورة فى ولاية العباس بن موسى عام (١٩٨ هـ/ ١٨٣م) على مصر من قبل المأمون. فقد أرسل ابنه عبد الله إلى مصر كخليفه له، وقد «تشدد على أهل مصر»، فثاروا عليه. وقد وقف العرب بجوارهم فيقول أبو المحاسن «ووافقهم جند مصر». فمنع عنهم أعطياتهم، واجتمع الجميع ـ كما يذكر أبو المحاسن ـ وثاروا، ووقفوا جملة واحدة، حتى أخرجوه من البلاد.

وفى ولاية عيسى بن يزيد الجلودى على مصر عام (٢١٢ ـ ٢١٤هـ/ ٨٢٧ ـ ٨٢٩م)، ثار أهل الحوف أيضاً، وذلك بسبب تعسف صالح بن شيرازاد، صاحب الخراج فى ذلك الوقت، الذى «ظلم الناس وزاد عليهم فى خراجهم»، مما أدى إلى إندلاع الثورة.

وفى ولاية عيسى بن يزيد الثانية عام (٢١٤ ـ ٢١٥هـ/ ٨٢٩ ـ ٨٣٠م)، قام أهل الحوف بالثورة، مما دفع المأمون إلى إرسال أخيه المعتصم (أبو اسحاق بن هارون) إلى مصر، وبالفعل خرج المعتصم من بغداد فى أربعة آلاف من الجنود الترك، فقاتل أهل الحوف من القيسية واليمانية وقتلهم ومهد البلاد.

وفى ولاية عيسى بن منصور عام (٢١٦هـ/ ٨٣١م) ثارت أسفل الأرض ـ كما تقول المصادر العربية ـ «عربها وقبطها»، وكان ذلك بسبب سوء سيرة العمال فيهم، وقد امتدت الحروب بينهم وبين عساكر الفسطاط، إلى أن قدم الخليفة عبد الله المأمون إلى مصر عام ٢١٧هـ/ ٨٣٢م لاخمادها، فقاتلهم وهزمهم، ثم رحل بعد تسعة وأربعين يوما.

ويذكر المقريزى أنه إذا كانت الثورات التى كان القبط يقومون بها قبل دخول المأمون مصر دليلاً على «ما هم عليه من القوة والكثرة». إلا أنه بعد مجىء المأمون مصر لم تقم لهم قائمة ـ كما يفهم من النص. وفيما يبدو أن ذلك صحيح، لأن المصادر العربية ـ فى حدود علمى ـ لم تعد تذكر شيئاً بعد ذلك عن ثورات القبط، وانما اقتصر كلامها على ذكر ثورات العرب وخلافات القبائل العربية مع بعضها مثل:

ثورة أهل الحوف فى ولاية موسى بن أبى العباس عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م، وثورة أهل الحوف أيضاً، وأهل الجيزة فى ولاية مزاحم بن خاقان فى عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م.

توزيعات القبائل العربية فى مصر

بعد أن أصبحت القبائل العربية جزءاً من نسيج مصر الإجتماعى، فقد يبدو من الضرورى هنا أن نقدم دراسة لهذه القبائل وتوزيعاتها فى مصر حسب المناطق التى نزلت فيها.

أولاً ـ القبائل التى سكنت الفسطاط:

وتنقسم إلى قحطانية وعدنانية، ثم تجمعات قبلية منهما.

أما القحطانية فقد توزعت على الخطط على النحو الآتى:ـ

(أ) خططُ القبائل القحطانية من الهميسع بن حمير:

١ ـ خطط حَضْرَمَوت: وهم بنو حَضْرَموت بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن حمير.

٢ ـ خطط الصَّدِف: وهم بنو مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير من قبائل اليمن. وهم من أولاد حضرموت. وقد سمى الصدِف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم.

٣ ـ خطة رُعَيْن: وهم بنو رعين بْن زيد بن سهل بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أَدَد.

٤ ـ خطة بنى الكُلاع: وهو الكلاع بن شَرَحْبيل بن سعد بن حِمْيَر.

٥ ـ خطة يَحْصُب: وهم بنو يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث بن حمير.

٦ ـ خطة سيبان: قبيلة من الهميسع، اختطوا بمصر، وكان لهم مسجد بإسمهم فى الفسطاط.

٧ ـ خطة بنو الرجبة: وهم بنو الرجبة بن زرعة بن كعب. قبيلة من الهميسع، اختطوا بالفسطاط.

٨ ـ خطة القبض: وهم بنو القبض بن مَرْثد. ويرى عبد الله خورشيد أن بنى القبض ربما كانوا بَطْنا من الرعين من الهميسع بن حمير.

(ب) خطط القبائل القحطانية من قضاعة بن مالك بن حمير:

× بنو مَهْرَة: وهم بنو مهرة بن حَيْدان بن عمرو بن إلْحَاف بن قُضاعة بن مالك بن حمير، من قبائل اليمن.

(جـ) خطط القبائل القحطانية من عريب من كهلان:

١ ـ بنو كِنْدة: قبيلة من عدى من مرة من عريب من كهلان. وكِنْدة: بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر. وسمى كِنْدة لأنه كند أباه أى كفر نعمته. وقد شهدت فتح مصر.

٢ ـ بنو تجيب: وهم بنو عَدِىّ وسعد ابنى الأشرَس بن شبيب بن السَّكَن بن الأشرس بن كنده. وتجيب اسم أمهما، وقد عرفت القبيلة بها.

٣ ـ خطط خَوْلاَن: بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ولام ألف ثم النون. وهم: بنو خَوْلاَن بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب.

٤ ـ خطط مَذْحج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة ثم جيم. وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن عبد الله.

٥ ـ بنو الأشْعريين: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة. وهم فرع من عريب من القحطانية. وهم بنو الأشعر بن أد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان. وقيل سمى الأشعر لأن أمه ولدته وهو أشعر. وقد شهدوا مصر، وكانت خطتهم مع المعافر.

٦ ـ بنو سعد: وهم بطن من جذام من عدى من مرة من عريب، وقد شهدت فتح مصر، واختطت بها.

٧ ـ خطة بنى وائل: وهم بطْن من جذام من عدى من مرة من عريب. وهو وائل بن زيد مناة بن أَفْصى بن إياس بن حَرَام بن جذام بن عدى.

٨ ـ خطة المعافر: وهم من قبائل مالك بن مرة من عريب. وهم بنو المعافر ابن يَعْفُر بن مُرَّة بن أدد.

٩ ـ بنو لَخْم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم فى الآخر. وهى ثلاث:

الأولى: بنو لخم بن عَدىّ بن مُرَّة بن أدَدَ ومن خالطهم من جذام.

الثانية: بنو عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن لخم.

الثالثة: بنو راشدة بن أذبّ بن جَزيلة بن لخم.

وقد ذكرت سابقاً أن بنى راشدة من القبائل التى انضمت إلى عمرو بن العاص عندما مر بجبل الحلال.

(د) خطط القبائل القحطانية من الأزْد من مالك من كهلان:

١ ـ خطط غافق: من قبائل الأزْد. وهم بنو غافق بن الحارث بن عَكّ بن عُدْثان بن عبد الله بن الأزْد.

٢ ـ بنو غنث: من قبائل الأزد.

٣ ـ بنو شبابة: من قبائل الأزد.

٤ ـ بنو خثيم: من قبائل الأزد.

٥ ـ بنو مازن: من قبائل الأزد.

× خطة سبأ: وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سبأ.

هذا بالنسبة للقبائل القحطانية، أما بالنسبة للقبائل العدنانية فقد توزعت على الخطط على النحو التالي:

(أ) خطط القبائل العدنانية من خندف من مضر:

١ ـ بنو فهر: بطن من كنانة من بنى مدركة من خندف، وهو فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة. وقد اختطوا بالفسطاط منذ الفتح العربي.

٢ ـ بنو جُمَح: من قريش بطن من كنانة من بنى مدركة من خندف، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص من قريش. وهم أبناء عم بنى سهم، وقد أمر عمرو بن العاص أن تكون خطتهم بالفسطاط بجوار داره.

٣ ـ بنو سهم: من قريش بطن من كنانة من بنى مدركة من خندف، وهم ولد عمرو بن العاص بن وائل. وكانوا بفسطاط مصر، وفِرَق منهم بالصعيد. وكانت دور بنى سهم حول جامع عمرو بن العاص من الفسطاط.

(ب) خطط القبائل العدنانية من ربيعة:

× عنزة: بطن من ربيعة، وهم بنو عنزة بن أسد ربيعة. ويقول عنها عبد الله خورشيد: إن عنزه يبدو أنها جاءت مع جيش الفتح، فابن عبد الحكم يذكر أن لها بمصر دوراً مجتمعة نحواً من عشر، وفى هذا ما يدل على كثرتها.

وبالنسبة للتجمعات القبلية من القبائل العدنانية والقحطانية، فقد توزعت على النحو الآتى:

١ - **أهل الراية:** وهم جماعة من قريش [٢٦]، والانصار [٢٧]، وخُزَاعة [٢٨] وأسلَم[٢٩]، وغفار[٣٠]، ومُزَيْنَة [٣١]وأشْجَع [٣٢]. وجُهَيْنَة [٣٣]،

---

(٢٦) قريش: من القبائل العدنانية، وهم ولد مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اياس بن مضر

(٢٧) الانصار: من القبائل القحطانية، وهم من قبائل الأوس والخزرج من قبائل الأزد من مالك من كهلان.

(٢٨) خُزَاعة: بضم الخاء وفتح الزاء المعجمتين والف ثم عين مهملة وهاء فى الآخر. من القبائل القحطانية، وهم قبيلة من الأزد من مالك من كهلان.

(٢٩) أسلَم: ولم تذكر المصادر العربية هل هم من بنى أسلم: بطن من خزاعة من القحطانية، وهم بنو أسلم ابن قصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء. أم هو بنو أسلم: بطن من بنى قمعة من العدنانية، وهم بنو اسلم بن عامر بن قمعة. أم هو بنو أسلُم بضم اللام: بطن من قضاعة من القحطانية وهم بنو أسلم بن الحارث بن قضاعة.

ويرجح عبد الله خورشيد أن بنى أسلم المذكورة هذه هى أسلم خزاعة القحطانية وهم من الأزد من مالك من كهلان.

(٣٠) غفار: من القبائل العدنانية، وهم بطن من كنانة من بنى مدركة من خندف من مضر. بطن من جاسم من العماليق. وهم: بنو غفار بن جاسم بن عمليق وكانت منازلهم بنجد.

(٣١) مُزَيْنَة: من القبائل العدنانية، وهم بطن من طابخة من خندف من مضر. وهم بنو عثمان وأوس ابنى عمرو بن أد بن طابخة. ومزينة أمهما عُرفوا بها.

(٣٢) أشْجَع: من القبائل العدنانية، وهم من بنو سعد فرع من قبيلة قيس من مضر، وهم: حيٌّ من غطفان، غلب عليهم إسم أبيهم فقيل لهم أشجع. وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان. وكانوا عرب المدينة النبوية.

(٣٣) جُهَيْنَة: بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياء المثناة التحتية وفتح النون وهاء فى الآخر. من القبائل القحطانية، وهم قبيلة من أسلم من قضاعة من مالك من حمير. وهم بنو جهينة بن يزيد بن ليث بن سود بن سلم بن الحافى من قضاعة.

وثَقِيف (٣٤)، ودَوْس (٣٥)، وعَبْس بن بغيض (٣٦)، وجُرَش بـن بنـى كنـانـة (٣٧)، وليـث بـن بكـر (٣٨).

لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان، فجعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبها إلى أحد، وقال: يكون وقوفكم تحتها. فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها، فعُرفوا بأهل الراية، وانفردوا بخطة وحدهم، وخطتهم من أعظم الخطط وأوسعها.

٢ ـ **بنو اللفيف:** وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الروم حين بلغ عمرا قدومهم الأسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد استكثرهم: إنكم لكما قال الله (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) فسموا اللفيف من يومئذ. وقد كانوا مجتمعين فى المنزل، متفرقين فى الديوان، اذا دُعى كل بطن منهم انضم إلى بنى أبيه. وكان عامتهم من الأَزْد (٣٩)، ومن الحجر (٤٠)،ومن

---

(٣٤) ثَقِيف: من القبائل العدنانية، بطن من هوازن من بنى خصفة من قيس من مضر، وقد اشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم: ثقيف. واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن .

(٣٥) دَوْس: لم تذكر المصادر العربية هل هم من بنى دَوْس: بطن من شنوءة، من الأزد من القحطانية وهم: بنو دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن خالد بن نصر وهو شنوءة. أم هم بنو دوس: بطن من بنى مهدى من جذام من القحطانية. وقد صنفهم عبد الله خورشيد من ضمن قبيلة الأزد من مالك القحطانية.

(٣٦) عَبْس بن بغيض: من القبائل العدنانية، من بنى سعد من قيس من مضر، وهم بطن من غطفان. وهم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان.

(٣٧) جُرَش: يقول عبد الله خورشيد: لا نعرف عن هذا البطن سوى ما ذكره ابن دقماق من انه من كنانة من أهل الراية (وهم من كنانة من بنى مدركة من خندف من مضر العدنانية).

(٣٨) ليث بن بكر: من القبائل العدنانية، وهم بطن من بكر من كنانة من بنى مدركة من خندف من مضر.

(٣٩) الأَزْد: بفتح الهمزة وسكون الزاى ودال مهملة فى الآخر. من القبائل القحطانية، وهم حى من كهلان من القحطانية وهم بنو الأزد بن الغوث بن بنت بن مالك زيد بن كهلان.

(٤٠) الحجر: من القبائل القحطانية (من الأزد من مالك من كهلان). بطن من لخم من القحطانية وهم بنو حجر بن جزيلة بن لخم.

غسان (٤١)، ومن شجاعة (٤٢). والتف بهم نفر جذام (٤٣)، ولخم (٤٤)، والوحاف(٤٥)، وتنوخ (٤٦) من قضاعة.

٣ ـ خطط الحمروات: وهى ثلاث، سميت بذلك لنزول الروم بها وهى:

الأولى: الحمراء الدنيا: وبها خطة بَلِىّ، وهم: بنو بلى بن عمرو بن إلحاف ابن قضاعة (من القبائل القحطانية) إلا ما كان منهم فى أهل الراية. وخطة ثراد من الأزد (٤٧). وخطة فهم. وهم: بنو فهم بن عمرو بن قيس بن عيْلان(٤٨). وخطة بنى بحر بن سَوَادة من الأزْد (٤٩).

الثانية: الحمراء الوسطى، وبها خطة بنى نبيه، وهم قوم من الروم حضروا الفتح. وخطة هذيل: وهم بنو هذيل بن مُدْرِكَة بن إلْيَاس بن مضر (من القبائل العدنانية). وخطة بنى سَلاَمَان من الأزْد (٥٠).

---

(٤١) غسان: من القبائل القحطانية، وهم حى من الأزد (من مالك من كهلان).

(٤٢) شجاعة. من القبائل القحطانية. ويقول عبد الله خورشيد. وقد يفهم من سياق كلام ابن دقماق انها من الأزد.

(٤٣) جذام: من القبائل القحطانية. من عدى من مرة من عريب من كهلان. وهم: بنو جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن أدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. ويقول الحمدانى: إن جذام أول من سكن مصر من العرب حين جاءوا فى الفتح مع عمرو بن العاص. وهم بنو زيد بن حرام بن جذام.

(٤٤) لَخْم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم فى الآخر. من القبائل القحطانية. من عدى من مرة من عريب من كهلان. وهم بنو لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدَد بن زيد.

(٤٥) الوحاف: من القبائل القحطانية، من قبائل الهميسع بن حمير.

(٤٦) تنوخ: يقول القلقشندى: وهم من قضاعة، وقال آخر: وهم حىّ من اليمن، يعنى من القحطانية. ويقول عبد الله خورشيد: وهم من القبائل القحطانية، من قبائل عمران من قضاعة من مالك من حمير.

(٤٧) ثراد: من القبائل القحطانية. بطن من الأزد من مالك من كهلان.

(٤٨) فهم: من القبائل العدنانية. من بنى جديلة من قيس من مضر.

(٤٩) بنو بحر: من القبائل القحطانية. بطن من الأزد من مالك من كهلان .

(٥٠) سلامان: من القبائل القحطانية بطن من الأزد من مالك من كهلان.

الثالثة: الحمراء القصوى: وهى خطة بنى الأزرق من الروم، وحضر الفتح منهم اربعمائة رجل. وخطة بنى يَشْكُر بن جَزَيلة من لَخْم [٥١]. وإليهم ينسب جبل يشكر الذى بنى عليه جامع أحمد بن طولون.

٤ ـ **خطة أهل الظاهر:** وهم جماعة من القبائل قفلوا من الأسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم، فتحاكموا إلى معاوية بن حديج الذى جعله عمرو على الخطط، فقال لهم: إنى أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل. فسميت منازلهم الظاهر.

٥ ـ **خطة الفارسيين:** وهم بقايا جند بَاذان، عامل كسرى ملك الفرس على اليمن قبل الإسلام، أسلموا بالشام، ورغبوا فى الجهاد، وقد حضروا مع عمرو بن العاص إلى مصر واختطوا بها.

ثانياً ـ القبائل التى سكنت الجيزة:

١ ـ خطط أصبح: من القبائل القحطانية، من الهميسع بن حمير، وهى من القبائل الذين كرهوا أن يبنى الحصن فيهم.

٢ ـ خطط يافع بن الحارث: من القبائل القحطانية، بطن من رعين من الهميسع بن حمير. ويرى عبد الله خورشيد أن الاسم الصحيح لهذه القبيلة هو يافع، وليس نافع كما يقول ابن دقماق. على أية حال فإن هذه القبيلة كانت خططهم فى وسط الجيزة، وقد بنى الحصن فى خططهم. ويقال إن طائفة منهم قد خرجت عن القبيلة بسبب عدم رضاها على الحصن.

٣ ـ خطط هَمْدان: بفتح الهاء وسكون الميم وألف ثم نون. من القبائل القحطانية، من مالك من كهلان. ومن بطونها التى اختطت فى الجيزة:حاشد

---

(٥١) يشكر: من القبائل القحطانية، بطن من لخم من عدى من مرة من عريب من كهلان.

وبكيل ابنا جشم بن نوفل بن همدان.وقد اختطت بكيل في جنوبها الشرقي، واختطت حاشدفي شمالها الغربي. ومن بطون بكيل التي اختطت في الجيزة: الحياوية بن بني عامر بن بكيل. وبنو عوف بن أرحب بن بكيل. وقد اختطت كلاهما في قبلي الجيزة.

٤ ـ خطط بني حجر: من القبائل القحطانية، من الأزد من مالك من كهلان. ويقول عبد الله خورشيد: إن بطنا منهم فقط هم: بنو كعب بن مالك بن الحجر هو الذي اختط في الجيزة. وكانت خطتهم فيما بين بكيل ويافع.

ثالثاً ـ القبائل التي سكنت الحوف الشرقي (بلبيس):

وقد سكن الحوف الشرقي قبائل من القبائل العدنانية وهم من قيس من مضر، ومن هؤلاء القبائل:

١ ـ بنو عبس: وهم من قبائل بني سعد من قيس. وقد سكنوا الحوف الشرقي منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وقد اشتهروا باقامتهم في بلبيس بالذات. ويرى عبد الله خورشيد أن انتقالهم إلى الحوف ربما كانوا ليعيشوا مع قبائل قيس الأخرى التي هاجرت إلي تلك المنطقة.

٢ ـ بنو سليم: وهم من قبائل بني خصفة من قيس. وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس. وقد قدمت مائة أسرة منهم إلى مصر ونزلت بلبيس في هجرة قيس الكبرى إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م في ولاية الوليد بن رفاعة.

٣ ـ قبيلة هَوَازِن: وهم من قبائل بني خصفة من قيس. وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس. قدم منها مائة أسرة إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م ونزلوا بلبيس.

٤ ـ بنو نصر: بطن من هوازن من بني خصفة من قيس. وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. قدم منها مائة أسرة إلى مصر عام ١٠٩هـ/٧٢٧م ونزلوا بلبيس.

٥ ـ بنو عامر: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من بنى خصفة من قريش. وهم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. قدم منها مائة أسرة إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م فى هجرة قيس إلى مصر.

رابعاً: القبائل التى سكنت الصعيد:

١ ـ بنو هلال: من القبائل العدنانية، وهم من بنى عامر بن صعصعة من مجموعة هوازن الكبرى من بنى خصفة من قيس من مضر.

وقد كان أول قدومهم إلى مصر عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م فى هجرة قيس الكبرى، وقد انتشر بنو هلال فى وقت متأخر فى الصعيد فى بلاد أسوان وما تحتها.

٢ ـ قبائل ربيعة: من القبائل العدنانية، ويقول المقريزى إنهم قدموا إلى مصر فى خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م) أعوام بضع وأربعين ومائتين. وعن سبب سكناهم فى الصعيد يقول عبد الله خورشيد: إنه لما كانت القبائل العربية القديمة قد اتخذ كل منها لنفسه موطنا، فإن ربيعة لم تجد بداً من الذهاب إلى أعالى الصعيد، حيث سكنوا بيوت الشعر فى براريها الجنوبية وأوديتها، وخلعوا اسمهم على القرية الكبيرة الجامعة ـ قرية بنى ربيعة ـ الواقعة فى أقصى الصعيد بين أسوان وبِلاق (٥٢). على أية حال فإن قبائل ربيعة هى التى أوقفت غارات البجة، التى كانت تشنها على القرى الشرقية، بل إنهم تزوجوا منهم، واستولوا على معدن الذهب بالعلاقى، فكثرت أموالهم، وبالتالى اتسعت أحوالهم.

٣ ـ بنو حجر: من القبائل القحطانية، من الأزد من مالك من كهلان. وهم: بنو كعب بن مالك بن حجر، وقد انتقلت هذه القبيلة أو بعضها إلى المنطقة

---

(٥٢) بلاق: بالكسر وآخره قاف. وهى مدينة واقعة فى أول بلاد النوبة على الشاطىء الشرقى للنيل جنوبى اسوان ومتصلة بها بطريق البر. وإليها تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين، وبينها وبين اسوان اربعة أميال .

الواقعة فى محافظة المنيا الحالية، وذلك منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى).

٤ ـ بنو راشد: منَ القبائل القحطانية، بطن من لخم من عدى من مرة من عريب من كهلان. ويقول عنها عبد الله خورشيد: «يبدو أنها كانت كثيرة العدد، إذ كان منها فى مصر عدد كبير من البطون، وكانت تمثل جانبا كبيراً من القسم الذى عاش من لخم بالصعيد، فقد أقامت بطونُها بالبر الشرقى من صعيد مصر، فيما بين مسجد موسى وأسكر من عمل أطفيح».

٥ ـ بنو المغيرة: من القبائل القحطانية، أسرة من العتيك من الأزد من مالك من كهلان. يقول عنها عبد الله خورشيد: «يبدو أنها كانت تقيم فى القرن الثانى بصعيد مصر فى كورة البهنسا (مركز بنى مزار محافظة المنيا)».

خامساً: القبائل التى سكنت الأشمونين:

١ ـ بنو كنانة طلحة: من القبائل العدنانية، بطن من كنانة من بنى مُدْرِكَة من خندف من مضر. وهم من كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر. وقد ذكرهم القضاعى فى خطط مصر وقال: إن منهم أخلاطاً فى بلاد قريش، أى بلاد الأشمونين وما حولها من البهنسا.

٢ ـ بنو زُهْرة: بضم الزاى وسكون الهاء وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر. من القبائل العدنانية، بطن من قريش من كنانة من بنى مُدْرِكَة من خندف من مضر وهم: بنو زُهْرَة بن كلاب بن مرة. وزُهْرَة اسم إمرأة كلاب، نُسب ولده إليها. ويقول عنهم عبد الله خورشيد: إنهم «أقاموا بمصر إقامة فعلية منذ القرن الثانى فى الأقل. والمقريزى يحسبهم ممن كان بالصعيد من قريش، فى حين يحدد الحمدانى مكانهم ببلاد الأشمونين وما حولها من صعيد مصر. ويُفهم من هذا أنهم ذهبوا للإقامة فى بلاد قريش منذ هجرة الأشمونين».

٣ ـ بنو سهم: من القبائل العدنانية، بطن من قريش من كنانة من بنى مدركة من خندف من مضر. وقد ذكرت سابقاً أنهم ولد عمرو بن العاص. ويرى عبد الله خورشيد أنهم أقاموا فى منطقة الأشمونين منذ هجرة قريش، رغم أن المقريزى قد ذكرهم ممن كانوا بالصعيد من قريش.

٤ ـ بنو جعفر الطيار بن أبى طالب (٥٣): من القبائل العدنانية، من بنى هاشم بطن من قريش من كنانة من بنى مدركة من خندف من مضر. ويقول عنهم عبد الله خورشيد: إن المقريزى لا يعطينا فكرة واضحة عن أول اقامتهم بمصر، ولكنه فى موضع آخر يذكر أن عدة بطون منهم كانت تنزل بأرض الأشمونين. ويرى عبد الله خورشيد أن الجعافرة عاشوا فى مصر منذ القرن الثالث فى الاقل، وأنهم هاجروا إلى الأشمونين فى هجرة قريش الكبرى (٥٤) إلى تلك المنطقة.

٥ ـ جهينة: من القبائل القحطانية، وقد تم التعريف بها مع أهل الراية. لكن يبدو ـ من كلام المقريزى ـ أنهم انتقلوا بعد ذلك وسكنوا بلاد الاشمونين، وظلوا بها حتى مجيء الفاطميين الذين نقلوهم من بلاد الاشمونين إلى بلاد أخميم.

٦ ـ بنو أمية: من القبائل العدنانية، وهم بطن من قريش من كنانة من بنى مُدْرِكَة من خندف من مضر. ويقول عنهم الحمدانى: وبالصعيد جماعة من بنى أمية بناحية تَنْدَة (٥٥) وما حولها من الأشمونين ـ من بنى أبان بن عثمان، وبنى خالد بن يزيد بن معاوية، وبنى مسلمة بن عبد الملك، وبنى حبيب بن الوليد بن عبد الملك، ومن بنى مروان بن الحكم، وهو المروانية.

---

(٥٣) ويقول القلقشندى: وقد عرف بجعفر الطيار لأنه عندما قطعت يداه يوم موته سنة ثمان من الهجرة، فأخبر النبى (ص) أن الله جعل له منهما جناحين يطير بهما فى الجنة، ولذلك قيل له :الطيار.

(٥٤) ويرجح عبد الله خورشيد أن تكون هجرة قريش الكبرى إلى بلاد الاشمونين قد تمت فيما بين أواسط القرن الرابع وقت دخول الفاطميين مصر، وأواسط الخامس.

(٥٥) تَنْدَة: الدال مهملة مفتوحة. وهى قرية كبيرة فى غربى النيل من الصعيد الأدنى، وتَنْدَة بمركز ملوى ـ مديرية اسيوط.

(ثانيا) انتشار اللغة العربية:

رأينا كيف كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية للبلاد قبل الفتح العربى لمصر طوال مدة الحكم البيزنطى، وكيف كانت اللغة القبطية هى لغة المصريين. ولم تكن ثمة حاجة بالمصريين لتعلم اللغة اليونانية إلا لمن يريدون تولي الأعمال الإدارية فى الحكومة.

وعندما فتح العرب مصر تغير الأمر، ولكن تدريجياً، ففى خلال ثلاثة قرون كانت اللغة القبطية للمصريين قد أفسحت مكانها للغة العربية. فكيف تغير اللسان المصرى، الذى لم يتغير طوال العهود السابقة، من القبطية إلى العربية؟ وبمعنى آخر ما هى العوامل التى أدت إلى إنتشار اللغة العربية فى مصر، ومن ثم إلى تعريب مصر؟

تُعتبر هجرة القبائل العربية ـ التى مرت بنا فى الصفحات السابقة ـ من أهم عوامل انتشار اللغة العربية، ذلك أن أحد الفروق الهامة بين هذه القبائل واليونانيين الذين عاشوا فى مصر، هو أن هذه القبائل أتت للإستيطان والمعيشة فى مصر، فكان عليها أن تنتشر فى الريف المصرى. أما اليونانيون فقد عاشوا فى مصر كطبقة حاكمة، فاقتصر نزولهم على المدن وصبغوها بحضارتهم، ولم يمتد نفوذهم الثقافى فى الريف كثيراً، فلم تنتشر اللغة اليونانية إلا فى بيئات خاصة، وعاش اليونانيون فى مصر، كأنهم جزر يونانية فى المحيط المصرى الواسع. أما العرب فقد عاشوا وسط المصريين، واختلطوا بهم اختلاطاً كاملاً، وتزوجوا منهم، الأمر الذى أدى ـ بالضرورة ـ إلى إنتقال اللغة العربية إليهم. وبدون هذا التفاعل والإختلاط لا يمكننا أن نفسر ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ كيف ترك الفلاح المصرى القديم لغته رغم تمسكه بالقديم وحرصه عليه.

هذا على كل حال، هو العامل الأول فى إنتشار اللغة العربية فى مصر، أما العامل الثانى، فهو حركة التعريب التى قامت بها الدولة العربية، سواء لتعريب الدواوين أو لتعريب النقود.

وبالنسبة لتعريب الدواوين فى مصر، فقد حدث ذلك فى عام ٨٧هـ/٧٠٥م فى ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر (٨٦ ـ ٩٠ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م)، الذى نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية. وبغض النظر عن الدافع وراء هذا التعريب ـ وهو ما تناولناه فى كلامنا عن النظام الإدارى، فإن تعريب الدواوين شكل خطراً كبيراً على مناصب الأقباط فى الدولة، دفعهم دفعاً إلى تعلم اللغة العربية، جتى يتسنى لهم الإحتفاظ بوظائفهم، أو تولى الوظائف كما ذكرت سابقاً.

وهكذا أصبحت اللغة العربية، هى اللغة الرسمية للبلاد، بدلاً من اللغة اليونانية التى كانت حتى ذلك الحين هى لغة الدواوين.

ولم تقتصر حركة التعريب على تعريب النظام الإدارى فى الدولة الإسلامية، وإنما تعددت إلى تعريب النظام الإقتصادى المتمثل فى عملة البلاد، ومن المعروف أن العرب ظلوا يتعاملون بنقود كسرى وقيصر، أى الدراهم والدنانير، حتى تولى عبد الملك بن مروان الخلافة (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م)، فكان أول من ضرب النقود الرسمية عربية مستقلة فى الإسلام، وأوجب التعامل بها، وأبطل إستعمال النقود الرومية والفارسية عام ٧٦ هـ/ ٦٨٦م.[٥٦]

على كل حال، فقد كان بسبب حركة التعريب أن انتقلت ثقافة مصر من الثقافة القبطية واليونانية إلى الثقافة العربية، بكل ما ترتب على ذلك من تغير العقل المصرى بصفاته القديمة القبطية واليونانية، إلى عقل عربى، حتى إذا ما وصلنا إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) رأينا البطرك الملكانى فى مصر سعيد بن بطريق (ت عام ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م) يكتب كتابه فى التاريخ

---

(٥٦) وقد اختلف المؤرخون فى السنة التى ضرب فيها عبد الملك النقود ونقشها، فقيل عام ٧٦هـ/ ٦٩٥م وقيل عام ٧٥ هـ/ ٦٩٤م وقيل عام ٧٤ هـ/ ٦٩٣م وقيل عام ٧٧هـ/٦٩٦م.

باللغة العربية، ويعنونه باسم «كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق». كذلك نرى ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين ـ فى صعيد مصر ـ يؤرخ لبطاركة الكنيسة المصرية باللغة العربية فى أواخر القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى. ويتضح لنا ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ مما كتبه ساويرس أن اللغة العربية كانت قد أصبحت هى اللغة السائدة فى ديار مصر فى عصره على المستوى الشعبى والرسمى، حتى إن اللغة القبطية ـ باعترافه هو نفسه ـ أصبحت مجهولة من غالبية المصريين، وكذلك الحال بالنسبة للغة اليونانية التى كانت هى اللغة الرسمية منذ عهد البطالمة. لذلك يذكر ساويرس أنه لاقى مشقة كبيرة فى ترجمة الوثائق القبطية واليونانية إلى العربية، وأنه استعان ببعض المسيحيين ممن كانوا لهم دراية باللسان القبطى أو اليونانى!

ثالثاً: انتشار الإسلام:

أما بالنسبة لإنتشار الإسلام، وهو العامل الثالث فى صبغ المجتمع المصرى بالصبغة العربية ـ فمن المحقق أن هجرة القبائل العربية إلى مصر، ونزولها خاصة فى الريف المصرى، كانت من أهم عوامل انتشار الإسلام فى مصر. ومما يؤكد أهمية هذا العامل قول المقريزى:

«ولم ينتشر الإسلام فى قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة، عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب، مولى سلول، قيسا بالحوف الشرقى. فلما كان فى المائة الثانية من سنى الهجرة، كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها.»

على أنه كان ثمة عوامل أخرى ـ ذكرتها المصادر العربية ـ أسهمت فى انتشار الإسلام فى مصر، خاصة فى فترات معينة، تبعاً لسياسة الخلفاء وولاتهم.

ومن هذه العوامل: الرغبة فى التخلص من دفع الجزية.

فيذكر ساويرس أنه فى خلافة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٩م) أعلن والى مصر حفص بن الوليد (١٢٧ ـ ١٢٨هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٥م) إعفاء كل من يسلم من الجزية، فاعتنق نحو أربعة وعشرين ألفا من الأقباط الدين الإسلامى!

كذلك يذكر ساويرس أنه عندما قرر الخليفة العباسى الأول أبو العباس عبد الله السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٤٩ ـ ٧٥٣م) أن يُعفى من الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامى ويقيم شعائره، تخلى كثير من المسيحيين ـ أغنياء كانوا أو فقراء ـ عن دينهم، وأعتنقوا الدين الإسلامى بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاة عليهم.

ومن الأمثلة التى يبين فيها ساويرس أيضاً إسلام الكثيرين من الأقباط بسبب الفقر وقلة ما معهم من المال، ما حدث فى خلافة المنتصر العباسى (٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ/ ٨٦١ ـ ٨٦٢م) حينما ولى خراج مصر أحمد بن محمد بن المدبر، إذ فرض هذا الوالى ضرائب باهظة على الكنيسة وعلى الأقباط عامة، مما دفع الكثيرين إلى التحول إلى الإسلام.

وهذه الأمثلة التى أوردها ساويرس لا يجب التشكيك فيها، لأن ساويرس كان قبطيا، كما أنه لم يكن ليغفل الكلام على أى اضطهاد يصيب الأقباط لتحويلهم إلى الدين الإسلامى بقوة.

وقد كانت ثورات القبط ـ التى سبق أن تعرضنا لها ـ بسبب زيادة الخراج، يتبع اخمادها فى العادة تحول عددكبير من الأقباط إلى الدين الإسلامى. وكان آخر تلك الثورات، تلك التى انتهت عام ٢١٧ هـ / ٨٣٢م بمجىء الخليفة المأمون إلى مصر، وإخضاعه للثائرين، وكان من نتائجها أن أصبح المسلمون أغلبية فى القطر المصرى.

كذلك من العوامل التى أدت إلى دخول القبط إلى الإسلام، تحريم الخلفاء استخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة. وقد بدأ به الخليفة عمر بن عبد

العـزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩م)، وتلاه الخليـفـه المهـدى (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٤ ـ ٧٨٥م)، ثم هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م)، والمأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م)، والمتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م)، والمقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ/ ٩٠٧ـ ٩٣٢م).

الفصل الثانى

المرأة فى المجتمع المصرى

وضع المرأة فى المجتمع المصرى

المعلمات، والأميرات، وزوجات الأمراء، والفقيهات

الوظائف التى شغلتها المرأة

الفصل الثانى
المرأة فى المجتمع المصرى

بداية نقول إنه على الرغم من كثرة المؤلفات العربية فى مجالات الحياة المختلفة، إلا إننا لا نجد مصدراً يلقى أضواء كافية عن المرأة ووضعها فى المجتمع المصرى على وجه الخصوص.

وعند محاولتنا دراسة وضع المرأة فى المجتمع المصرى خاصة فى الفترة الخاضعة للبحث (من الفتح العربى إلى بداية الدولة الفاطمية) نلاحظ أن المصادر العربية تكاد تكون نادرة، أما فيما يختص بالمراجع الحديثة، فنلاحظ أنها قد أغفلت فترة بحثنا، كما نلاحظ أنها تتناول المرأة من حيث تكريم الإسلام لها ورفع مكانتها، وغير ذلك من الأمور النظرية التى لا تعبر عن واقع المرأة فى تلك الفترة، فهناك فرق بين النظرية والتطبيق أو الواقع.

وعلى أية حال، فمن خلال ما جمعناه من معلومات، وجدنا أن المرأة فى المجتمع المصرى - فى فترة بحثنا - لم يكن لها دور يذكر فى شئون الحكم، كما حدث فيما بعد، ولم نسمع عن دور سياسى قامت به زوجات الأمراء أو بناتهم أو أية امرأة أخرى.

على أن المصادر تتحدث عن حرص الأمراء والخلفاء على تعليم بناتهم وزوجاتهم، وتأديبهن على يد معلمات ومربيات عُرفن بالفضل والعلم.

فتتحدث المصادر عن عَزة بنت حُمِيل بن حفص بن اياس الحاجبية الغفارية الضمرية [1] التى أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بادخالها على حرمه ليتعلمن من أدبها. وكانت من أجمل النساء وجها وأفصحن لسانا، وأحفظن لكلام العرب. وقد سكنت مصر، وكان كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الشاعر المشهور يهيم بها، لذلك كان ينسب بها.

---

(١) فى ابن إياس (عزة بنت جميل بن عمرو الضمرى)

وقد توفيت عام ٨٥ هـ/ ٧٠٤م وقيل عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م بمصر، فى أيام عبد العزيز بن مروان. وقد زار «كثير» قبرها، ورثاها، وتغير شعرُه بعدها، فقال له قائل: ما بال شعرك قد قصرت فيه؟ فقال: ماتت عزة فلا أطرب، وذهب الشباب فلا أعجب، ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب.

وقد تحدثت المصادر عن بعض الأميرات اللاتى عُرفن بالعلم والأدب مثل:

قطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون:

وكان اسمها: أسماء. وكانت من أعقل النساء، وتذكر المصادر العربية أنه كان لها من الحكايات مع الخليفة المعتضد ما يجب أن تؤرخ! فمنها:

أن المعتضد قال لها يوما: «بم تشكرين الله اذ جعل أمير المؤمنين زوجك؟»

قالت: «بما يشكر به أميرُ المؤمنين اذ جعل أحمد بن طولون من رعيته»!

ومما أورده ابن سعيد أن المعتضد «وضع رأسه يوما فى حجرها، فنام حتى غط فى نومه، فتلطفت في ميل رأسه من حجرها، ووضعته على مخدة، وقامت، إلى أن انتبه المعتضد من نومه، فوجد رأسه على مخده، ونظر إلى قطر الندى، فلم يجدها معه فى البيت، فاشتد غيظه، واستدعاها، فقال لها ـ بكلام منزعج ـ: ما هذا الذى صنعت ؟ أضع رأسى فى حجرك، واستأمنك على روحى، فتتركينى وتمرين عنى؟ فقالت: إن فيما أوصانى به أبى، الأ أجلس بين النيام والا انام بين الجلوس! فأعجب ذلك المعتضد وقال: نِعم ما أوصاك به أبوك».

ثم يقول ابن سعيد إن المعتضد «ناولها يوما قدح خمر لتشربه، فقالت: يا أمير المؤمنين: ما شربتُه قط، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول عن النساء: ناقصات عقل ودين، والرجال إن شربوا الخمر، ففى عقولهم وأديانهم ما يحتمل حَيفها، والنساء بضد ذلك، فاشتد ولعه بما سمع منها وأعفاها».

«وقال لها يوماً: ما أحسن ما أدبك أبوك؟ فقالت: إني لم أكن أبصر أبي، ولكني تأدبت بأدب جواريه، فقال: ذلك أحسن وأشرف». وعن أدب قطر الندى يقول ابن سعيد:«وصارت الأمثال في قصر الخليفة تُضرب بأدب قطر الندى».

ومن الأميرات اللاتي عرفن بالعلم والأدب:

أم مروان:

وهى الإبنة الكبرى لآخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، وكانت قد جاءت ضمن بناته وزوجاته عندما هرب إلى مصر. ويقال إنه عندما قتل مروان بن محمد على يد عامر بن اسماعيل، أرسل حريمه وبناته إلى صالح بن على، فتكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت:

«يا عم أمير المؤمنين، حفظ الله لك من أمرك ما يحب لك حفظه، وأسعدك في الأمور كلها بخواص نعمه، وعمّك بالعافية في الدنيا والآخرة. نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك، فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جَورنا! قال: اذن لا نستبقى منكم أحدا رجلاً ولا إمرأة... قالت: يا عم أمير المؤمنين فليسعنا عفوكم اذا. قال: أما العفو فنعم قد وسعكم، فان أحببتِ زوّجتك من الفضل بن صالح بن على، وزوجتُ أختك من أخيه عبد الله بن صالح. فقالت: يا عم أمير المؤمنين، وأى أوان عرس هذا؟ بل تلحقنا بحرّان. قال: فاذاً أفعل ذلك بكن إن شاء الله، فألحقهن بحران».

ويذكر الحميرى أنه عندما قَتل عامر بن اسماعيل مروان بن محمد، قعد على فرشه، وأكل من طعامه، فخرجت إليه ابنة مروان الكبرى، وتعرف بأم مروان، فقالت: «يا عامر، إن دهراً أنزل أمير المؤمنين عن فرشه حتى أقعدك عليه، فأكلت من طعامه، واحتويت على أمره، وحكمت فى مملكته ـ لقادر أن يغير مآربك! فاغتاظ السفاح من ذلك وكتب إليه: ويلك، أما كان لك فى أدب

الله عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان، وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده؟! أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك، لمسّك من غضبه وأليم ادبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى الله عز وجل بصدقة تطفىء بها غضبه، وصلاة تُظهريها الاستكانة، وصم ثلاثة ايام، ومر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك».

ومن الأميرات اللاتى ذكرت المصادرُ العربية أسماءهن:

ارمانوسة ابنة المقوقس:

وكان عمرو بن العاص عندما نزل بلبيس قد أسرها وأخذ جميع مالها، ثم أحب عمرو ملاطفة المقوقس، فسيرها اليه مكرمة في جميع مالها مع قيس بن ابى العاص السهمى.

ام كلثوم:

وكانت ابنه الوالى عقبة بن عامر.

ام سهل:

وكانت ابنة الوالى مسلمة بن مخلد. واليها تنسب منيةام سهل، وقد تزوجت من أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان.

أسماء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان:

وهى التى يُعرف باسمها (مصحف أسماء). فقد ذكرت في موضع سابق أن عبد العزيز بن مروان عندما كان واليا على مصر، امر ان يُكتب له مصحف، فلما فرغ من كتابته قال: مَن وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارًا، فتداوله القراء، فأتى رجل من قراء الكوفة (من أهل الحمراء

كما فى رواية ابن عبد الحكم) ذكر ابن يونس أن اسمه زرعة بن سهيل الثقفى، فقرأه بهجاء، ثم جاء إلى عبد العزيز بن مروان فقال له: قد وجدت في المصحف حرفاً خطأ، قال مصحفى؟ قال: نعم. قال: فنظروا، فاذا فيه: «إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة»،فإذا هى مكتوبة «نجعة»قدمت الجيم قبل العين، فأمر بالمصحف، فأصلح وأبدلت الورقة، ثم أمر له بثلاثين ديناراً وبرأس أحمر. وعندما توفى عبد العزيز بن مروان فى سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م بيع هذا المصحف فى ميراثه، فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار، ثم توفى أبو بكر، فاشترته أسماء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار، فأمكنت منه الناس، وشَهرتْه، فنُسب اليها، وعرف بمصحف أسماء.

عباسة بنت أحمد بن طولون:

وهى من فواضل نساء عصرها، وقد سميت بها قرية العباسة ـ الواقعة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام ـ عندما نزلت بها فى أثناء توديعها لقطر الندى.

وقد أبرزت المصادر أيضاً أسماء بعض زوجات الأمراء فى مصر، دون ذكر أدوار لعبنها وهن:

أم عبد الله ابنة عبد الله بن عمرو بن العاص:

وقد تزوجها عبد العزيز بن مروان فأنجبت منه سهلا وسهيلا.

مارية:

وكانت جنسيتها رومية. وقد تزوجها عبد العزيز بن مروان. وأنجب منها ولدا وهو محمد بن عبد العزيز، وقد بنى عبد العزيز بن مروان قصرا لها عرف بقصر مارية.

أسماء:

وكانت زوجة أحمد بن طولون. يقول عنها ابن سعيد، نقلا عن نعْت جارية أحمد بن طولون: كان لأحمد بن طولون زوجة من بنات الموالى تزوجها بمصر، وكانت حسنة الموقع منه، جميلة الصورة، يقال لها أسماء، فقلت: «يا مولاى ليس خلوتك منها على حسب محلها منك!!» قال لى: «هى صغيرة الكف، قصدة الخلقة، فأخاف أن يكون هذا فى ولدى منها».

خديجة بنت مزاحم بن خاقان:

وكانت زوجة أيضاً لأحمد بن طولون. وكانت دار صناعة السفن قد نقلت إلى دارها بساحل الفسطاط من جزيرة الروضة عام ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م، وذلك فى الدولة الإخشيدية.

وقد أوردت المصادر بعض أسماء الجاريات اللاتى كانت لهن حظوة لدى الأمراء أو الوزراء، ومنهن:

نعت:

وكانت جارية احمد بن طولون. وتقول عنها الدكتورة سيدة كاشف:

«ولم تشتهر فى بلاط أحمد بن طولون نساء اللهم إلا جاريته نعت. والظاهر أنها كانت تنعم بقسط وافر من الحرية، فإن ابن الداية قد نقل عنها معظم البيانات التى تركها لنا عن حياة أحمد بن طولون الخاصة. والمعروف أنها كانت أماً لثلاث من بناته. والظاهر أنها كانت تدير (حريم) أحمد بن طولون، ومن المحتمل انها كانت غير صغيرة فى السن، فإننا نراها تعنى بالترويح عن الأمير، وتعنى ببيته وسائر حريمه وجواريه، ولكنا لا نظن أنها كانت ذات شأن يذكر فى الأمور العامة».

بوران:

وكانت محظية خمارويه. ويقال إن من أجلها بنى خمارويه بيت الذهب، وصور فيه صورتها وصورته، وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له إلا بسلامتها وبنظره إليها، وتمتعه بها، فكدر موتها عيشه، وانكسر انكساراً بان عليه.

وقد كان لأبى بكر محمد بن على الماذرائى جارية ـ لم يذكر المقريزى اسمها ـ كانت تخرج معه للحج.

كما ذكرت المصادر اسما لسيدة كانت أما لأحد أولاد أحمد بن طولون وهو أبو العشائر. وإن كانت المصادر لم توضح لنا هل كانت زوجته أو جاريته، وقد عرفت باسم «مائة ألف».

وقد برزت فى فترة البحث، بعض الفقيهات من النساء اللاتى حظين بقدر من الشهرة، وكانت أشهرهن:

السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب:

وقد دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق. وكانت من ربات الصلاح والزهد، ويقال إنها حجت ثلاثين حجة، وكانت كثيرة البكاء، تقوم الليل وتصوم بالنهار، فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي، وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. وكانت تحفظ القرآن وتفسيره. وكان الإمام الشافعى يزورها وهى من وراء الحجاب، وقال لها: ادعى لى! وكان معه عبد الله بن عبد الحكم. وقيل: لما مات الإمام الشافعى أوصى أن السيدة نفيسة تصلى عليه، فلما مات أُدخل نعشه فى دارها، وصلّت عليه، ثم حُمل من عندها ودفن. وقد توفيت السيدة نفيسة سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣ ودفنت فى منزلها، وهو الموضع الذى به قبرها الآن. وقد أراد زوجها اسحاق بن الصادق أن يحملها ليدفنها بالمدينة، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة. وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر.

وقد أشار الأبشيهى والقرمانى فى كتابيهما إلى واقعة مقابلة أحمد بن طولون والسيدة نفيسة، ومن الواضح جليا أن هذه الواقعة مختلقة، خاصة وأن الدولة الطولونية قامت فى مصر عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، والسيدة نفيسة ـ كما ذكرت آنفا ـ قد توفيت عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، فكيف تسنى لهما هذا اللقاء؟ وعلى أية حال، فسأورد نص هذه المقابلة كما ذكرها الأبشيهى، فهو يقول: «وقيل لما ظلّم أحمد بن طولون قبل أن يعدل، استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: فى غد. فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت: يا أحمد يا ابن طولون! فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة، وقرأها، فإذا فيها: ملكتم فاسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت اليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فانا صابرون، وجوروا فانا بالله مستجيرون، واظلموا فانا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون. قال: فعدل لوقته».

ومن الفقيهات اللاتى ذكرتهن المصادر العربية كذلك:

كلثوم بنت أبى القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب:

وقد كانت من الزاهدات العابدات، وكان لها مشهد يزار فى مصر ـ كما ذكرت فى موضع سابق.

عائشة بنت جعفر الصادق:

من ربات العبادة والصلاح، كانت تقول: «وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار، لآخذنَّ توحيدى وأدور به على أهل النار، وأقول لهم: وحدتُّه فعذبنى»! وقد توفيت عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ودفنت بقرافة مصر.

رابعة بنت اسماعيل:

عابدة من عابدات مكة، ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وأقامت بمصر سبع سنين، ولما دخل الإمام الشافعى مصر كان يتردد عليها، وكان يصلى التراويح فى رمضان بمسجدها.

آسية بنت مزاحم بن خاقان:

وهى من ربات العبادة والزهد والتقى والصلاح، عكف عليها الخاص والعام، ويُنسب اليها تربة السيدة آسية بنت مزاحم بمصر. وتوفيت عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م. ويبدو من اسمها أنها كانت أختا لخديجة ابنة مزاحم بن خاقان، زوجة أحمد بن طولون-التى ذكرتها سابقاً.

فاطمة بنت عبد الرحمن الحرانية:

كانت من الزاهدات العابدات، ولدت ببغداد، وقدم بها أبوها إلى مصر، وسمعت منه، وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين، وكانت تعرف بالصوفية لأنها كانت تلبس الصوف، ولا تنام إلا فى مصلاها بلا وطاء أكثر من ستين سنة. وقد سمع منها أخيها عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبى صالح. وقد توفيت عام٣١٢هـ/ ٩٢٤م.

وبعد فقد حاولنا معرفة شىء عن الوظائف التى شغلتها المرأة فى فترة بحثنا، فلم نجد إلى جانب وظيفة المؤدبة والمربية التى تحدثنا عنها، سوى وظيفة الحاضنة. ومن الحاضنات اللاتى ذكرتهن المصادر العربية: بُنانة وكانت حاضنة لبعض بنى مروان أو ظِئْرا لهم (٢) كما يقول ابن عبد الحكم.

---

(٢) الظئر جمع أظْؤُر وأظْآر وظُؤُور وظُؤُورة وظُؤار. أى المرضعة لولد غيرها.

الفصل الثالث

العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى

. الأعياد والمواسم

.أعياد المسلمين ـ أعياد الأقباط ـ أعياد اليهود.

. الأعياد القومية.

. احتفالات الزواج.

. الطعام والشراب.

. الملابس والزينة.

. الألعاب ووسائل التسلية..

. الشطرنج
. الصيد
. لعب القمار
. لعبة الصوالجة
. الحواة
. الكُرَّج
. سباق الخيل

. المقابر والجنازات .

الفصل الثالث

- العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى

الأعياد والمواسم

بعد سيطرة العرب على مصر، ودخول الدين الإسلامى إليها، أصبح فى مصر ثلاثة أنواع من الأعياد تتبع ثلاث ديانات أساسية فى مصر، وهذه الأعياد هى:

أعياد المسلمين - أعياد الأقباط - أعياد اليهود.

هذا إلى جانب أعياد يمكن أن نطلق عليها أعيادا قومية، وذلك لأنها لا تقام وفقا لدين معين، وانما كان الشعب كله يحتفل بها، وشاركهم العرب فى هذا الاحتفال.

وقبل تناول الأعياد فى مصر يجب أن نشير إلى ظاهرة هامة، وهى أن المصريين، مسلمين ومسيحيين، كانوا يحتفلون بالأعياد الإسلامية والمسيحية على السواء، ولعل ذلك - كما ترى الدكتورة سيدة كاشف - يرجع إلى أن الكثير من المصريين المسلمين كان من أصل قبطى.

وسنحاول فى الصفحات القادمة أن نتتبع الأعياد فى مصر بشىء من التفصيل، رغم فقر المصادر العربية التى تعرضت للفترة التى يتناولها بحثنا فى هذا الموضوع.

اولا: اعياد المسلمين:

نلاحظ أن المصادر العربية لا تشير إلى احتفالات بأعياد المسلمين أقيمت فى هذه الفترة، اللهم إلا ما ذكر عن إحتفالين فى الدولة الإخشيدية، كان الأول عن الإحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر - ويظهر من النص أن هذا ما كان يحدث فى الدولة الطولونية - والثانى عن الإحتفال بعيد الأضحى.

وبالنسبة للإحتفال الأول، وهو الإحتفال بشهر رمضان وعيد الفطر، يقول ابن سعيد: «ولما دخل شهر رمضان، أطلق النفقات للمسجد الجامع، وأمر بعمارة المساجد بالجص، والبياض، والخلوق، والمصابيح، والأئمة. ثم أمر بالتأهب للعرض ليلة الفطر على رسم أحمد بن طولون وما كان يفعله تكين، فتأهب الناس واشتروا وأكثروا، وكان القواد التكينية على غاية الرفعة. ولما كان آخر شهر رمضان ركب الإخشيد بعد عشية، فحضر ختم الجامع وصلى وأوتر، وهو فى وجوه عبيده فى دراعه [١] بياض، وبين يديه خمسمائة غلام بالدبابيس [٢] والمستوفيات [٣]، وبين يديه الشمع والمشاعل، وقيل كان بين يديه مائة فراش بمائة شمعة. ثم أصبح الناس للعرض، وجلس فى المنظرة التى على باب دار الإمارة، ومرت العساكر. فلما انفض العسكر ركب غلمانه فى أحسن زى بالتجافيف [٤]، والجواش [٥] والدروع، فلم يفرغوا إلى العشاء. ثم أصبح، فركب لصلاة العيد، فصلى به عمر بن الحسن العباسى وخطب به وانصرف، ونصب السماط فأكل الناس وحملوا».

أما بالنسبة للإحتفال الثانى وهو الإحتفال بعيد الأضحى، فيقول ابن خلكان: كان كافور فى عيد الأضحى يسلم أحد رجاله ويدعى أبو بكر المحلى - وكان يتولى أمر نفقاته - بغلا محملا ذهبا وورقا وجريدة تتضمن أسماء بعض الأشخاص، لتوزع عليهم هذه الأموال. ويصف أبو بكر مهمته فى العيد فى تلك العبارة: كان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من

---

(١) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

(٢) الدبوس: عصا من خشب أو حديد فى رأسها كالكرة. والدبوس يسمى أيضاً العامود وهو آلة من حديد ذات أضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة (توضع على الرأس) ومن فى معناه.

(٣) الراجح أنها ضرب من العصى الخشبية السميكة.

(٤) جمع تجفاف، وهى آلة للحرب يلبسها الفارس ويتقى بها وكأنها درع.

(٥) الجواش: الدروع.

تضمنت اسمه الجريدة، فأطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وإمرأة وأقول: الأستاذ أبو المسك كافور الإخشيدى يهنئك بعيدك، ويقول لك: اصرف هذا فى منفعتك. فأدفع إليه ما جعل له.

كما كان الشيعة فى مصر ـ خاصة فى الدولة الإخشيدية ـ يحتفلون بيوم عاشوراء بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام.

ويروى المقريزى عن يوم عاشوراء فى الدولة الإخشيدية فيقول:

«وانما قَويتْ أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الإخشيدية والكافورية فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة. وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة، وتتعلق السودان فى الطرقات بالناس، ويقولون للرجل: من خالك؟ فان قال معاوية، أكرموه، وان سكت، لقى المكروه، وأخذت ثيابه وما معه، حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج ».

ثانيا: أعياد الأقباط:

ذكر المقريزى أن أعياد الأقباط المشهورة والشرعية بمصر، عددها أربعة عشر عيداً، فى كل سنة من سنواتهم القبطية، منها سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا، وسبعة يسمونها أعيادا صغارا.

أما الأعياد الكبار فهى:

١ ـ عيد البشارة:

ويَحتفل به الأقباط فى اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات (مارس). وهو اليوم الذى بشر فيه جبريل مريم بميلاد المسيح عليه السلام.

٢ ـ عيد الزيتونة:

ويعرف بعيد الشعانين ومعناه التسبيح، ويحتفل به الأقباط فى الأحد السابع من صومهم الذى يوافق اليوم الثانى والأربعين من بداية الصوم. وهو يُحيى ذكرى ركوب السيد المسيح لحماره، ودخوله إلى بيت المقدس ومَن حوله النصارى يسبحون، وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى فى مصر. فتتزين كنائسهم، ويخرجون فى جماعات من الكنائس حاملين سعف النخل.

ويذكر المقريزى أن من عادة الإحتفال به فى مدينة أخميم، أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والأناجيل والشموع المشعلة، ويقفوا على باب القاضى، ثم أبواب الأعيان من المسلمين، فيبخروا، ويقرؤوا فصلا من الانجيل، ويمدحونه.

٣ ـ عيد الفصح:

وهو العيد الكبير عندهم، يحتفلون به يوم الفطر من صومهم الأكبر، ويأتى هذا العيد بعد «عيد الصلبوت» بثلاثة أيام كما يقول المقريزى. وهو إحياء لذكرى خروج المسيح عليه السلام من قبره بعدما دفن. وكان ذلك فى ليلة الأحد، عشرين من برمهات (مارس). فيقال إن المسيح عليه السلام خرج من قبره فى هذا اليوم ودخل على تلاميذه وسلم عليهم وأكل معهم وكلمهم وأوصاهم بأمور تضمنها انجيلهم.

٤ ـ عيد خميس الأربعين:

ويُعرف أيضاً بعيد الصعود، ويحتفل به الأقباط فى اليوم الثانى والأربعين من الفطر. ويعتقدون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامته، خرج والتلاميذ معه، فرفع يديه وبارك عليهم، وصعد إلى السماء، وذلك عند إكماله ثلاثة وثلاثين سنة وثلاثة أشهر.

٥ ـ عيد الخميس:

ويحتفل به الأقباط بعد خمسين يوما من يوم القيام، وهو فى اليوم السادس والعشرين من بشنس (مايو). وقد اعتقدوا أنه بعد عشرة أيام من الصعود، وبعد خمسين يوما من قيامة المسيح، اجتمع التلاميذ فى بيت المقدس، فتجلى لهم روح القدس فى شبه ألسنة من نار، فامتلئوا من هذه الروح، وتكلموا بجميع الألسن، وظهرت على أيديهم آيات كثيرة ومعجزات، فعاداهم اليهود وحبسوهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى نجّاهم، فخرجوا من السجن وساروا فى الأرض متفرقين يدعون الناس إلى دين المسيح.

٦ ـ عيد الميلاد:

يحتفل أقباط مصر بهذا العيد فى التاسع والعشرين من شهر كيهك (ديسمبر)، وهو ذكرى ميلاد المسيح، ودائما يوافق يوم الاثنين (فهم يقولون إنه ولد يوم الاثنين)، فتبدأ الاحتفالات مساء الأحد. ومن عاداتهم فى هذا العيد تزيين الكنائس بالمصابيح، واضاءة دورهم بالفوانيس الملونة، بداخلها الشموع المصبوغة، وكانوا يقبلون على أنواع الملاهى واللعب بالنار، وكانت الأسواق تزدان بالفوانيس والشموع والمشاعل فى هذه الليلة.

٧ ـ عيد الغطاس:

يحتفل الأقباط بهذا العيد فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة (يناير). وأصله عند النصارى ـ كما يقول المقريزى ـ أن يحْيى بن زكريا عليهما السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدانى، عمّد المسيح أى غسله فى بحيرة الأردن، وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم فى الماء فى هذا اليوم، وينزلون فيه بأجمعهم، ولا يكون ذلك إلا فى شدة البرد، ويسمونه «يوم الغطاس». ويصف المسعودى ليلة الغطاس فى مصر عندما شاهدها بنفسه، وكان ذلك فى عام

٣٣٠هـ/ ٩٤١م زمن الدولة الإخشيدية فيقول: ولقد حضرت سنة ٣٣٠هـ ليلة الغطاس بمصر، والإخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة، والنيل يطوف بها، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل، غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع، فيحرق فى تلك الليلة بمصر من الشمع ما لا يحصى عدده. وقد حضر النيل فى تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين والنصارى، منهم فى الزوارق، ومنهم فى الدور الدانية من النيل، ومنهم على الشطوط، ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف. وهى أحسن ليلة تكون بمصر، لا تُغلق فيها الدروب، ويَغطس أكثرهم فى النيل، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرىء للداء.

أما الأعياد الصغار فهى:

١ ـ عيد الختان:

يحتفل به الأقباط فى اليوم السادس من شهر بؤونة (يونيه)، ويعتقدون أن المسيح ختن فى هذا اليوم، وهو يوافق اليوم الثامن من يوم الميلاد.

٢ ـ عيد الأربعين:

يحتفل به الأقباط فى اليوم الثامن من شهر أمشير (فبراير)، وفى هذا اليوم ـ كما يقول الأقباط ـ دخل المسيح الهيكل، ويعتقدون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه وبارك عليه بعد أربعين يوما من ولادته.

٣ ـ خميس العهد:

ويأتى هذا العيد قبل عيد الفصح بثلاثة أيام، وكان من عاداتهم فيه أن يُملأ إناء من ماء ويزمزمون عليه، ثم يُغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى. ويعتقدون أن المسيح فعل هذا بتلامذته فى مثل هذا اليوم كى يعلمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض.

والعامة يطلقون عليه خميس العدس، من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس بأصناف كثيرة، ويقول أهل الشام: خميس الأرز وخميس البيض. ويبدو ـ كما يقول الدكتور عبد المنعم سلطان ـ أن هذه التسميات راجعة إلى نوع الطعام الذى اشتهر كل اقليم بتناوله فى هذه المناسبة.

وكان من عادة أهل مصر من المسلمين والنصارى تبادل الهدايا من الأطعمة فى هذا العيد، فيهادى النصارى بعضهم بعضا، ويهدون إلى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض.

وكان يقام فى الأسكندرية عيد يسمى بخميس العدس، وهو أول خميس من شهر نيسان، وهو خاص بمنارة الأسكندرية، لا يتخلف فى الأسكندرية عن الخروج إلى المنار ذلك اليوم أحد ـ كما يقول الحميرى ـ وقد أعدوا لذلك الأطعمة والأشربة، ولابد فى ذلك الطعام من العدس، فيفتح باب المنارة للناس ويدخلون فيها، فيقيمون إلى نصف النهار ثم ينصرفون.

٤ ـ سبت النور:

يأتى هذا العيد قبل «عيد الفصح» بيوم، ويكون ثالثَ يوم من «خميس العدس». وفى هذا اليوم يعتقد المسيحيون أن النور يظهر على قبر المسيح بكنيسة القيامة فى القدس، فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها.

٥ ـ عيد حد الحدود:

يأتى هذا العيد بعد «عيد الفصح» بثمانية أيام، ويحتفلوا به أول أحد بعد الفطر، لأن الآحاد قبله تكون مشغولة بالصوم. ومن عاداتهم فيه ـ كما يذكر المقريزى ـ أنهم يجددون ملابسهم والأثاث وغير ذلك.

٦ ـ عيد التجلى:

يحتفل به الأقباط فى اليوم الثالث عشر من شهر مسرى (أغسطس)، لأن فى هذا اليوم ـ كما يعتقد المسيحيون ـ تجلى المسيح عليه السلام لتلاميذه

بعدما رُفع. وقد تمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام، فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس، ثم صعد إلى السماء وتركهم.

٧ ـ عيد الصليب:

ويُحتفل به فى اليوم السابع عشر من شهر توت (سبتمبر)، وكان سبب الإحتفال به هو ظهور الصليب على يد هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين. فيذكر المقريزى أنها سافرت إلى بيت المقدس فى طلب آثار المسيح عليه السلام، وبناء الكنائس، وإقامة شعائر النصرانية. ويقال إن الأسقف مقاريوس دلها على الخشبة التى زعموا أن المسيح صلب عليها، وقد قَص عليها ما عمل به اليهود، فحفرت فوجدت قبرا وثلاث خشبات على شكل الصليب، فاتخذوا ذلك اليوم عيدا، وسموه عيد الصليب، وهو اليوم الذى وجدت فيه الثلاث خشبات، وبنيت فى نفس المكان كنيسة القيامة.

وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم ـ كما يقول المقريزى ـ يخرج الناس فيه إلى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر، ويتظاهرون فى ذلك اليوم بالمنكرات من أنواع المحرمات، ويمر لهم فيه ما يتجاوز الحد.

ومن أعياد القبط أيضاً:

عيد الشهيد:

ويحتفل به أقباط مصر فى اليوم الثامن من شهر بشنس (مايو)، ويعتقد النصارى أن النيل بمصر لا يزيد فى كل سنة حتى يُلقوا فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى. ويكون ذلك اليوم عيدا تَرحل اليه النصارى من جميع القرى على اختلاف طبقاتهم، وينصبون الخيم على شطوط النيل، ويركبون فيه الخيل، ويباع فى هذا اليوم أعداد كبيرة من الخمر. وكان يخرج إلى هذا العيد أيضا المغنون والمغنيات وأصحاب الفسق

وغيرهم، وكان يُتجاهر هناك بما لا يحتمل ـ كما يقول المقريزى ـ من المعاصى والفسوق.

عيد النيروز:

وهو الاحتفال برأس السنة القبطية، ويحتفل به الأقباط فى أول يوم من شهر توت (سبتمبر) والنيروز كلمة فارسية معربة. وهو من الأعياد القديمة التى احتفلت بها كثير من الشعوب على اختلاف جنسياتها وعقائدها، وهذا العيد ليس له تاريخ ثابت، بل يحتفل به كل شعب حسب تاريخ بداية السنة عنده.

وكان من عادتهم فى هذا اليوم اشعال النيران والتراش بالماء، فهو من مواسم لهو المصريين.

ثالثا: أعياد اليهود:

يذكر القلقشندى فى كتابه أن لليهود خمسة أعياد مذكورة فى التوراة، وعيدين أحدثوهم ولم يذكرا بالتوراة.

وبالنسبة للأعياد الخمسة المذكورة فى التوراة، فهى:

١ـ عيد راس السنة:

ويحتفل به اليهود فى أول يوم من تشرى من شهورهم، ويسمونه «عيد رأس هيشا» أى عيد رأس الشهر. وهو عندهم بمنزلة عيد الأضحى عند المسلمين، فيقولون: إن الله تعالى أمر ابراهيم بذبح اسماعيل ابنه فيه، وفداه بذبح عظيم. وهو عيد البشارة كما يقول المقريزى .

٢ـ عيد صوماريا:

ويسمونه الكبور، وهو عندهم الصوم العظيم، ويقولون: إن الله فرض عليهم صومه، ومن لم يصم فيه قتل عندهم . ومدة هذا الصوم خمس

وعشرون ساعة، يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرى، وتختم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر، وربما سموه العاشور.ويشترط فيه لجواز الافطار عندهم روءية ثلاثة كواكب عند الافطار .
ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم في يوم الأحد، ولا في يوم الثلاثاء، ولا في يوم الجمعة. ويعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، وجحده ربوبية الله تعالى .

٣- عيد المَظِلَّة:

ويكون لمدة سبعة أيام، اولها الخامس عشر من تشرى، وهو أيضا حج لهم، يجلسون في هذه الايام تحت ظلال من جريد النخل، وأغصان الزيتون وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الأرض. ويعتقدون أن ذلك تذكار منهم لا ظلال الله اياهم في التيه بالغمام.

٤- عيد الفطير:

ويسمونه الفصح، ويحتفل به اليهود لمدة سبعة أيام أيضا، ويكون بدايته اليوم الخامس عشر من نيسان. وفى هذا العيد يأكلون الفطير، وهو ذكرى لاحياء الأيام التى خلص الله فيها بنى اسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا إلى التيه، فجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير.

عيد الأسابيع:

ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، ويحتفل به اليهود فى اليوم السادس من شهر سيوان.

ويأتى هذا العيد بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع. ويقولون إن فى هذا اليوم خاطب الله سبحانه وتعالى بنى اسرائيل من طور سيناء. وهو أيضا حج لهم، فحجوجهم، ثلاثة: الأسابيع والفطير والمظلة. ومن عاداتهم فى هذا العيد أكل القطائف، ويتفننون فى عملها، ويجعلونها بدلا من المن الذى أنزله الله عليهم فى هذا اليوم.

أما العيدان اللذان أحدثهما اليهود فهما كما يقول القلقشندى:

١ـ عيد الفوز:

واليهود يصومون قبلة بثلاثة أيام، وهو فى شهر آذار الثانى، وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة، يهدى فيه بعضهم إلى بعض.

عيد الحنكة:

وهو ثمانية أيام فى شهر كسيلو، ومن عاداتهم فيه أنهم يوقدون فى الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا، وفى الليلة الثانية سراجين، وهكذا إلى أن يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سروج.

الأعياد القومية:

كان على رأس هذه الأعياد عيد وفاء النيل :

عندما فتح عمروبن العاص مصر أتى أهلها اليه حين دخل شهر بؤونه (يونيه) (٦)، وقالوا له كما يقول ابن عبد الحكم :«أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. فقال لهم : وما ذاك؟ قالوا: إنه اذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فارضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل مايكون، ثم القيناها فى هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الاسلام، وإن الاسلام يهدم ماقبله. فأقاموا بؤ ونه وأبيب، ومسرى، لا يجرى قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء . فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب اليه عمر: قد أصبت إن الاسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت اليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل اذا أتاك كتابى. فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤ منين إلى نيل أهل مصر: أما

---

(٦) كانت الزيادة فى النيل ـ كما تذكر المصادر العربية ـ تبدأ فى الخامس من شهر بؤونة. وفى اليوم السابع والعشرين من نفس الشهر، ينادى عليه بالزيادة، وكانت علامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وأنظر فى ذلك، الموضوع الخاص بطبقة الزراع.

بعد، فان كنت تجرى من قبلك (قتلاك) فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار الذى يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك .

فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل، فأصبحوا يوم الصليب، وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة، وقطع تلك السُنة السوء عن أهل مصر».

وكان المتولى قياس المقياس اذا وجد أن العلامة وصلت إلى الستة عشر ذرعا، يسبل ستارا أسود على شباك المقياس، فاذا شاهد الناس هذا الستار قد أسبل، تباشروا بالوفاء، واجتمعوا كعادتهم للفرجة من كل صوب .

كما تذكر المصادر العربية أن متولى القياس كانوا ينادون على النيل بقولهم: « نعم لا تحصى، من خزائن لا تفنى، زاد الله فى النيل المبارك كذا وكذا» كانت زيادته فى العام الماضى فى هذا اليوم كذا وكذا، وعلى الله التمام» . وكان المنادى يجعل فى أيديهم عودا وهو مخلق بالزعفران ، ومعهم الرياحين، وكانوا يتجهون إلى الجامع، وهناك يقفون حلقة، ويرمون بما معهم من الرياحين إليهم، وينادون أن الله عز وجل زاد فى النيل كذا وكذا، فيستبشر الناس، ويكثرون حمد الله والشكرله.

وقد جرت العادة فى كل سنة أنه اذا وفى النيل، يرسل الحاكم بشيرا إلى كل البلاد لتطمئن القلوب. وهى عادة قديمة.

وتذكر المصادر أن هذا اليوم، كان يوما مشهودا، وموسما معدودا، ليس له نظير فى الدنيا، وكانت فرحة أهل مصر به لا تعادلها فرحة، وقد خصوا بذلك دون غيرهم من البلاد الشامية وغيرها.

وقد قال القائل فى المعنى :

نادى منادى الوفا بمصر ... اذا علقوا ستره علامة

من الغلا قد سلمت حقا ... وبت فى الستر السلامة

احتفالات الزواج

نظرا لارتباط الزواج بالدين، كان من الطبيعى أن تختلف مراسيم الزواج بانتقال مصر من يد البيزنطيين إلى يد العرب، ومن الديانة المسيحية إلى الاسلامية. وتقدم لنا أوراق البردى الكثير من عقود الزواج التى توضح لنا عادات وتقاليد الزواج فى فترة دراستنا.

وقد كانت عقود الزواج فى هذا العصر تختلف عن عقود الزواج فى عصرنا، فقد كانت غنية بالبيانات المتصلة بالزواج من خطوبة، وشهود، ومهر معجل، ومؤخر، ووصايا بحسن الصحبة والمعاشرة، والأمر بالامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان، وفى بعضها شروط تشترطها الزوجة على الزوج.

ويتضح من هذه العقود أن قيمة المهر فى ذلك الوقت، كانت تتراوح ما بين ٤ دنانير و٢٠ دينارا ذهبا، حسب الحالة الاجتماعية لكل زوجة أو زوج.

أما المؤخر فلم يكن يدفع عند الطلاق كما يحدث حاليا، وانما كان يدفع على أقساط فى مواعيد محددة من تاريخ عقد الزواج.

ونلاحظ أن الزوجة عندما تستلم صداقها تكتب براءة أو اقرار الشهود بأنها استلمت قيمة الصداق. أما بالنسبة للشهود، فنلاحظ من عقود الزواج أنهم كانوا أكثر من شاهدين، وليس كما يحدث فى وقتنا الحاضر. وتقول الدكتورة سيدة كاشف: إنهم كانوا أكثر من عشرة فى الغالب! وكان من الشروط التى تضمنتها عقود الزواج ما يتعلق بحسن الصحبة والمعاشرة، أو يتعلق بزيارة الأهل، أو يتعلق بوضع الزوجة اذا تزوج الزوج عليها أو اتخذ جارية له.

وتتضمن ملاحق الرسالة بعضا من عقود الزواج لنرى فيها بوضوح البيانات المتعلقة بالزواج.

وكان أشهر زواج قد تم فى فترة بحثنا هو زواج قطر الندى إبنة خمارويه. ففى عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م توفى الخليفة المعتمد، وبويع بالخلافة من بعده المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة، فبعث اليه خمارويه بهدايا وتحف، وسأله أن يزوج ابنته قطر الندى لولده المكتفى بالله فقال المعتضد: بل أنا اتزوجها ! وتزوجها فى عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م.

ويذكر ابن اياس أن مهرها الذى دفعه الخليفة المعتضد كان مائة ألف دينار، ومائة ألف شِقّة حرير ملون، وان كان ابن خلكان يقول فى كتابه: إن مهرها قدر ألف ألف درهم.

وقد جهزها خمارويه بجهاز لم ير مثله، لذلك سنعرض وصفا لهذا الجهاز مع ما فيه من مبالغة، من كل مصدر على حده، خاصة أن بعض المصادر العربية تشير إلى أن المعتضد أراد بزواجها أن يفقر أباها خمارويه!

يقول ابن كثير:« فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله، حتى قيل إنه كان فى جهازها مائة هاون من ذهب. فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار الخلافة ببغداد ».

ويقول فى موضع آخر: وهذا « غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى. ثم بعد كل حساب أرسل معها أبوها ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج اليه مما ليس بمصر مثله»!

ويقول ابن دقماق :« وحمل معها مالم ير مثله، ولاسمع به، دكة [7] أربع قطع ذهب، عليها قبة ذهب مشبكة، فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لا يعرف لها قيمة»، وفيه أيضا« ألف تكة، الثمن عنها عشرة آلاف دينار».

---

(٧) الدكة جمع دكاك: بناء يسطح أعلاه للجلوس أو لجعل كرسى عليه.

ويقول القلقشندى :«وجهز اليه مهرها ألف ألف درهم، وهدايا كثيرة ووشاح وبدلة جوهر، فأجابة خمارويه إلى ذلك، وهادى بالهدايا الجمة، وجهزها بجهاز لم يسمع بمثله، يقال إنه كان فيه ألف هاون من ذهب» .

ويقول السيوطى :« وكان جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة، وعشر صناديق جوهر».

ويقول ابن اياس :« كان معها من القماش والأوانى مالا يحصر، حتى قيل نقل جهازها من مصر إلى بغداد فى ستة أشهر! فكان من جملة ما ذكر من جهازها مائة هاون ذهب، وألف سروال حرير، وفى تكة كل سروال جوهرة قدر بيضة الحمامة»!

ولما فرغ خمارويه من جهاز ابنته قطر الندى، أمر فبنى لها على رأس كل منْزِله تنزل فيها قصرا فيما بين مصر وبغداد. وأخرج معها خمارويه أخاه خزرج بن أحمد بن طولون (وفى رواية المقريزى شيبان بن احمد بن طولون) فى جماعة مع ابن الجصاص، الحسن بن عبد الله، فكانوا يسيرون بها سير الطفل فى المهد، فكانت اذا وافت المنزلة وجدت قصرا قد فرش فيه جميع مايحتاج اليه، وقد علقت فيه الستور، وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها. وكانت فى مسيرها من مصر إلى بغداد- على بعد الشقة - كأنها فى قصر أبيها، حتى قدمت بغداد فى أول المحرم سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م.وكانت عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون قد خرجت لتوديعها، فنزلت مكان القرية المعروفة بالعباسية من بلاد الشرقية من الديار المصرية، فعرفت بها كما ذكرت فى موضع سابق.

وعندما وصلت قطر الندى بغداد، نزلت فى دار صاعد بن مخلد، لأن المعتضد كان بالموصل . وزفت قطر الندى إلى المعتضد فى ربيع الآخر من نفس العالم، وعند ذهابها اليه من دار صاعد، منع الناس من المرور فى الطرقات، ويصف الطبرى زفافها اليه بقوله:

«ونودى فى جانبى بغداد الا يعبر احد فى دجلة يوم الأحد، وغلقت أبواب الدروب التى تلى الشط، ومد على الشوارع النافذة إلى دجلة شراع، ووكل بحافتى دجلة من يمنع أن يظهروا فى دورهم على الشط. فلما صليت العتمة، وافت الشذا[8] من دار المعتضد، وفيها خدم معهم الشمع، فوقفوا بإزاء دار صاعد. وكانت اعدت اربع حراقات[9]، شُدّت مع دار صاعد، فلما جاءت الشذا أحدرت الحراقات، وصارت الشذا بين أيديهم، وأقامت الحرة يوم الاثنين فى دار المعتضد، وجليت عليه يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول ».

وقد توفيت قطر الندى زوجة المعتضد فى رجب سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد.

أما الزواج الثانى الذى تم فى فترة بحثنا، فهو زواج الحسين بن القاضى ابو زرعة ببنت ابى على الحسين بن أحمد الماذرائى المعروف بأبى زنبور.

يقول الكندى :

«فكتب أبو زنبور أسامى مائة نفس فى درج، ووعدهم أن يكونوا عنده قبل صلاة الصبح، فحضروا، فاخرج اليهم مائة غلام بمائة قدح غالية، ومائة قمقم ماء ورد، ومائة مشط، ومائة مرآة، ومائة مبخرة. ثم عقد النكاح، فخرج مائة غلام، بمائة طست، ومائة إبريق وعشرة موائد، فعقدوا على كل مائدة عشرة أنفس، فاكلوا ثم غسلوا أيديهم، فالقيت على أيديهم مائة منديل، وأعيد عليهم الطيب والبخور، واخرجت مائة صينية فيها الدنانير وتماثيل النَّد[10] والعنبر، فالقيت فى أكمام الناس، وكان املاكا ماسمع بمثله، وكان العرس بعد ذلك أعظم من الأملاك».

---

(٨) الشذا جمع شذوات: ضرب من السفن. هى سفن صغيرة .
(٩) الحراقة : جمع حراقات. السفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو.
(١٠) الند بالفتح عود يتبخر به. وهى كلمة فارسية.

وكان الزواج يشترط فيه التكافوء الاجتماعى، فتتزوج الأميرة من أمير مثلها أو حتى خليفة أو ابن قاضى أو ابن وزير، وهكذا. ويظهر ذلك بوضوح فى حكاية ذكرها الكندى فهو يقول:

« إن عبد الأعلى بن سعيد الجَيْشَانى تزوج بامرأة من بنى كُلال، فقام بعض أوليائها فى ذلك وأنكروه، وترافعوا إلى أبى خزيمة (ابراهيم بن يزيد قاضى مصر) فقال: ما أُحلِ ماحرم الله، ولا أحرم ما أحل الله، اذا زوجها ولى فالنكاح ماض. فارتفعوا إلى يزيد بن حاتم، وهو الأمير يومئذ، فقال يزيد: ليس عبد الأعلى من أكفائها، وأمر أبا خزيمة بفسخ نكاحها، فامتنع أبو خزيمة من ذلك، وفرق بينها يزيد بن حاتم.»

وهكذا نرى كيف أن عدم التكافوء بينهما أباح للوالى أن يفرق بينهما .

ولا تورد المصادر العربية معلومات كافية عن مظاهر الاحتفالات بالأفراح، ولكن نجد فى ابن عبد الحكم أن يزيد بن أبى حبيب كتب إلى عمر بن عبد العزيز عن اللعب بالدفاف والبرابط [١١] فى العرس. فكتب اليه عمر بن عبد العزيز: إمنع الذين يضربون البرابط، ودع الذين يضربون بالدفاف.

وقد كانت مراسيم الزواج عند اليهود مختلفة، فيقول المقريزى :« ولا يصح النكاح عندهم إلا بولى، وخطبة، وثلاثة شهود، ومهر مائتى درهم للبكر، ومائة للثيب لا أقل من ذلك. ويحضر عند عقد النكاح كأس خمر وباقة مرسين، فيأخذ الامام الكأس ويبارك عليه، ويخطب خطبة النكاح، ثم يدفعه

---

(١١) البربط: من ملاهى العجم، ولهذا قيل معرب. و العرب تسمية المزهر والعود. والبربط من جنس الطنبور الفارسى القديم، ذو الوجه من الجلد، ويعرف الآن باسم: الطنبور العجمى، وصندوقه صغير، بعضه مغطى بالجلد وبعضه بالخشب، وجميعه قطعة واحدة محفورة، والأصل فى تسميته أنه محرف عن (بارباتره)، بمعنى الطنبور ذى الدف، أى المعلق به صندوق مستدير كالطبلة، فكان العرب يسمونه البربط، وهو أيضا بهذه التسمية بالفارسية. والبربط أو الطنبور بوجه عام، اقدم عهدا من العود، ويتميز بطول الساعد حتى يكاد يبلغ أربعة أمثال ساعد العود.

إلى الخَتَن [١٢] ويقول : قد تزوجت فلانة بهذه الفضة، أو بهذا الذهب، وهو خاتم فى يده، وبهذا الكاس من الخمر، وبمهر كذا، ويشرب جرعة من الخمر، ثم ينهضون إلى المرأة، ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمرسين والكأس من يد الختن، فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح، ويضمن أولياء المرأة البكارة....... ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن».

أما الطلاق عند اليهود، فيقول عنه المقريزى : إنه لم يكن يجوز « إلا بفاحشة أو سحر او رجوع عن الدين. وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما للبكر، ونصف ذلك للثيب، وينزل فى كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج: أنت طالق منى، ومختلعة منى، وفى سعة أن تتزوجى من شئت. ولايقع طلاق الحامل أبدا ... ويراجع الرجل امرأته مالم تتزوج، فان تزوجت حرمت عليه إلى الأبد ».

(١٢) الختن جمع أختان: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والاخ.

الطعام والشراب

ربما كان موضوع الطعام والشراب خير مايعطينا من مثل على ثراء الحكام والأمراء والكبراء واسرافهم فى هذا العصر، بقدر ما كان عليه العامة من فقر، ومن الولاة الذين تحدثت المصادر العربية عن موائدهم واسرافهم:

عبد العزيز بن مروان - أحمد بن طولون - خمارويه بن أحمد بن طولون - كافور.

وبالنسبة لعبد العزيز بن مروان فيذكر الكندى أنه كان له ألف جَفْنة كل يوم تنصب حول داره، كما كانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل وهى مملوءة بالطعام، تفرق على الفقراء والمساكين ومعها الخبز، وقد وصف أحد الشعراء مائدة عبد العزيز بن مروان هذه بقوله :

كلُّ يَومٍ كأنه يومُ أضحى ... عند عبد العزيز أو يومُ فِطْرِ
ولَه ألفُ جَفْنَةٍ مُتْرَعَاتٍ ... كل يومٍ يُمُدها ألفُ قِدْرِ

أما أحمد بن طولون فتذكر المصادر العربية أنه كان ينفق على مطبخه فى كل يوم ألف دينار . وكان يعمل سماط عظيم فى داره كل يوم يحضره الخاص والعام ، فينادى فى مصر : من أحب أن يحضر سماط الأمير فليحضر . وكان أحمد بن طولون يجلس بأعلى القصر ينظر ذلك ، ويأمر بفتح جميع أبواب الميدان ، فيراهم وهم يأكلون ويحملون ، فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته . وقد كانت مطابخ الفقراء والمساكين هذه يذبح فيها البقر والغنم ، ويفرق للناس فى القدور الفخار والقصع، ولكل قصعة أو قِدر أربعة أرغفة، فى اثنين منها فالوذج، والاثنان الآخران على القدر أو القصعة.

وبالنسبة لخمارويه بن أحمد بن طولون فيذكر المقريزى أنه كان يُنفق على مطبخه المعروف بمطبخ العامة ثلاثة وعشرين ألف دينار فى كل شهر، بدون أرزاق الطباخين ومن يخدمهم.

كما يصف لنا المقريزى مطبخ دار الحرم التى بناها لزوجات أبيه وزوجاته، كما ذكرت فى موضع سابق، فيقول: «فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم، يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع فى قوته، الزلة الكبيرة، والتى فيها العدة من الدجاج، فمنها ما قُلع فخذها، ومنها ما قد تشعب صدرها، ومن الفراخ مثل ذلك، مع القطع الكبار من الجدى، ولحوم الضأن، والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج، والكثير من اللوزينج، والقطائف والهرائس من العصيدة التى تعرف اليوم فى وقتنا هذا بالمأمونية، وأشباه ذلك مع الأرغفة الكبار. واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعُرفوا به، فكان الناس يتناوبونهم لذلك، وأكثر ما تباع الزلة الكبيرقمنها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم، فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات ... موجودا فى كل وقت لكثرته واتساعه، بحيث أن الرجل إذا طرقه ضيف خرج من فوره إلى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله، ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج مثل ذلك».

أما كافور فقد بالغت المصادر العربية فى ذكر مطبخه:

فيقول ابن اياس: «كان راتب كافور فى مطبخه فى كل يوم ألفى رطل من اللحم البقرى، وسبعمائة رطل من اللحم الضأن، ومائة طير أوز، وثلاثمائة طير دجاج، وثلاثمائة فرخ حمام، وعشرين فرخ سمك كبار، وعشرين رميا رضعا، وثلاثمائة صحن حلوى، وسبعة أفراد فاكهة، وألف كوز فقاع، ومائة قرابة سكر، وعشرة قناطير سكر، وألف كُمَاجة [١٣] من الخبز، وخمسة أفراد بقولات، وكان يحضر على سماطه الخاص والعام».

---

(١٣) الكماج الواحدة كماجة: وهى كلمة فارسية بمعنى خبز مستدير أسمك من الخبز العادى.

ويقول أبو المحاسن عن سماط كافور فى اليوم إنه: «مائتا خروف كبار، ومائة خروف رميس (١٤)، ومائة وخمسون إوزة، وخمسمائة دجاجة، وألف طير من الحمام، ومائة صحن حلوى كل صحن عشرة أرطال، ومائتان وخمسون قرابة أقْسِما».

ولم يكن الولاةُ هم وحدهم الذين ظهروا بمظهر الإسراف على موائدهم، وانما أشارت المصادر العربية كذلك إلى بعض أغنياء الدولة، سواء كانوا من العرب أو من الأقباط.

ومن العرب المسلمين الذين ذكرتهم المصادر:

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على بن الحسن بن ابراهيم بن طباطبا (تسنة ٣٤٨ هـ/ ٩٥٩م) وكان من سادة مصر وكبرائها، يقول عن مطبخه ابن كثير: «لا تزال الحلوى تعقد بداره، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها. وللناس عليه رواتب من الحلوى، فمنهم من يُهدى اليه كل يوم، ومنهم فى الجمعة، ومنهم فى الشهر. وكان لكافور الإخشيد عليه فى كل يوم جامان(١٥) ورغيف من الحلوى».

ومن الأقباط:

مارية القبطية صاحبة قرية طاء النمل . وقد ذكر المقريزى أنها عندما دعت المأمون إلى قريتها « جاء ولدها إلى صاحب المطبخ وسأله: كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته؟ فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة، وكان مع المأمون أخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق

---

(١٤) الرميس : هو ولد الضأن الصغير
(١٥) الجام جمع جامات وأجوام: وهى كلمة فارسية بمعنى الكأس.

والمتوكل ويحيى بن أكثم والقاضى أحمد بن أبى دواد، فأحضرت لكل منهم ما يخصه على انفراده، ولم تكل أحد منهم ولا من القواد إلى غيره، ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا، حتى إنه استعظم ذلك».

وقبل الخوض فى أنواع الطعام والشراب فى هذا العصر، يجب أن نوضح أن معظم ماورد ذكره كان قاصرا على موائد الأغنياء، أما الفقراء وعامة الشعب، فقلما عرفوا ذلك. فيقول عبد اللطيف البغدادى:

« وأما عوامهم، فقلما يعرفون شيئا من ذلك، وأكثر اغذيتهم الصيّر والصحناه [16]، والدلّينس، [17]، والجبن والنيدة ونحو ذلك، وشرابهم المزد وهو نبيذ يتخذ من القمح».

وقد رأينا عند تناولنا لمطبخ دار الحرم فى زمن كافور، أن هذه الأطعمة التى كانت تباع، كان لا يستطيع الرجل العادى أن يصنعها فى بيته، فيقول المقريزى :« فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله، ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك».

ويبدو أن هذه الأطعمة كانت تكلفتها عالية، فيذكر ابن سعيد أن طبق «الحماضية» الذى صنع للاخشيد بلغ ثمنه مائة دينار.

كان الخبز يعد من أهم عناصر الطعام على المائدة المصرية، سواء فى ذلك طعام العامة أو الخاصة. وقد روى الكندى عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، حديثا يرفعه إلى الله عز وجل، يقول يوم القيامة لساكنى مصر، فيما يعدد عليهم من نعمته:

---

(١٦) الصحناة كلمة فارسية وهى ما يطلق عليها العرب الصير. والصير هو السمك الصغير الذى يصاد من النيل عند الفيضان وانصراف الماء، ولايزيد عن الأصبع فى حجمه، ويسمى أيضا الملوحة، اذا كبس بالملح، ويسمى اذا كان طازجا البسارية، وتؤكل مشوية ومقلية.

(١٧) ويعبر المقدسى عن هذه الاكلة بانها اقذر شئ «حيوان بين زلفتين صغيرتين، يفلقان ويحسى مثل المخاط». ويبدو لنا أنه يقصد بهذه الاكله أم الخلول».

« ألم أسكنكم مصر، فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها »؟
وعندما تولى موسى بن كعب من قبل المنصور عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م كان يقول:« كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز، فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان »!

وقد كانت كل مدينة تبنى، يبنى فيها عدة أفران، بل إن دار عبد العزيز بن مروان كان بها عدة أفران كما ذكرت فى موضع سابق.

ومن أنواع الخبز التى عرفت بمصر: الخبز الحوارى، وكان من أجود أنواع الخبز فى عهد الطولونيين والاخشيديين، وكان يصنع من الدقيق الأبيض المنخول.

ومن انواع الخبز أيضا نوع يسمى كعكا، وكان ـ كما يقول المقريزى ـ يعمل من جريش الحنطة ويجفف. ويكثر هذا النوع عند فلاحيهم، وهو أكثر أكلهم السنة كلها، ويعرف أيضا بكعك مصر الخشن.

ويذكر ابن سعيد أن أبا بكر محمد بن على المادرائى كان قد عمل كعكا لحاشيته، وعزم على الخروج إلى مكة، فتوفى وكان ذلك عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، فباعوا الكعك للناس ولم يتصدقوا به بعد موته.

ويذكر البلوى أن رغيف الخبز فى الدولة الطولونية كان به رطلان زائدان.

ومن الأطعمة أيضا:

الترمس، وكان من الحبوب التى يقبل الناس على أكلها، فكان يسلق وينقع فى الماء عدة أيام لتذهب مرارته، كما كان يحلى أو يملح.

كما كان العدس من الأطعمة التى يقبل عليها الناس، وخاصة الأقباط. وقد ذكرت فى موضع سابق انه كان للأقباط عيد يعرف بخميس العهد، فكانت العامة تطلق عليه خميس العدس، لأن الأقباط كانوا يطبخون فيه

العدس بأصناف عدة. ويذكر آدم متز أن العدس كان يعتبر طعام حداد، وأن نصارى مصر يأكلونه فى كل يوم جمعة.

وكان الحمص المسلوق من الأطعمة التى ينتشر بيعها فى الأسواق، فقد ذكر المقريزى أنه كان خارج مدينة الفسطاط سوق عظيم يباع فيه حمص مسلوق، فكان به عدد ٣٩٠ قدر حمص مسلوق.

ومن الأطعمة أيضا السويق. وطريقة صنعه أن تحمص الحبوب جيدا، ثم تطحن ويصنع من دقيق الحنطة أو الشعير أو الفول، وأحيانا يطحن مع الحبوب البلح والسكر وهو طعام سهل التجهيز، وتصنع منه غالبا العصيدة أو الثريد باضافة الماء أو الزبد .

كما كان أهل مصر يأكلون الجلبان، وخاصة الرهبان منهم.

ومن أشهر أكلات العرب التى عرفت فى مصر الثريد، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق، ويوضع فوقه اللحم.

ومن الأكلات التى ذكرت فى الدولة الطولونية:

فراريج كردباج حارة: والصحيح فراريج كردناج، وهومعرب كردناك، وهو شواء فى سَفُّود يقلب على النار لينضج ويؤكل.

بزمْاوْرد، أو الزماورد: طعام قيل هو الرقاق الملفوف باللحم ويسمى لقمة القاضى. وقيل هو طعام من البيض واللحم، وهو لفظ فارسى. وصنعته أن يؤخذ الشواء الحار الذى فتر وهجه، ويقطع ويجعل عليه ورق النعنع، ويسير من خل خمر وليمون مملوح ولب جوز، ويرش عليه يسير ماء ورد، ويدق بالساطور دقا ناعما، ولايزال يسقى خلا إلى أن يشربه جيدا، ويؤخذ الخبز السميذ الملبب، فيخرج لبابة، ثم يُحشى من ذلك الشواء حشوا جيدا، ويقطع ويبل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد، ثم يفرش فيه نعنع طرى، ويعبى فيه بعضه فوق بعض، ويغطى أيضا بشىء من النعنع، ويترك ساعة ثم يؤكل.

ومن الأكلات التى ذكرت فى الدولة الاخشيدية:

الهريسة، وهى مصنوعة من لحوم الضأن والبقر والدجاج، ودقيق بعض الحبوب مثل القمح بالاضافة إلى البصل والتوابل بنسب محددة.

البقرية، وكان الاخشيد يحبها.

وقد كثر فى الأسواق المصرية فى ذلك الوقت الأماكن الخاصة ببيع الشواء، وهو المعروف اليوم باسم «الكباب» حتى إن الاخشيد حذر الشاعر أبو القاسم سعيد المعروف بقاضى البقر من شراء شواء من محل «دار فرح» لانه يباع نيا ويخلط بلحم الماعز .

ومن الحلوى:

النيدة: وهى تعمل من بقول القمح، وقد روى عن مريم عليها السلام أنها عندما دخلت إلى مصر ومعها ابنها عيسى عليه السلام وهو رضيع، شكت إلى الله تعالى قلة اللبن بها، فالهمها الله تعالى أن غلت النيدة، وأطعمت منها عيسى عليه السلام.

عسل النحل: وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أهدى اليه من المقوقس هدية، من ضمنها عسل نحل من بنها، فلما أكل منه أعجبه، فقال: من أين هذا العسل؟ فقيل له: من قرية من قرى مصر، يقال لها بنها، فقال: اللهم بارك فى بنها وفى عسلها.

القُنُود[١٨]: وهى الحلاوة المصنوعة من قصب السكر، فكان أهل الصعيد يكسرون قصب السكر فى شهر كيهك (ديسمبر)، ويعتصر، ويعمل منه الطباخون القنود، ثم يحملونها إلى الفسطاط وغيرها من المدن، فتباع هناك .

---

(١٨) القَنْد جمع قنود: عسل قصب السكر اذا جمد. وهى كلمة فارسية معربة.

الكنافة: يذكر القرمانى أنها صنعت فى خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ـ ٩٩هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧م)، فكان يتسحر فى ليالى رمضان كل ليلة بثمانين رطل كنافة. وهى مبالغة كما هو واضح.

ومن الحلويات التى ورد ذكرها فى الدولة الطولونية:

الفالوذج أو البالوظة، واللُّوْزينج وهى تشبه القطائف وتعمل بدهن اللوز، والقطائف،والعصيدة التى تعرف بالمامونية.

هذا إلى جانب صنف ذكره ابن سعيد يعرف باسم : سمانى زيرباجا.

ومن الحلويات التى ورد ذكرها فى الدولة الاخشيدية:

الحماضية: وكان الاخشيد يحبها، وهى تعمل من الأترج، ويوضع فيها ماء الورد والمسك، والأفاويه، والجوازيه.

الكعك المحشو بالسكر: ويذكر المقريزى أنه عمل فى أيام أبى بكر محمد ابن على المادرائى .

أفطن له!: وقد عمل فى أيام أبو بكر محمد بن على المادرائى، ويقول المقريزى عن سبب تسميته بذلك:« كان قد سمع فى سيرة المادرائيين أنه عمل له هذا ال «أفطن له»، وفى كل واحدة خمسة دنانير، ووقف أستاذ على السماط، فقال لأحد الجلساء: أفطن له! وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس، لكن ما فيه الدنانير صحنا واحدا، فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله: أفطن له، وأشار إلى الصحن، تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه، فحصل له جملة، وراه الناس وهو اذا أكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره، فتنبهوا له، وتزاحموا عليه، فقيل لذلك من يومئذ «أفطن له ».

ويذكر البغدادى فى كتابه أنهم كانوا يطبخون الدجاج كصنف حلو، وذلك بأن يسلق الدجاج، ثم يوضع فى الجُلاَّب [(١٩)]، ويلقى عليه بندق أو فستق أو خشخاش أو بذر رجلة أو ورد، ويطبخ حتى ينعقد، ثم يتبل ويرفع، وتسمى هذه الأصناف باسم حشوها، فتعرف بالبندقية، والفستقية، والخشخاشية، وست النوبة لبذر الرجلة لسوادها، والوردية.

ثانيا : الشراب.

اذا كان الخبز هو الطعام الذى لا تخلو منه المائدة المصرية على مر العصور، فان الماء يعتبر الشراب الرئيسى على تلك المائدة.

وقد أورد المقريزى العديد من الطرق التى كانت تتبع لتنقية ماء النيل، ليكون صالحا للشرب، وذلك بترسيب المواد الغريبة العالقة بالماء باستخدام الطباشير وأنواع من الطين وقلوب نوى المشمش، أو بتقطيره فى أوان من الخزف والفخار أو الجلود، وذلك بعد غليه وتركه يبرد .

وكان عامة المصريين يهتمون بتبريد الماء فى الصيف باستخدام آنية من الخزف والفخار لهذا الغرض، وفى الشتاء يوضع الماء فى آنية من الزجاج المدهون، وغالبا ماكان يضاف إلى ماء الشرب القليل من ماء الورد، وأحيانا يبخر الاناء بأنواع الأبخرة الطيبة لتجويد مذاق الماء .

ويذكر ياقوت أن أهالى تنيس عندما تتكامل زيادة النيل تغلب حلاوته على ماء البحر، فتصبح بحيرة تنيس حلوة، فحينئذ يدخر أهالى تنيس المياه فى صهاريجهم ومصانعهم لمدة عام.

كما يذكر ياقوت عن نَسْتَرو، وهى جزيرة بين دمياط والاسكندرية ـ بانه ليس عند أهلها ماء، وانما يأتيهم الماء فى المراكب، فاذا لاحت لهم مراكب الماء، ضربوا بوق البشارة سرورا، ثم يأتى كل رجل بجرته يأخذ فيها الماء .

---

(١٩) الجلاب أو الجلأب : العسل أو السكر عقد بماء الورد.

وعرف الأغنياء فى مصر، ولاسيما فى العصر الاخشيدى، الماء المثلج، وكان الثلج بمصر يستعمل فى تبريد الماء والمشروبات. ولكن الظاهر أنه لم يكن يصل إلى مصر كل يوم بانتظام.

ومن الأشربة التى وجدت فى تلك الفترة:

الشمسى: وهو من أجود الأشربة كما يقول المقريزى، ويدخل فى صناعته الزبيب والعسل، ويصنع فى الوقت الشديد الحرارة.

المزر: وهو شراب يعمل من الشعير، ويستعمل عند بعض الناس بدل الخمر، وإذاأكثر من شربه ـ كما يقول ابن البيطار ـ فإنه يؤدى إلى الغثيان والقيء. وقد ذكره البغدادى باسم المزد، وقال عنه: إنه نبيذ يتخذ من القمح، وهو شراب العامة.

شراب العسل أو نبيذ العسل: ويصنع من ماء النيل وقت الفيضان مضافا اليه العسل .وكان هذا الشراب ينقل من مصر إلى سائر الأقطار.

الشوبية: يذكر الكندى أن عبد الرحمن بن حجيرة كان يشربها.

المثلث: وهو شراب يطبخ حتى يذهب ثلثاه.

شراب الأقسما: وكان يصنع من السكر الأبيض النقى المضاف إلى الماء، وماء الورد ويطيب بالمسك ويبرد بالثلج.

شراب الفقاع: وهو شراب يتخذ من الشعير، وقد سمى بذلك لما يرتفع فى رأسه ويعلوه من الزبد.

صناعة الخمور: وكان يختص بصناعتها الأقباط، فكانت تعتصر من كرومهم خاصة فى شهر مسرى (أغسطس)، ويضاف اليها العسل.

ويبدو أن شرب الخمر كان منتشرا فى مصر فى تلك الفترة! لذلك نجد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ١٠١هـ/٧١٧ ـ ٧١٩م) يرسل رسالة إلى

أيوب بن شرحبيل - والى مصر - وأهل مصر، ينهى فيها عن شرب الخمر. لذلك فـفى ولاية أيوب بن شـرحـبـيل عـام ٩٩هـ/ ٧١٧م حـرمت الخـمـر، وكسرت، وعطلت حاناتها كما تذكر المصادر العربية.

الملابس والزينة

كان من اثر انتقال مصر من يد البيزنطيين الى يد العرب ، ومن الديانة المسيحية الى الديانة الإسلامية ، أن طرأ تغيير على ملابس الناس يواكب التغيير الجديد . فبانقسام المصريين إلى مسلمين وأهل ذمة ، أصبح للمسلمين ملابسهم ولأهل الذمة ملابسهم ، وهو لم يكن موجودا قبل الفتح .

وسنتناول فى الصفحات القادمة التطور الذى طرأ على الملابس . وفقا للتركيب الاجتماعى للسكان ووظائفهم ودينهم .

كان لبس البدو - كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن - يتكون من قَبَاء(٢٠) طويل مشقوق من الوسط ، ومتدل الى العقب ، ومربوط من الوسط بحزام من الجلد ، ولايزال البدو من الرجال والنساء يستعملون هذا اللباس إلى اليوم . وكانوا يرتدون العباءة فوق القباء ويصنعونها من وبر الجمل ، وكانوا يرتدون فى الحرب أو فى ركوب الخيل أردية خاصة ، فيلبسون السروال عادة ، ورداء قصير بدلا من الثياب الفضفاضة.

وتذكر المصادر العربية أن الملابس التى أعطاها عمرو بن العاص لجنوده فى مصر كانت تتكون من جُبَّة (٢١) وبُرْنُسا (٢٢) أو عمامة وخفين .

وبمرور الوقت حدث تطور فى ملابس العرب، وكان ذلك يرجع فى الغالب لرغبة الخلفاء. ففى عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م) شاع الوشى (٢٣) الذى كان يجلب من اليمن والكوفة والاسكندرية،

---

(٢٠) القباء جمع اقبية : وهو ثوب يلبس فوق الثياب.
(٢١) الجبة جمع جبب وجباب : وهو ثوب واسع يلبس فوق الثياب.
(٢٢) البُرْنُس: قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الاسلام. والبرنس كذلك بمعنى كل ثوب يكون غطاء الراس جزءا منه، متصلا به.
(٢٣) الوشى جمع وشاء: نقش الثوب.

واتخذ الناس منه جلبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس .وقد بلغ من ولوعه بالوشي أنه كان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته وعماله وأصحابه ورجال بلاطه إلا في الوشي، وكان رداوءه اذا جلس أو ركب أو ارتقى المنبر من الوشي .

وفي عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٤٢م) أدخل زي الخَزّ أو القُطُف أي القماش الناعم. فسلك الناس جميعا في أيامه مذهبه .

وفي سنة ١٥٣ هـ/ ٧٧٠م أمر أبو جعفر المنصور (١٣٦ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ـ ٧٧٤م) بلبس القلانس الطوال، وهي القبعات السود الطويلة المخروطة الشكل ـ بصفة رسمية، والدراريع مكتوب عليها بين كتفي الرجل (فسيكفيكهم الله). كما أمرهم بتعليق السيوف في أوساطهم، كما أدخل استعمال الملابس المحلاة بالذهب، وغدا خلعها على الناس من حق الخليفة.

وينسب إلى الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ ـ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) أنه أول من اتخذ الزي الفارسي زيا رسميا.

وفي خلافة المتوكل (٢٣٢ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١ م) أوجد زيا عرف بالمتوكلية، وهو نوع من ثياب الملحم أي المبطن، وقد فضله على سائر الثياب، واتبعه مَن في داره على لبس ذلك، كما لبسه الناس وبالغوا في ثمنه وهو غاية في الحسن والصبغ وجودة الصنع.

وفي خلافة المستعين بالله (٢٤٨ـ ٢٥٢هـ / ٨٦٢ ـ ٨٦٦م) صغّر القلانس، وأحدث لبس الأكمام الواسعة التي لم تكن تعهد من قبل، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك. وكانت هذه الأكمام تقوم مقام الجيوب، يحفظ فيها الانسان كل ما يحتاج إلى حفظه من أقلام وكراريس وأموال ودواة وغيرها .

ولم يقتصر تطور ملابس العرب على الخلفاء، بل كان لبعض الولاة دور في هذا التطور، ففي عام ٨٧هـ/ ٧٠٥م منع عبد الله بن عبد الملك والي مصر

(٨٦ - ٩٠هـ/٧٠٥ - ٧٠٨م) من لبس البرانس. وتذكر المصادر العربية أنه هو أول من نهى الناس عن لبس البرانس السود.

وفى أثناء ولاية يحيى بن داود على مصر من قبل المهدى (١٦٢-١٦٤هـ/٧٧٨-٧٨٠م) أمر الفقهاء والأشراف والأعيان بلبس القلانس الطوال عند الدخول عليه لمقابلته، وذلك فى يومى الاثنين والخمسين - بلا أَرْدِيَة (٢٤).

وقد اختلفت ملابس عمال الدولة، تبعا لوظائفهم، فكان الكُتّاب يلبسون الدراعات، وهى ثياب مشقوقة من الصدر.

أما القضاة فكان لهم زى خاص، ويذكر أن أول من ميزهم بلباس مخصوص بهم هو القاضى أبو يوسف فى عهد هارون الرشيد. فكان القاضى يلبس السواد كهيئة عمال بنى العباس، وكانت ملابسه تتكون من طيلسان أسود وعمامة سوداء.

ويذكر الكندى أن القاضى المفضل بن فضالة الذى تولى القضاء من قبل المهدى (١٦٨- ١٦٩هـ / ٧٨٤- ٧٨٥م) كان «يعتم بعمامة سوداء على قَلَنْسيّة طويلة».

أما القاضى اسماعيل بن اليسع الذى تولى القضاء من قبل المهدى (١٦٤- ١٦٧هـ/ ٧٨٠- ٧٨٣م) فيذكر الكندى أنه كان يصلى الجمع وعليه كساء مربع من صوف وقطن وقلنسية حِبْر.

وعندما تولى محمد بن أبى الليث الخُوَارزمى القضاء من قبل المعتصم (٢٢٦- ٢٣٥هـ/ ٨٤٠ - ٨٤٩م) أمر الشيوخ بعدم لبس القلانس، فيقول الكندى : «كان زى أهل مصر وجمال شيوخهم وأهل الفقة والعدالة منهم لباس القلانس الطوال، وكانوا يبالغون فيها، فأمرهم ابن أبى الليث بتركها،

---

(٢٤) الرداء جمع أردية : ما يلبس فوق الثياب كالعباءة والجُبّة.

ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضى وزيه، فلم ينتهوا. قال ابن عثمان: فجلس ابن أبى الليث فى مجلس حكمه فى المسجد، واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانس، فأقبل عبد الغنى ومَطَر، فضربا روءوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم».

ويبدو أن القضاة كانوا ملزمين بالزى المخصوص بهم. فمثلا عندما ولى الحارث بن مسكين القضاء من قبل المتوكل (٢٣٧- ٢٤٥هـ/ ٨٥١- ٨٥٩م) طُلب منه أن يلبس السواد، فامتنع، فخوفه أصحابه سطوة السلطان به، وقالوا: سوف يقال إنك من موالى بنى أمية! فأجابهم إلى لباس كساء أسود من الصوف.

كما يحكى أيضا أن القاضى أبا زُرْعة محمد بن عثمان الذى تولى القضاء من قبل هارون بن خمارويه (٢٨٤- ٢٩٢هـ/ ٨٩٧- ٩٠٤م) قدم دمشق على الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب فقال له:«يا أبا زرعة، بلغنى أن القضاة والشهود يركبون بغير سراويل - واتفق أنى كنت بغير سراويل - فعاهدت الله إن سلمت من التفتيش أن لا أعود، فسهَّل الله أن نهضت قبل أن يمتحننى بالتفتيش».

وقد اختلفت ملابس الطبقة الراقية الغنية عن ملابس العامة، لذلك كان من السهولة التفريق بين طبقات المجتمع فى ذلك الوقت.

وكان اللباس العادى للطبقة الراقية يشتمل على سراويل فضفاضة وقميص ودراعة وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وعباءة أو جبة.

ولم يكن الأغنياء يتأنقون فى ملابسهم فحسب بل كانوا يتسابقون كذلك إلى الحصول على النادر والثمين منها. وكانت الفراء الغالية معروفة بين الأغنياء، ولم يكن لبسها وقفا على النساء بل كان الرجال يلبسون المعاطف المصنوعة من الفرو.

يقول ابن سعيد:« وحدثني مزاحم بن رائق قال : استعمل لي فرو قام عليّ بستمائة درهم، فمن حسنه وفرحي به لبسته بدمشق، وركبت إلى الاخشيد، فلما رآه قلّبه واستحسنه و قال : مارأيت مثله قطا فلم تسمح نفسي بأن أنزعه للوقت، فلما انصرف اعترضني جانك (وهوالمعروف بفاتك) وقال لي : اجلس فان الاخشيد يريد أن يخلع عليك ! وجاء وا برزمة وقالوا اخلع الفرو، وطووه ومضوا به. وبقيت جالسا ثم قالوا : قد نام، تعود اليه العشية! فانصرفت إلى داري، وقلت: هاتوا الفرو! فقالوا: ايما فرو!! ماجاء نا شيء! فلما كان عشية دخلت على الاخشيد فاذا الفرو عليه، فلما رآني ضحك وقال: كيف رأيت؟ ما أصفق وجهك! ولكنك ابن أبيك، وكم عرضت لك وأنت لا تستحي فلم تفعل، حتى أخذناه بلا شكر ولا منة».

وكان الأغنياء من الرجال والنساء، يلبسون الجوارب المصنوعة من الحرير أو الصوف أو الجلد ويسمونها (موزاج).

أما عامة الناس فكان لباسهم يشتمل على إزار [٢٥] وقميص ودراعة وسترة طويلة وحزام، وكانوا ينتعلون الأحذية والنعال.

وكان لباس الرأس هو العمامة وهي عادة من عادات العرب، وكان حجمها يختلف تبعا للسن والمركز العلمي وغيرهما. وكانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة، وهو عبارة عن منديل كبير متدل إلى الكتفين ليقي الرقبة حرارة الشمس .

هذا فيما يتصل بملابس الرجال، أما مايتصل بملابس المرأة فكانت تتكون من سروال فضفاض، وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة في البرد، واذا خرجت المرأة من بيتها ترتدي الحِبَرة وهي ضرب من برود اليمن، وهي ملاءة طويلة سوداء تغطي جسمها، وتقي ملابسها من التراب والطين، وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة.

---

(٢٥) الإزار او المئزر كما يسمى احيانا عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلف على الجسم، تعقد على وسطه من تحت السرة، وربما فيها ازرار.

وقد تطورت ملابس النساء فى العصر العباسى تطورا ظاهرا عما كانت عليه فى العصر الأموى، اذ اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء للرأس (البرنس) مرصعا بالجواهر، محلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة. ويرجع ابتكار هذا الغطاء إلى علية بنت المهدى وأخت الرشيد. وكانت نساء تلك الطبقة يعلقن الحُجُب بزنار [٢٦] البرنس للزينة.

أما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين روء سهن بحلية مسطحة من الذهب، ويلففن حولها عصابة مرصعة باللؤلؤ والزمرد، ويلبسن الخلاخل فى أرجلهن والأساور فى معاصمهن وأزنادهن، ولم يجهلن فن التجميل الذى أخذنه عن الفارسيات، وكان «طابع الحسن» الصناعى مما يتحلى به الاعرابيات.

ولم تكن الملابس تختلف فقط بين طبقات المجتمع وانما كانت تختلف ايضا بين الحضر والريف، وبين كل مدينة وأخرى فيذكر الوطواط أن أهل مدينة بلبيس كانوا يأخذون بزى أهل مصر.

ملابس أهل الذمة:

عندما فتح العرب مصر، لم تكن ثمة حاجة لالزام المصريين بلبس معين يميزهم عن العربى، اذ كان لكل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة، وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم دون جبر أو الزام، على أن الحاجة استلزمت هذا الالزام فيما بعد، حين أخذ العرب بحظ من التمدن، إذ حمل الاغراء الشعوب الخاضعة لهم على الاقتداء بهم فى ملبسهم، والتشبه بهم فى ثيابهم.

ومن هنا، ولتمييز أهل الذمة عن المسلمين، أخذ الخلفاء يصدرون المراسيم بخصوص الملابس.

وقد كان أول هؤلاء الخلفاء هو عمر بن عبد العزيز، فيذكر ابن عبد الحكم انه كتب إلى عماله يقول:« لا يمشى نصرانى إلا مفروق الناصية، ولا

---

(٢٦) الزُنّار جمع زنانير: ما يشد على الوسط . وهى كلمة يونانية.

يلبس قباء، ولا يمشى إلا بزنار من جلود، ولايلبس طيلسانا ولا سراويل ذات خَدَمة (٢٧)، ولا نعلا لها عَذبة».(٢٨)

وفى خلافة هارون الرشيد(١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٨م) طلب منه أبو يوسف تمييز أهل الذمة، بأن يجعلوا فى أوساطهم الزنارات (مثل الخيط الغليظ يعقد فى وسط كل واحد منهم)، وبأن تكون قلانسهم طوالا. فيقول له:«مرعمالك أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزى، هكذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر عماله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزى وقال:حتى يعرف زيهم من زى المسلمين» (٢٩). وإن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله أن « لايلبس نصرانى قباء، ولا ثوب خز ولا عصب. وقد ذكر لى أن كثيرا من قبلك من النصارى راجعوا لبس العمائم، وتركوا المناطق على أوساطهم».

وفى عام ١٩١هـ / ٨٠٦م أمر هارون الرشيد أهل الذمة بتمييز لباسهم وهيئاتهم فى بغداد (مدينة السلام) وغيرها من البلاد .

وفى عام ٢٣٥هـ / ٨٤٩م ألزم المتوكل أهل الذمة كلهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير، وبتصيير زرين على قلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التى يلبسها المسلمون، وبتصيير رقعتين على ماظهر من لباس مماليكهم (رجالهم) مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذى عليه، وأن تكون احدى الرقعتين بين يديه عند صدره، والأخرى منهما خلف ظهره، وتكون كل واحدة من الرقعتين قَدْر أربعة أصابع، ولونهما عسليا. ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلى، ومن خرج من نسائهم فبرزت، فلا تبرز إلا فى إزار عسلى. وأمر بأخذ مماليكهم بلبس الزّنانير وبمنعهم لبس المناطق.

---

(٢٧) خَدَمة: الخلخال. المُخَدّم والمُخَدَمة: رباط السراويل عند أسفل الرجل

(٢٨) العَذَب: الاطراف من كل شئ.

(٢٩) ترى الدكتورة سيدة كاشف أن ماورد فى كتب الفقهاء عن أمور اشترطها عمر بن الخطاب على أهل الذمة بخصوص ملابسهم والدواب التى يركبونها، مما يميز بينهم وبين المسلمين من الناحية الاجتماعية والأدبية - قد أصابها الزيادات الكثيرة، والتأويلات وسوء التفسير والتحريف خاصة منذ القرن ٥ هـ / ١١م. فليس من المعقول أن يتدخل عمر بن الخطاب فى ملابس أهل الذمة حتى ولو تشبهوا بالعرب القادمين، والمعقول أن العرب الذين كانوا فى دور البساطة زمن الفتح هم الذين أخذوا يتشبهون بأهل البلاد المفتوحة فى ملابسهم، حين بدأوا يتخلون عن عهد البساطة الأول، ويسيرون فى ركب التطور والمدنية.

وفى عـام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م زاد المتـوكل فى التـغليظ على أهل الذمـة فى التمييز فى اللباس.وفى عام ٢٣٩هـ/٨٥٣م أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس دُرّاعتين عسليتين على الأقبية والدراريع.

ويذكر ابن الراهب أن المتوكل أمر أن لا يلبس أحد من النصارى واليهود أبيض بل مصبوغا.

وفى سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م أمـر المقـتـدر بالله أهل الذمـة بلبس العـسلى، وتعليق الرِّقاع المصبوغة بين أظهرهم .

ويورد الأبشيهى قـائمة بما تراه جماعة الشافعية من القيود على الملابس، فيقول :

«قـال أصحاب الشـافعي : ويلزمـهم أن يتمـيزوا فى اللباس عن المسلمين، وأن يلبسـوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة، ويشـدوا الزنانير على أوسـاطهم، ويكون فى رقـابـهم خـاتم من نحـاس أو رصـاص أو جـرس يدخلون به الحمام، وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات. وأما المرأة فانها تشد الزُّنار تحت الإزار، وقيل فوق الإزار وهو الأولى، ويكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام، ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض.

ويقـول القلقشندى فى كتابه تحت عنوان (فى ذكر مـايحتـاج الكاتب الى معرفته فى عقد الذمة):

«التـمـييز عن المسلمين فى اللِّبـاس: بأن يخـيطوا فى ثيـابهم الظاهرة مـا يخـالف لونهـا، سـواء فى ذلك الرجـال والنسـاء. والأولى باليـهـود الأصـفـر، وبالنصارى الأزرق والأكْهَب (وهو المعبر عنه بالرمادى)، وبالمجوس الأسود والأحمر، ويُشُدُّ الرجال منهم الزُّنَّار من غير الحرير فى وَسَطه، وتشُدّه المرأة تحت إزارها، وقيل فوقه. ويميـزون مـلابسـهم عن مـلابس المسلمين، وتغاير المرأة لون خُـفَّيْـهـا بأن يكون أحـدهمـا أبيض والآخـر أسـود، و نحـو ذلك. ويُجعل فى عنقه فى الحمام جُلْجُلا أو خاتما من حديد. وان كان على رأس أحدهم شـعـر أمر بَجِّز ناصيـتـه. ويمنعـون من ارسـال الضفـائر كمـا تفعل

الاشراف. ولهم لبس الحرير والعمامة والطيلسان. والذى عليه عرف زماننا فى التمييز أن اليهود مطلقا تلبس العمائم الصفر، والنصارى العمائم الزرق».

وبالنسبة للزينة :

فقد كان أهل اليسار يقبلون على التطيب بالروائح العطرية إقبالا عظيما – كما تقول الدكتورة سيدة كاشف. وقد روى ابن زولاق أن الحسين بن أبى زرعة – أحد قضاة مصر زمن الاخشيد – كان يبالغ فى التطيب. وكان الاخشيد يحب العنبر ويجمع منه مقادير كبيرة. فيقول ابن سعيد: «وكان قد اشتهر عنه محبة العنبر، وكان أكثر ما يهدى اليه، فكان اذا جاءت هذه الأوقات التى يهدى اليه فيها، أخرج من خزانته العنبر الى التجار فيشتريه الذين يهدونه اليه، فيحصل له الثمن الوافر ثم يعود العنبر. أقام سنين كثيرة يعمل هذا، وقيل إنه اجتمع عنده قناطير. واحترق فى سنة ثلاث واربعين (وثلاثمائة) فى دار أبى الفضل بعقبة ابن فليح لجاريته أم أولاده، عنبر كثير، كان يُشم على بعد، وكنت أسمع الناس يقولون: احترق لهم فى دار أبى الفضل عنبر، وأسفاط، وأعدال، وصينى، مامبلغه مائة ألف دينار».

ويقول ابن سعيد فى موضع آخر: «كانت خزانة طغج للطيب تحمل فى سفره على نيف وخمسين جملا».

الألعاب ووسائل التسلية

مع اصطباغ المجتمع المصرى بالصبغة العربية، كان من الطبيعى أن تصطبغ عاداته وتقاليده بالصبغة العربية أيضا، ومن هذه العادات مايتصل بالألعاب ووسائل التسلية التى عرفتها مصر بعد الفتح العربى.

ومن وسائل التسلية والألعاب التى كانت منتشرة فى مصر، وذكرتها المصادر العربية خاصة فى الفترة التى يتناولها بحثنا:

١- الشِّطْرَنْج(٣٠):

وهى لعبة ذات أصل هندى، ويذكر ابن اياس أن عمرا بن العاص هو أول من أدخل علم الشطرنج إلى مصر.

٢- الحواة:

ومن الألعاب التى كانت منتشرة فى مصر خاصة فى العصر الاخشيدى الحواة الذين يلعبون بالثعابين وغيرها من الزواحف، وكان الحواة فى مصر يصيدون الحيات الضخمة، ويتباهون فيما بينهم بأحجامها وبالنادر من أجناسها، ويعرضون ألعابهم فى المجالس الخاصة. وكان بعض الشخصيات لهم هواية جمع الأفاعى والحيات، فقد ذكرت فى موضع سابق أن الوزير جعفرين الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة كان يربى الحشرات والأفاعى لدراسة خواصها وطبائعها. ويذكر المقريزى أنه كان فى داره قاعة مصنوعة بالرخام يوجد بها سلات الحيات ولها حاو من الحواة ومعه مستخدمون لهم رواتب ثابتة، وأنه كان له وقت معين يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما فى السلات ويعرضون ألعابهم، وكان ابن حنزابة « يتعجب من ذلك ويستحسنه».

ويذكر المقريزى أن كل حاو فى مصر كان يصيد مايقدر عليه من الحيات، ويتباهون فى ذوات العجب من أجناسها، وفى الكبار منها، وفى الغريبة المنظر. وأن الوزير ابن حنزابة كان يثيبهم على ذلك ويبذل لهم الأموال حتى يجتهدوا فى تحصيلها.

---

(٣٠) يذكر الأبشيهى انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر، القطعة منه قدرت بثلاثة آلاف دينار.

٣- الصيد :

وقد كانت هواية الصيد منتشرة فى مصر، خاصة بين الأمراء . ومن أشهر الولاة الذين كانوا مغرمين بهواية الصيد خمارويه بن أحمد بن طولون.

فيذكر المقريزى أنه كان يخرج للصيد فى منطقة الأهرام ومدينة العقاب. ثم يصف لنا عملية الصيد فى زمن خمارويه فيقول:« لا يكاد يَسمع بسبع إلا قصده، ومعه رجال عليهم لُبُود[٣١] فيدخلون إلى الأسد، ويتناولونه بأيديهم من غابةَ عَنْوَة وهو سليم، فيضعونه فى أقفاص من خشب محكمة الصنعة، يسع الواحد منها السبع وهو قائم، فاذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه».

وكان خمارويه قد بنى لكل نوع من الحيوانات دارا له، فكان له دار للسباع، عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته، وعلى تلك البيوت أبوابا تفتح من أعلاها بحركات، ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت، يفرشه بالزبل، وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء، وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها، وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير، فاذا أراد سائس سبع من هذه السباع تنظيف بيته، أو وضع وظيفة اللحم التى لغذائه، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت، وصاح بالسبع فيخرج إلى القاعة المذكورة، ويرد الباب، ثم ينزل إلى البيت من الطاق فيكنس الزبل، ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف، ويضع الوظيفة من اللحم فى مكان معد لذلك بعد ما يخلص مافيه من الغدد، ويقطعه لهما، ويغسل الحوض ويملأه ماء، ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه، وقد عرف السبع ذاك، فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الأسد فأكل ما هيىء له من اللحم حتى يستوفيه، ويشرب من الماء كفايته، فكانت هذه مملوءة من السباع، ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج إلى القاعة وتتمشى فيها وتمرح

---

(٣١) اللِبْد جمع لُبُود وألْباد: كل شعر أو صوف متلبد. واللُّبادة: ما يلبس منه للمطر.

وتلعب، فتقيم يوما كاملا إلى العشى، فيصيح بها السواس، فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتخطاه إلى غيره. ويذكر المقريزى أن من ضمن هذه السباع كان هناك سبع أزرق العينين يقال له« زريق»، قد أنس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا، وكان خمارويه يطعمه، وكان يحرس خمارويه اذا نام فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه، وكان فى عنقه طوق من ذهب .

كما كان للنمور دار خاصة بها، وللفهود دار، وللفيلة دار، وللزرافات دار، وكان لهذه الدور وكلاء لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة.

٤- الكُرَّج :

ومن تماثيل اللهو واللعب الكُرَّج بضم الكاف وفتح الراء المشددة، معرب كرة بالفارسية، وهو تمثال مُهْر من خشب يلعب به.

وهى لعبة أحدثت فى الدولة العباسية، وعنها يقول ابن خلدون:

«واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج، وهى تماثيل خيل مسرجة من الخشب، معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان، ويحاكين بها امتطاء الخيل، فيكرون ويفرون ويثاقفون [٣٢] وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو. وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق، وانتشر منها إلى غيرها ».

ويبدو أن هذه اللعبة قد انتقلت إلى مصر من ضمن البلاد التى انتقلت اليها، وخاصة أن ابن سعيد يذكر أن الفضل بن جعفر بن الفرات وزير الراضى بالله العباسى، عندما وصل إلى مصر بعد أن ملكها محمد بن طغج الاخشيد، كان مما عملوه فى الاحتفال بمقدمه تمثال فرس من خشب ينحدر ويصعد، ولعله ــ كما يقول أحمد تيمور باشا ــ من هذا النوع المسمى بالكرج أو شبيها به. فيقول ابن سعيد:

(٣٢) أى حاول كل منهما أن يدرك الآخر ويظفر به.

« ثم دخل الوزير الفضل بن جعفر إلى مصر، وقد ملكها الاخشيد، فتلقاه الاخشيد، وخلع عليه عند باب المدينة خلعا سلطانية، وزينت لهما المدينة، ونصب لهما على جوسق ابن الخلا طى فرس من خشب ينحدر ويصعد و ابن الخلاطى راكب عليه، وأكثر الناس ينظر اليه».

٥- لعب القمار:

على الرغم من تحريم الدين الإسلامى للقمار إلا أنه استمر اللعب به، بل كان للقمار دور خاصة يلعب المقامرون فيها، ويظهر ذلك بوضوح فى الدولة الاخشيدية ومما ذكره ابن سعيد يظهر نظام اللعب فى دور القمار، فيقول:

«وأمر الاخشيد فى وقت من الأوقات بهدم المواخير ودور المقامرين والقبض عليهم. وأدخل عليه جماعة من المقامرين وعرضوا عليه، وفيهم شيخ له هيئة، فقال: هذا الشيخ مقامر؟ فقالوا: هذا يقال له المطمِّع. فقال الاخشيد: وايش المطمع؟ فقالوا: هو سبب عمارة دار القمار، وذلك أن الواحد اذا قمر ما معه، قال له: فالعب على ردائك فلعلك تغلب، فاذا ذهب رداوءه قال له: إلعب على قميصك حتى تغلب به، كل شىء حتى يبلغ نعليه، وربما اقترض له.

ولهذا الشيخ جراية يأخذها على هذا كل يوم من متقبل دار القمار. فضحك الاخشيد وقال: ياشيخ تب إلى الله وحده من هذا! فتاب، وأمر له الاخشيد بثوب ورداء وألف درهم وقال: يجرى عليه فى كل شهر عشرة دنانير. فانصرف الشيخ شاكرا داعيا. فقال: ردوه، وقال: خذوا ما أعطيناه وابطحوه، فضربه ستمائة عصا، ثم قال: خلوه، أين هذا من تطميعك!!».

٦- سباق الخيل :

كان سباق الخيل من الألعاب المعروفة عند العرب فى الجاهلية، وكان العرب تراهن على سباق خيلها، وكانوا يعدون ذلك فخرا يتفاخرون به ويتمادحون بسببه. وكان من عاداتهم أنهم كانوا اذا سبق الفرس الَحْلبةَ وبرز، قلدوه شيئا ليعرف أنه سبق وسموه الُمقَلَّد. وكان من عاداتهم أيضا

أن يمسحوا وجه الفرس اذا جاء سابقا. كما كان من عاداتهم أن يجعلوا للفرس الذى يجىء فى آخر الحلبة حبلا، ويحملوا عليه قردا، ويعطوا للقرد سوطا فيركضه القرد، ويُعير بذلك صاحب الفرس.

وكان بعضهم اذا تخلف فرسه عن الحلبة، يرميه بالنبل حتى يسقط بالأرض، كما كانوا يستعملون فى سباقهم ورهانهم طريقة القمار.

وتشير المصادر العربية إلى أول سباق تم فى مصر، هو الذى كان فى زمن عمرو بن العاص، فيذكر ابن الجوزى أن عمرو بن العاص أجرى بمصر الخيل. وقد كان لهذا السباق حادثة مشهورة ذكرتها فى موضع آخر، وهى باختصار عندما سابق فرس أحد أهل مصر فرس محمد بن عمرو بن العاص، فأشار محمد بن عمرو بن العاص إلى الفرس السابقة بقوله: فرسى ورب الكعبة! مما جعل صاحب الفرس يقول نفس العبارة: فرسى ورب الكعبة، فضربه محمد بن عمرو بن العاص وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. فسافر صاحب الفرس إلى عمر بن الخطاب وحكى له ظلامته، وما تبع ذلك من ارسال عمر بن الخطاب رسالة إلى عمرو بن العاص يستدعيه هو وابنه، ثم عندما امتثلا بين يديه طلب من المصرى أن يضرب ابن عمرو ثم عمرو نفسه.

وقد عنى أحمد بن طولون بحلبات السباق، فبنى مكانا لعرض الخيل سماه« المنظر». وقد كانت حلبة السباق فى أيام الدولة الطولونية، خاصة فى زمن خمارويه - كما يقول المقريزى - تقوم مقام الأعياد، لكثرة الزينة، وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة، فيجلس الناس لمشاهدة ذلك، كما يجلسون فى الأعياد، وتطلق الخيل من غايتها، فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق .

وقد اعتبر عرض الخيل فى الدولة الطولونية من عجائب الاسلام الأربعة - كما يقول القضاعى - وهى عرض الخيل هذا، ورمضان بمكة، والعيد بطرسوس، والجمعة ببغداد.

أما حلبة السباق فى الدولة الاخشيدية، فيبدو أنها حاكت حلبة السباق التى كانت فى الدولة الطولونية، فيذكر ابن سعيد أنه فى عام ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م شرع الاخشيد فى إجراء الحلبة على رسم أحمد بن طولون.

وقد كانت تقام سباقات دولية للخيول - فى فترة بحثنا - كما يظهر ذلك من المصادر العربية. فيذكر الكندى أنه فى خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ -٧١٤م) عزم على أن يجرى الخيل، ويمتحن خيل البلدان، فكتب إلى سائر الأمصار أن يتخير له خيل كل بلد، ويتوجه به اليه، فلما اجتمعت، عرضت عليه، فمرت به المصرية، فلما رآها دقيقة العصب، لينه المفاصل والأعطاف، قال: هذه خيل ما عندها طائل! (أى ليس لها قدرة) . فقال له عمر ابن عبد العزيز وهو جالس معه : وأين الخير كله إلا لهذه وعندها؟ فقال له: ما تترك تعصبك يا أبا حفص لمصر! على كل حال، فلما أجريت الخيل جاءت المصرية كلها سابقة، ما خالطها غيرها».

ويبدو أن الرهان فى سباق الخيل كان موجودا فى مصر رغم تحريم الاسلام للرهان،فيذكر الكندى أنه فى ولاية يزيد بن عبد الله من قبل المنتصر عام (٢٤٢ - ٢٥٣هـ/ ٨٥٦ - ٨٦٧م) باع الخيل التى كانت تتخذ للسباق بمصر، وعطل الرهان الذى كان لسباق الخيل بمصر، فلم تجر إلى عام ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م.

ويظهر اهتمام الدولة بسباق الخيل فى الدولة الطولونية ما ذكره المقريزى من وجود اصطبلات خاصة تنتج فيها الخيل لحلبة السباق، وكان لهذه الاصطبلات وكلاء، لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والأموال المتسعة.

ويذكر ابن اياس أن خمارويه كان يحب الجياد من الخيل، فكان لها أنساب مثبتة فى الدواوين كأنساب الناس .

ومن الخيول التى اشتهرت فى مصر، وكانت ملكا للقبائل أو الاشخاص:

١- فرس ذو الريش وكان ملكا للعوام بن حبيب اليَحْصبى .

٢- فرس الخَطّار، وكان ملكا للبيد بن عُقْبة السَّومى.

٣ـ فرس الذُّعْلُوق، وكان ملكا لِحِمْيَر بن وائل السومى
٤ ,ـ فرس عَجْلَى، وكانت ملكا لقبيلة عَكّ. ولها يقول الشاعر:

سَـــبقَ الاقـــوام عَـــجْلىَ

ســـبـــقـــتـــهم وهى حُـــبْلىَ

٥ـ فرس أَبْلقَ لخم، وكانت ملكا لقبيلة لخم.
٦ـ فرس الجَوْن، وكانت ملكا لعُقْبة بن كُليب الحضرمى .

٧ـ لعبة الصوالجة:

وهى عبارة عن كرة كانت تصنع من مادة خفيفة كالفلين ونحوه، وتلقى فى أرض الميدان، فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بالصولجان، حيث يرسلون الكرة فى الهواء وهم على ظهور الخيل. ويرجح أنها ظهرت للمرة الأولى فى بلاط الفرس حوالى القرن الرابع قبل الميلاد، وهى اللعبة المعروفة اليوم عند الانجليز باسم البولو POLO.

وقد اهتم أحمد بن طولون بهذه اللعبة، حتى إنه عندما بنى قصره، بنى فيه ميدانا كبيرا لتُلعب فيه بالصوالجة.

المقابر والجنازات

اتخذ عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر - سفح جبل المقطم، ليدفن فيه المسلمون، وقد حدث ذلك - كما يقول ابن عبد الحكم - عندما «سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك، وقال: أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب فى ذلك إلى عمر، فكتب اليه عمر: سَلْه لم أعطاك به ما أعطاك، وهى لا تُزْدَرع، ولا يسُتَنْبط بها ماء، ولا ينتفع بها؟ فسأله فقال: إنا لنجد صفتها فى الكتب، إن فيها غراس الجنة. فكتب بذلك إلى عمر، فكتب اليه عمر: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين، ولا تبعه شيئا».

وهناك رواية أخرى يذكرها الكندى عن اتخاذ عمرو بن العاص سفح المقطم مقبرة للمسلمين فيقول: « سأل عمرو بن العاص عن سفح المقطم ومعه المقوقس، فقال: ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام، فلو شققنا فى أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا؟ فقال المقوقس : وجدنا فى الكتب أنه كان من أكثر الجبال أشجارا ونباتا وفاكهة، وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كانت الليلة التى كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام، أوحى إلى الجبال، انى مكلم نبيا من أنبيائى على جبل منكم، فسمعت الجبال كلها وتشامخت، إلا جبل بيت المقدس، فانه هبط وتصاغر، فأوحى الله تعالى اليه: لم فعلت ذلك؟ وهو به أخبر، فقال: إعظاما واجلالا لك يارب .قال: فأمر الله الجبال أن يحيوه، كل جبل مما عليه من النبت، وجاء له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقى كما ترى، فأوحى الله تعالى انى معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غرسها. فكتب بذلك عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فكتب اليه: إنى لا أعلم شجرة الجنة لغير المسلمين، فاجعله لهم مقبرة. ففعل. فغضب المقوقس من ذلك، وقال لعمرو: ما على هذا صالحتنى! فقطع له عمرو قطيعا نحو بركة الحبش يدفن فيه النصارى».

وفى وصف هذه المقبرة يقول الكندى: « والاجماع على أنه ليس فى الدنيا مقبرة أعجب منها، ولا أبهى، ولاأعظم، ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها، ولا أعجب تربة منها، كأنها الكافور والزعفران، مقدسة فى جميع الكتب، وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء، والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها».

وقد أجمعت المصادر العربية على أن أول من دفن فى هذه المقبرة رجل من قبيلة المعافر يقال له «عامر»، فقيل: عمرت. وقبره الآن - كما يقول المقريزى - تحت حائط مسجد الفتح الشرقى .

وقد دفن فيها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أشخاص هم: عمروبن العاص، عبد الله بن حذافة السهمى، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى، وأبو بصرة الغفارى، وعقبة بن عامر الجهنى . ويقال : ومسلمة بن مخلد الأنصارى .

أما بالنسبة لمقابر النصارى، فلا نعرف من المصادر العربية - خاصة فى فترة بحثنا - إلا ما ذكرته سابقا من أن عمرو بن العاص فى مقابل أخذه لسفح المقطم منهم ليكون مقبرة للمسلمين، أقطعهم أرضا بجوار بركة الحبش. أما عن مقابر اليهود فلا تذكر المصادر شيئا عن مكانها خاصة فى ذلك الوقت المبكر، وإن كان الكندى قد ذكر فى كتابه أن أحمد بن طولون عندما ابتدأ فى بنيان الميدان سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م« أمر بحرث قبور اليهود والنصارى، وبنى موضعهما ». فهل معنى ذلك أن النصارى واليهود كانوا يقبرون موتاهم فى مكان واحد؟ كما تذكر المصادر أنه فى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل أهل الذمة بتسوية قبورهم بالأرض. هذا ما تذكره المصادر العربية بالنسبة لقبور النصارى واليهود فى فترة بحثنا .

وبالنسبة لبناء القبور فلا توضح لنا المصادر أشكالها إلا فى وقت متأخر، وإن كان يبدو لنا أنها كانت فى ذلك العصر بسيطة جدا، وأن التغيرات التى طرأت على بعض قبور المزارات كانت فى فترة متأخرة تلى فترة البحث - كما فى ضريح السيدة نفيسة.

ويذكر ابن دقماق أن قبر ابراهيم بن صالح بن على والى مصر (١٦٥-١٦٧ هـ/ ٧٨١ -٧٨٣م) كان أول قبر بيض بمصر.

أما عن صناعة شواهد القبور، فتقول الدكتورة سيدة كاشف: إن صناعة شواهد القبور كانت من الصناعات الشعبية التى ازدهرت فى مصر منذ فجر الاسلام، وكانت هذه الشواهد فى البداية بسيطة من الحجر والرخام، ثم اكتسبت طابع الاتقان تدريجيا، حين دخلت الزخرفة على الخط الكوفى الذى ظلت تكتب به إلى نهاية العصر الفاطمى .

وكان وجوه القوم وعلماؤهم فى مصر يدفنون عند وفاتهم فى دورهم، ثم ينقلون بعد فترة من الزمن إلى المقبرة. ومن هؤلاء محمد بن على الماذرائى حين توفى عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م.

ويبدو لنا أنه كان من عادة الناس فى هذه الفترة زيارة الأموات من الأقارب، كما فى العصر الحالى. فيذكر المقريزى أن محمداً بن على الماذرائى، أبا بكر كان « يركب كل يوم إلى المقابر، بكرة وعشية، فيقف له الموكب حتى يمضى إلى تربة أولاده وأهله فيقرأ عندهم، ويدعو لهم».

كما كان من عادة الناس أيضا زيادة الأضرحة وأصحاب الكرامات كما فى العصر الحالى.

وكان من أهم المزارات التى ذكرتها المصادر:

١- قبر الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى. ويقول المقريزى : إنه عندما توفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م بفسطاط مصر، حمل على الأعناق حتى دفن فى مقبرة بنى زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبدالحكم .

قال القضاعى: وقد جرب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك.

٢- قبر السيدة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن على بن أبى طالب. يقول المقريزى: إنها توفيت فى سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، ودفنت فى

منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن، ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب. وقد أراد زوجها اسحاق بن الصادق أن يحملها ليدفنها بالمدينة، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة. وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر.

٣- **قبر السيدة كلثوم.** وهى كلثوم بنت القاسم بن محمدبن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، موضعه بمقابر قريش بمصر. وكانت من الزاهدات العابدات.

ومن أهم المزارات التى كانت للأقباط مشهد فى البهنسا فى صعيد مصر، يعتقد النصارى - كما يقول ياقوت - أن المسيح وأمه أقاما به سبع سنين.

وقد أورد المقريزى أن زيارة المقابر كانت لها أيام محددة تتم فيها، ولم تكن مطلقة، فيقول: « إعلم أن زيارة القرافة كانت أولا يوم الأربعاء، ثم صارت ليلة الجمعة، أما زيارة يوم السبت فقيل إنها قديمة، وقيل متأخرة».

ولا نعلم اذا كان ماذكره عن عصره ينسحب على العصر الذى يخضع لبحثنا أم لا؟

ولم تمدنا المصادر العربية بمعلومات - فى فترة بحثنا - عما اذا كانت هناك مراسيم تتم للجنازات أم لا؟ غير أن المقريزى أشار فى كتابه إلى جنازتين: إحداهما كانت لعبد العزيز بن مروان عندما كان واليا لمصر، والثانية لخمارويه بن أحمد بن طولون .كما أشار البلوى فى كتابه إلى جنازة أحمد بن طولون. ويظهر فيها بعض من مراسيم الجنازات فى تلك الفترة.

فيقول المقريزى عن جنازة عبد العزيز بن مروان:« ومات هناك (أى فى حلوان)، فحُمل فى البحر يراد به الفسطاط حتى تغيّر، فأُنْزل فى بعض خصوص ساحل مريس، فغُسّل فيه، وأخرجت من هناك جنازته، وخرج معه بالمجامر فيها العود، لِما كان قد تغير من ريحه، وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هانىء صاحب حرسه،

وكان صديقا له، وقد توفى قبل عبد العزيز. فمر بجنازته على باب جناب، وقد خرج عيال جناب، ولبسن السواد، ووقفن على الباب صائحات، ثم اتبعنه إلى المقبرة.

ويقول البلوى عن جنازة أحمد بن طولون نقلا عن شيخ من صالحى أهل المعافر:« ومضيت فرأيت جمعا عظيما هائلا، وحالا كبيرة تعجز الصفة عن ذكرها، حتى ظننت أنه مابقى فى البلد أحد من رجل ولا امرأة، وكُل فِرق شتى، كل فرقة على حدتها رجالا ونساء، فتأملت فاذا كل صنف من غلمانه أيضا فرقا، وقواده فرقا، وكتابه فرقا، وسائر أصحابه ومن يلوذ به فرقا فرقا، ومن كان فضله عليه وجراياته وصدقاته فرقا فرقا. وقد تميز أيضا النساء من حاشيته وهن أيضا فرق فرق: حرمه منفرد فى خلق عظيم، لا يخالطهن أحد من حشمهن، وحشمهن ناحية لا يخالطهن غيرهن، ونساء قواده، ونساء غلمانه، ونساء كتابه، ونساء أصحابه، كل صنف منهن على حدة لايخالطهن غيرهن، ونساء القطائع فرق فرق، وكل الجماعة عليهم من الكآبة أمر عظيم، وكل منهم مسلم لأمر الله عز وجل.

ثم أقبل من النساء السودانيات اللائى كان فضله عليهن، وجراياته القمح والدراهم فى كل شهر، خلق عظيم لا يحصيه ولا يقوم بمعرفة مبلغه إلا الله جل اسمه، صائحات صارخات، فارتجت الأرض لهن، وعظمت الحال فى قلوب من شاهدهن. ثم أقبل بعدهن من صالحى مَن يسكن المعافر ممن فيه الدين والورع والخير نساء ورجال، قد كان له على جماعتهم المعروف الواسع، ولو لم يكن إلا العين الماء التى صارت حياة لهم، وصيانة ومرفقا إلى اليوم وإلى القيامة، وان اراد الله جل اسمه ذلك ووقاها من الغير، فأقبلوا مبتهلين إلى الله جل اسمه يسألونه الرحمة له والمغفرة والتجاوز عنه، بخشوع وتضرع واستكانة وبكاء.

فشاهدت من ذلك ماهالنى، وذكر جميع من حضر أنه مارأى مثله لموت خليفة من الخلفاء ولا غيره ممن عظم قدره. ثم أقبلوا به مفردا على سرير،

مدْرَجا فى ثوب وشى سعيدى كافورى، وأبو الجيش خلفه وحده راكب، لموضع خلافته والامارة، والعالم من صغير و كبير، وشريف وقاض وعدل، وكل من فى البلد يمشون، وبين يديه من غلمانه، وخلفه من كل صنف، ومن قواده وسائر من بقى من أصحابه ما لا يحصيه إلا الله جل وعز، فأتوا به إلى المصلى الذى كان بناه، فتقدم ابنه أبو الجيش فصلى عليه، وصلى الناس بأجمعهم، وعدلوا به إلى قبره وواروه فى لحده، وَخلّوه وحيدا فريدا، أقرب الناس منه وأحبهم اليه من حثا عليه التراب. وانصرف عنه كل ذلك الجمع العظيم، وذهبوا حتى كأنه لم يكن منهم أحد. فتبارك الله أحسن الخالقين، ومالك يوم الدين، سبحانه لا يموت ولا يزول وكل نفس ذائقة الموت».

ويقول المقريزى عن جنازة خمارويه بن أحمد بن طولون: « وحمل فى صندوق إلى مصر، وكان لدخول تابوته يوم عظيم، واستقبله جواريه وجوارى غلمانه، ونساء قواده، ونساء القطائع بالصياح وما يصنع فى المآتم، وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم، وفيهم من سوّد ثيابه وشققها. وكانت فى البلد ضجة عظيمة، وصرخة تُتعتع القلوب، حتى دُفن».

ويظهر من هذه الجنازات :

١ـ أن المتوفى أحيانا كان يوصى قبل موته بمسار معين لجنازته، كما حدث مع عبد العزيز بن مروان .

٢ـ أن ملابس الحداد فى مصر كان هى لبس السواد.

٣ـ الصياح على الميت وشق الأثواب. وواضح أنها عادة عرفها الشعب المصرى منذ العصور القديمة، كما تقول الدكتورة سيدة كاشف، رغم مخالفتها لتعاليم الدين الاسلامى .وهذا ما دعا بعض الخلفاء والأمراء إلى اصدار الأوامر بمنع النواح، فيذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله يقول:

«أما بعد، فانه ذكر لى أن نساء من أهل السفه .... يخرجن إلى الأسواق عند موت الميت ناشرات روء وسهن، ينحن نياحة أهل الجاهلية،

ولعمرى ما رُخص للنساء فى وضع خمرهن مذ أمرن أن يضربن بهن على جيوبهن. فانْهِ عن هذه الناحية نهيا شديدا، وتقدم إلى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحا فى دار ولا طريق، فان الله قد أمر المؤمنين عند مصائبهم بخير الأمرين فى الدنيا والاخرة فقال: (الَّذيَن إِذاَ أَصاَبْتهُم مُصيِبَةَ قاَلُوا إِنا لِلّه وإِنا إِليْـه َراجِـعُـوَن، أُولِئكَ عَليْـهِم صلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحـمَـةُ وأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدوُنَ.».(٣٣)

وعندما تولى يزيد بن عبد الله ولاية مصر من قبل المنتصر عام ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م أمر بمنع النداء على الجنائز، وضرب جماعة بسبب ذلك.

وفى سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م، عندما تولى مزاحم بن خاقان ولاية مصر من قبل المعتز، أمر أن لا يشق ثوب ميت، ولا سود وجه، ولا يحلق شعر، ومنع من الَخُلوق (٣٤) الذى يجعل على الثياب مع السوّار (٣٥)،وكان قد أحدث فى ولاية يزيد بن عبد الله .ومنع النساء من الصياح، وعاقب فيه وتشدد. كما منع النساء من الخروج من بيوتهن، والتوجه إلى المقابر، وسجن النوائح.

كما منع عيسى النوشرى فى ولايته على مصر من قبل المكتفى سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م النواح والنداء على الجائز.

٤ ـ ومن مراسيم الجنائز أيضا كانت الصلاة على الميت فى المساجد. وتذكر المصادر العربية أن أول من صلى عليه داخل مسجد عمرو بن العاص هو سعيد بن عثمان أبو الحسن صاحب الشرط (٣٦)، وقد « صلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا».

ويذكر المقريزى عن اليهود أنهم يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم، وأن من غسل ميتا اعتبر أنه نجس، فلا يصلى لمدة سبعة أيام.

---

(٣٣) سورة البقرة رقم ١٥٦ و ١٥٧ .
(٤٣) الخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران.
(٣٥) السوّار والأسوار جمع سُوُر وأسْوِرة وأساور: حلية كالطوق تلبسه المراة فى زندها أو معصمها.
(٣٦) سعيد بن عثمان، تولى الشرطة فى ولاية أحمد بن كَيْغَلَغ عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م ثم تولاها فى ولاية محمد بن طغج الثانية من قبل الراضى فى رمضان عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، وتوفى وهو على الشرط عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٤م.

الباب الرابع
الحياة العقلية فى المجتمع المصرى

الفصل الأول : الحركة الفكرية فى مصر.
الفصل الثانى : الفنون.

الفصل الأول

الحركة الفكرية فى مصر

. مدى تاثر مركز الاسكندرية الثقافى بالفتح العربى

. مراكز الحركة الثقافية فى الفسطاط بعد الفتح العربى :

. الجوامع والمساجد والزوايا.

. دور ومجالس الأمراء والوزراء والعلماء.

. أماكن عامة.

. مراحل الحركة العلمية فى مصر بعد الفتح العربى :

. المرحلة الاولى من بداية الفتح العربى حتى بداية حركة الترجمة.

. المرحلة الثانية مابعد حركة الترجمة.

. تشجيع الخلفاء والولاة للعلماء .

. نظام التعليم فى مصر فى العصر الاسلامى.

. الكتاب.

. الجوامع.

.التعليم الخاص.

. أنواع الدراسات والقوى الاجتماعية التى أسهمت فيها :

. دراسات المرحلة الأولى :

. الدراسات الدينية

. علوم القرآن.

.علوم الحديث.

. علوم الفقه وفقهاء المذاهب الأربعة ـ التصوف والمتصوفون.

. الدراسات اللغوية والنحوية.

. التاريخ وفن السير والقصص.

. الدراسات الأدبية :

. الشعر.

. النثر.

دراسات المرحلة الثانية :

. حركة الترجمة.

.الطب.

. علم النجوم ـ علم تعبير الرؤيا ـ علوم السحر.

. علم الصنعة (الكيمياء).

. علم الهندسة.

. الرحلات العلمية والتبادل الثقافى.

الفصل الأول
الحركة الفكرية فى مصر

رأينا فى الفصل التمهيدى أنه كان لمصر حركة فكرية ضخمة مركزها الاسكندرية بوصفها عاصمة مصر قبل الفتح العربى، وعندما فتح العرب مصر انتقلت هذه الحركة من الاسكندرية إلى الفسطاط التى اتخذها العرب ـ الحكام الجدد ـ عاصمة لهم .

ويهمنا فى هذا الفصل أن نتناول تأثير الفتح العربى على الحركة الفكرية فى مصر، والقوى الاجتماعية التى أسهمت فى الحركة العلمية واشتركت فيها، ومدى تأثر المركز الفكرى للاسكندرية بالفتح العربى، وهل فقدت مركزها كلية أم تدهور هذا المركز وانتهى؟

وفيما يتصل بمدينة الاسكندرية، فان الفتح العربى لم يقض على الحياة العلمية بها، ولا سيما ما يتعلق بالعلوم العقلية، وذلك بالرغم من أن معظم علماء الروم غادروها بعد الفتح .

وهكذا ظلت مدرسة الاسكندرية تؤدى رسالتها العلمية، على الرغم مما أصابها من ضعف لاهتمام الناس بالعلوم الدينية الاسلامية، ونظرة المسلمين فى أول الأمر إلى ماكان يدرس فى مدرسة الاسكندرية فى القرنين الأول والثانى من قرون الهجرة عن هذه العلوم، وظل أهل الذمة من النصارى واليهود أو من اليونانيين الذين بقوا بالاسكندرية، ينهلون وحدهم من هذه الدراسات.

ومع تراجع مركز الاسكندرية الثقافى إلى المقام الثانى، وبروز مركز الفسطاط إلى المقام الأول، باعتبارها العاصمة الجديدة لمصر، أخذت تظهر فيها تدريجيا مراكز للحركة الثقافية والعلمية أشعلت مصباح الحضارة الاسلامية، التى حلت محل الحضارة اليونانية المسيحية التى كانت سائدة فى مصر قبل الفتح العربى .

وقد تمثلت هذه المراكز فى ثلاثة مراكز:

المركز الأول : الجوامع والمساجد والزوايا.

المركز الثانى : دور ومجالس الأمراء والوزراء والعلماء.

المركز الثالث : أماكن عامة.

وبالنسبة للمركز الأول المتمثل فى الجوامع والمساجد والزوايا، فقد كان يقوم مقام المدرسة، وذلك لأن المدارس لم تكن تعرف زمن الصحابة والتابعين - كما يقول المقريزى - وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة، أى فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى. لذلك فان الفترة التى يتناولها بحثنا لا يوجد فيها اسم لمدرسة، وانما كان مركز الحركة العلمية فى مصر فى بداية الفتح العربى جامع عمرو بن العاص، باعتباره أول جامع بنى فى مصر بعد الفتح العربى.

فقد كان المسجد - كما يقول الدكتور سعيد عاشور - هو المدرسة الوحيدة التى عرفها المسلمون، واستوعبت نشاطهم المتعدد الأوجه، فهو بيت الله الذى تقام فيه الصلاة ويتلى القرآن الكريم، وهو دار القضاء الذى يجلس فيه القضاة ليحكموا بين الناس بما أنزل الله، وهو مقر الحكومة الذى يخرج منه المبعوثون ويستقبل فيه السفراء، وتعقد فيه الألوية وتنطلق منه الجيوش للغزو، وهو دار العلم الذى يلتقى بين جوانبه المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أصول دينهم وأركانه، ويتدبروا القرآن وأحكامه، ويحيطوا بسنة نبيهم وأحاديثه. كما كان يوجد فى المسجد مختلف الكتب الدينية والعلمية والأدبية فهو مدرسةٌ ومكتبة معا.

أما الزوايا فقد ظهرت فى بادىء الأمر - خاصة فى فترة دراستنا (من الفتح العربى حتى قبيل العصر الفاطمى) - فى المساجد، ثم زاد استخدام الزوايا كنوع من المنشآت الدينية المستقلة فى العمارة الاسلامية، سواء كانت زوايا فردية لأصحابها من العلماء، أو من المنقطعين للعبادة، أو زوايا جماعية لتدريس فروع العلوم الدينية المختلفة، أو زوايا خاصة لدراسة القرآن الكريم.

والزاوية فى اللغة هى موضع للانزواء، وقد وجدت الزوايا وفق هذا المعنى فى المساجد التى انزوى فى بعضها الناس لتعلم العلوم الدينية المختلفة، وهم يحيطون بشيخهم يستمعون له فى حلقات الدرس والوعظ.

ومن أشهر الزوايا فى جامع عمرو بن العاص زاوية الامام الشافعى، ويذكر ابن دقماق أن مجلس الشافعى كان فى الجهة الشرقية من الجامع، وكان فى محرابه عمودان.

وقد كان الشافعى يجلس فى زاويته بعد صلاة الفجر، فيقول ياقوت نقلا عن الربيع بن سليمان: « كان الشافعى رحمه الله يجلس فى حلقته اذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث، فيسألونه تفسيره ومعانيه، فاذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعَروُض[1] والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف رضى الله عنه».

ومعنى هذا أن الشافعى يظل قرابة ست ساعات يوميا يلقى دروسا متصلة، ينتقل فيها من علم إلى علم ومن مادة إلى مادة، ويظل ملازما مكانه وجموع التلاميذ تتوالى عليه، يذهب عنه جمع ليقبل عليه آخر، ويظل هكذا من بعد صلاة الفجر حتى تدنو صلاة الظهر.

المركز الثانى : دور ومجالس الأمراء والوزراء والعلماء.

وكانت تتخذ للتدريس أو لقيام الندوات العلمية فيها، ومن هذه الدور والمجالس:

دار عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرادِىّ . شهد فتح مصر، واختط بها مع الاشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وقيل إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يقرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره.

---

(١) العَروُض جمع أعَارِيض. ميزان الشعر لانه به يظهر المتزن من المختل.

دار محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى زرعة البرقى، مولى بنى زهرة (ت سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) يقول عنه ابن فرحون: إن بيته كان بيت علم، وانه كان من أصحاب الحديث والفهم، والرواية أغلب عليه. وله تأليف فى مختصر ابن عبد الحكم الصغير، زاد فيه اختلاف فقهاء الأمصار، وكتاب فى التاريخ، وفى الطبقات، وفى رجال الموطأ.

دار مالك الصغرى: وهى خطة عبد الرحمن بن ملجم بقرب المسجد ليعلم الناس القرآن .

مجلس القاضى بكار بن قتيبة: كان للقاضى بكار بن قتيبة مجلس يملى فيه الحديث، وكان أحمد بن طولون - كما تذكر المصادر العربية - شغوفا بمجالسة الفقهاء وأهل العلم، وبلغ ولعله بالحديث وسماعه وروايته أنه كان ينتقل إلى مجلس القاضى بكار بن قتيبة طلبا للمزيد. فيقول أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقيه: ما أُحصى كم كان أحمد ابن طولون يجىء إلى بكار بن قتيبة وهو يملى الحديث، ومجلسه مملوء بالناس وأنا حاضر، فيقول الحاجب للمستملى قبل أن يدخل : يقول لك الأمير لا تقطع ما أنت فيه. ثم يدخل أحمد بن طولون فما يشعر به بكار إلا وهو جالس على جانبه. وكان بكار على مذهب الامام أبى حنيفة، وله كتاب يرد فيه على الشافعى.

مجلس النسائى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت سنة ٣٠٣ هـ /٩١٥م). ويبدو لنا أن النسائى كان له مجلس، فيقول الذهبى: «وكان النسائى يكون بزقاق القناديل بمصر».

مجلس احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣م كان مجلسه - كما يقول ابن فرحون - محشو ا بعيون الناس، وهو مالكى المذهب، من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه وعددها ٢١ كتابا، وقد سمع منه خلق عظيم.

مجلس الاخشيد: وقد حدث يوما أن تنازع القاضى الشافعى أبوبكر ابن الحداد والقاضى المالكى أبو الذكر محمد والقاضى عبد الله بن الوليد فى مجلس الاخشيد، وحدث بينهم لغط كثير، فلما إنصرفوا قال الاخشيد: يجرى هذا فى مجلسى! كدت والله أن آمر بأخذ عمائمهم.

مجلس كافور : كان يعقد الندوات فى مجلسه كل ليلة، وكانت تقرأ عنده فى كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية.

مجلس أحد الوعاظ [٢] فى زمن كافور: وعنه يقول ابن اياس : « كان بمصر واعظ يعظ الناس، فقال يوما فى مجلس وعظه، وكافور حاضر ذلك المجلس : أيها الناس أنظروا إلى هوان الدنيا على الله تعالى، فانه أعطاها لقصومَيْن ضعيفين وهما: الحسن بن بويه، استولى على بغداد وهو أشل بيده، وأعطى كافورا ملك مصر وهو خصى . فرفع كافور طرفه اليه فظن الناس أنه يوقع به فعلا، فلما فرغ من وعظه، دفع اليه مائة دينار، وأخلع عليه خلعه سنية. فلما كان المجلس الثانى، حضر كافور على عادته، فقال الواعظ: ومن العجائب أن ما أنجب من بنى حام غير ثلاثة: لقمان الحكيم، وبلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وكافور الخصى».

مجلس الوزير جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة. وكان يملى الحديث بمصر، ويقصد اليه المحدثون يسمعون روايته، ومنهم المحدث أبو الحسن الدار قطنى الذى كتب عنه مجالسه.

مجلس حمزة بن محمد الحافظ فى المسجد الجامع.

مجلس على بن محمد بن أحمد بن الحسن (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، وقد أقام بمصر فعرف بالمصرى. يقول عنه ابن كثير: إنه كان له مجلس وعظ يحضر فيه الرجال والنساء، وكان يتكلم وهو مبرقع لئلا يرى النساء حسن وجهه! وقد حضر مجلسه أبو بكر النقاش متخفيا، فلما سمع كلامه، قام قائما وشهر نفسه، وقال له: القصص بعدك حرام.

مجلس أبى جعفر بن النحاس (ت سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م).

---

(٢) لم يذكر ابن اياس اسمه .

مجلس أبى بكر، محمد بن أحمد بن الحداد (ت عام ٣٤٥هـ /٩٥٦م وقيل عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) يقول عنه ابن زولاق: إنه تولى القضاء بمصر والتدريس، وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده فى الفتاوى و الحوادث، وكان يعد الرد على ابن الحداد من ضمن عجائب الدنيا، حدّث عن أبى عبد الرحمن النسائى وغيره، وكان متصرفا فى علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة، ولم يكن فى زمانه مثله. وهو صاحب كتاب الفروع فى المذهب الشافعى، كما صنف كتاب القضاء فى أربعين جزءا، وكتاب الفرائض فى نحو مائة جزء. ولد عام ٢٦٤هـ/٨٧٧م وعندما توفى حضر جنازته الأمير أونوجور بن الأخشيد وكافور.

وكان مجلس ابن الحداد - كما يقول الزبيدى - يتم ليلة فى كل جمعة، يتكلم فيها عنده فى مسائل الفقه على طرائق النحو، وكان أبو جعفر النحاس يحضر مجلسه.

المركز الثالث: أماكن عامة.

مثل: سوق الوراقين بالفسطاط.

فقد كان النشاط العلمى والأدبى فى العصر الاخشيدى يظهر بصورة واضحة فى هذا السوق الذى كان يسعى اليه أهل العلم والأدب، فلم يكن مجرد سوق تنسخ فيه الكتب وتباع، وانما كانت تدور فيه احيانا المناظرات.

وقد لاحظنا من خلال دراستنا للحركة العلمية فى مصر بعد الفتح العربى أنها مرت بمرحلتين: المرحلة الأولى، وتمتد من بداية الفتح حتى بداية حركة الترجمة.

المرحلة الثانية، وهى ما بعد حركة الترجمة.

وبالنسبة للمرحلة الأولى فقد تركزت الحركة العلمية، ليس فقط فى مصر بل فى كافة الأمصار الاسلامية، فى الدراسات الدينية. أما العلوم الدنيوية

والفلسفية فقد كان الاهتمام بها ضعيفا فى صدر الاسلام، وما نما منها كان يعتمد على الدين، ويصطبغ به.

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فقد كان لحركة الترجمة الفضل فى إضافة نوع جديد من الدراسات الى الدراسات الدينية، وهى العلوم الفلسفية. والمقصود من العلوم الفلسفية ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ هى جميع العلوم التى كانت تشتمل عليها الفلسفة فى العصور الوسطى، والتى تضمها الموسوعة الفلسفية المعروفة برسائل «إخوان الصفا» من رياضيات وطب وفلك وكيمياء ومنطق.. إلى غير ذلك من العلوم التى كان يحذقها فلاسفة هذه العصور، والتى لا يستحق طالب الفلسفة هذا اللقب إلا اذا ألم بها جميعها.(٣)

ويرجع الفضل فى ازدهار الحركة العلمية فى مصر بمرحلتيها الى تشجيع الخلفاء والولاة للعلماء. فالأمويون حكام الدولة الأموية فتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء، وبذلوا لهم الأموال. وطبقا لما قاله المسعودى: كان عبد الملك بن مروان «يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح ... وكان عماله على مثل مذهبه». وقد كان شأن أكثر بنى أمية شأن عبد الملك، نستثنى منهم خالد ابن يزيد بن معاوية، الذى كانت له نزعة فلسفية الى جانب نزعته الأدبية. كما نستثنى عمر بن عبد العزيز الذى كانت نزعته دينية، فلم يهتم بالدراسات الأدبية مثل الشعر، فقد شقى به الشعراء، إلا أنه اهتم بالدراسات الدينية، ويذكر ابن عبد الحكم عن سيرته أنه قال: «إن استطعت فكن عالما، فان لم تستطع فكن متعلما، فان لم تستطع فأحبهم، فان لم تستطع فلا تبغضهم».

إما بالنسبة للعلوم الفلسفية فقد جرى الاهتمام بها فى عهد الدولة العباسية، بسبب تشجيع خلفائها ـ منذ خلافة المنصور الذى كان شغوفا بالعلوم الفلسفية ـ لحركة الترجمة.

---

(٣) وسنتناول دراسات كل من المرحلتين مع حركة الترجمة بشئ من التفصيل فى الصفحات القادمة

ولم يكن الخلفاء وحدهم من قاموا بتشجيع العلماء خاصة فى مصر، وانما هناك الولاة ورجال الدولة. فمثلا أحمد بن طولون، عندما استقل بدولته أراد أن تكون إمارته منافسة للخلافة العباسية فى العلوم والفنون وغير ذلك، فشجع الحركة العلمية. ويقول عنه ابن زولاق: إنه كان «يحب أهل العلم».

وقد بلغ من إهتمامه بأهل العلم استضافته لشيخ قبطى من أرض الصعيد بمصر، ذكر له أنه له نحو مائة وثلاثين سنة، وهو ممن عنى، من لدن حداثته، بالعلم والاشراف على الملل والآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرها، وأنه علامة بالممالك والملوك، وأنه ممن سافر فى الأرض وشاهد الأمم، وأنه ذو معرفة بهيئات الأفلاك والنجوم، وكان نصرانيا على مذهب اليعقوبية. فبعث أحمد بن طولون اليه قائدا من قواده فحمله فى النيل اليه مكرما، وأسكنه وحمل اليه لذيذ المآكل والمشارب، فأبى أن يأكل إلا بغذاء كان قد حمله معه من كعك وغيره. وتذكر المصادر العربية أن أحمد بن طولون أخلى نفسه له فى ليال وأيام كثيرة، يسمع كلامه وايراداته وجواباته فيما يسأل عنه. كما كان لهذا القبطى مجالس كثيرة عند أحمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والصائبة والمجوس وجماعة من المسلمين. وقد أقام هذا الشيخ عند أحمد بن طولون حوالى سنة، فأجازه، وأعطاه، فأبى قبول شئ من ذلك، فرده إلى بلده مكرما، وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك.

كما أورد لنا البلوى عطف أحمد بن طولون على إمام فى أحد المساجد عندما شعر بضيق ذات يده، فأثبت اسمه فى الدفتر الذى فيه أسماء المستورين و المستورات الذين يجرى عليهم فى كل شهر خمسة دنانير على كل رجل وامرأة.

هذا فى الوقت الذى غضب فيه على خطيب أحد المساجد، ويدعى أبا يعقوب البلخى، عندما دعا للمعتمد ولولده ونسى أن يدعو لأحمد بن طولون، فأشار ابن طولون الى نسيم الخادم ليضربه خمسمائة سوطا، إلا أن

الخطيب تذكر سهوه فعاد ودعا له، وزاد فى الشكر والدعاء له بقدر الخطبة، ثم نزل، فنظر أحمد بن طولون الى نسيم الخادم أن اجعلها دنانير!

وكان أحمد بن طولون يميل الى المذهب الشافعى ويكرم أصحابه.

ويذكر ابن سعيد أن العباس بن أحمد بن طولون كانت له بطانة مقدمة فى علم العرب من النحو والشعر وما جرى مجراه، وهم: جعفر بن جدار، وأحمد بن المؤمل المعروف بأبى معشر، ومحمد بن سهل المنتوف.

أما خمارويه فيذكر ابن سعيد أنه كان محسنا للأجناد والشعراء وسائر من يرد عليه.

كما استمر أمراء الدولة الاخشيدية أيضا فى تشجيع الحركة العلمية والعلماء، ليس فقط عن طريق المنح المالية وإنما أيضا عن طريق تقريب العلماء والأدباء ومجالستهم لهم، خاصة وأن أبا بكر محمد بن طغج الاخشيد كان أديبا وشاعرا.

وكان ابن الاخشيد ، وهو أبو بكر أحمد بن على (ت٣٢٦هـ /٩٣٧م)، يصرف أكثر ما يُحمل اليه من ضيعته على العلم وأهله. وكانت له معرفة بالعربية والفقه، وله فى الفقه عدة كتب، ومن كتبه: كتاب المعونه فى الأصول، لكنه لم يتمه، وكتاب نقل القرآن ، وكتاب الاجماع، وكتاب النقض على الخالدى فى الأرجاء، وكتاب اختصار كتاب التفسير للطبرى.

كما أن أونوجور بن الاخشيد كان يجالس سيبويه المصرى وينادمه. وقيل إن الأمراء الاخشيديين على اختلافهم جالسوا الفقيه أبا بكر بن الحداد، ولم تغضبهم صراحته وثقته بنفسه، مع أنه كان طويل اللسان!

وتذكر المصادر العربية أن كافورا أمر بعشرين ألف دينار لتفرق على فقهاء الشافعية، عندما علم أن الخليفة عبد الرحمن الناصر الأندلسى (٣٠٠ـ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ـ ٩٦١م) أرسل عشرة آلاف دينار لتفرق على فقهاء المالكية.

ومن الوزراء الوزير جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حِنْزَابَة (٣٠٨ - ٣٩١هـ / ٩٢٠ - ١٠٠٠م). الذى كان وزيرا للدولة الاخشيدية بمصر مدة إمارة كافور، ولما استقل كافور استمر على وزارته، وبعد وفاة كافور استقل بالوزارة ، وتدبيرالملكة لأحمد بن على بن الاخشيد. وقد كان ابن حنزابة عالما، محبا للعلماء، شاعرا، وكان يملى الحديث بمصر وهو وزير، وقد قصده الأفاضل والعلماء من الأقطار الأخرى، ومنهم أبو الحسن على المعروف بالدارقطنى الذى حضر إليه من العراق ليصنف مُسْنَدا، فلم يزل الدارقطنى عنده حتى فرغ من تأليفه، وحصل له من جهته مال كثير.(٤)

نظام التعليم فى مصر فى العصر الاسلامى:

وسنتناول فى الصفحات القادمة نظام التعليم فى مصر فى العصر الاسلامى سواء كان فى الكُتَّاب أو فى الجامع أو فى المنازل لأولاد الأمراء والملوك والوزراء.

وبالنسبة للكتَّاب الذى يعتبر مرحلة التعليم الأولى فقد وُجد الكتاب لتعليم القرآن أول ما وجد فى المسجد، يدلنا على ذلك ماذكره ابن جبير فى رحلته، وكذلك ابن بطوطة، من وجود حلقات كان الأطفال يلتفون فيها حول معلم القرآن، واذا كانت الفترة التى قيل فيها هذا متأخرة فانما كان ذلك استمراراً لأمر كان سائدا فى البداية.

وبعد ذلك ظهرت كتاتيب ملحقة بالمسجد، وأخرى مستقلة عنه تماما، فالامام الشافعى يروى لنا أنه كان يتيما فى حجر أمه فدفعته الى الكتاب، فلما ختم القرآن، دخل المسجد مما يوحى باستقلال هذا عن ذاك.

كما يذكر ابن عبد الحكم أن عبد العزيز بن مروان كان وهو صغير فى الكتاب. ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن المساجد التى كانت فى الخطط تقوم مقام الكتاتيب أو المدارس الأولية الآن فى التدريس للغلمان. حتى اذا

---

(٤) حنْزَابة ـ بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاى وبعد الالف باء موحدة مفتوحة ثم هاء ـ وهى أم ابيه الفضل بن جعفر.

تهيأت لهم ثقافتهم الى الاستماع الى فحول العلماء انتقلوا اليهم فى جامع الفسطاط، ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء.

ويذكر ابن عبد الحكم فى كتابه إسما لكتّاب يعرف «بكتاب اسماعيل». كما يذكر ابن زولاق فى كتابه أنه كان بمصر رجل يعرف «بالغزيل الحى»، كان يعلم الصبيان عند الصفا.

وقد بُدئ فى تنظيم تعليم الصبيان فى الكتّاب فى عهد عمر بن الخطاب، ثم توسع تعليم الصبيان فيما بعد، فظهرت كلمات عديدة تدل عليه ولا سيما فى عهد العباسيين، فنسمع عن المكاتب - مفردها مكتب - أو مكاتب الصبيان، ومن يقوم به اسمه معلم أو مؤدب.

وفى زمن أحمد بن طولون ألزم أولاد الصناع كلهم صلاة الجمعة فى فوارة الجامع، ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وَرّاق (٥) وعِدة غلمان.

ويذكر الأبشيهى: أن الجاحظ قد ألف كتابا فى نوادر المعلمين. وقد ذكرفى كتابه بعضا من النوادر التى كانت تدور بين المعلمين وتلاميذهم.

أما عن نظام الدراسة فى هذه المرحلة فلا شك أن أساسها كان التعليم الدينى، ولا سيما تحفيظ القرآن والحديث. فيقول ابن خلدون: إن التربية الدينية يجب أن تبدأ من سن مبكرة، ذلك لأنه فى هذه السن يكون الصبى مستعدا لقبول العقائد بمجرد الايمان بها، كذلك الخط والحساب، وربما بعض الشعر والسباحة هى جزء من المقررات.

وكان نظام الدراسة بالكتّاب الاسلامى شبيه بنظام الدراسة بالكتّاب القبطى فى مواده الدراسية وهى: الدين - اللغة - الحساب.

وبالنسبة لنظام الدراسة فى الجامع، فقد كان الجامع يمثل مرحلة متقدمة من التعليم يحصل فيها الطلبة على قسط أوفر من العلوم.

---

(٥) الوَرّاق: الكاتب.

وقد عُرف أن الدراسة بالمساجد تقسم الى مراحل: مرحلة (ابتدائية) لحفظ القرآن الكريم، ودراسة فوق ما درس فى الكتاتيب، ثم مرحلة (ثانوية) تكون على أيدى مدرسين أكثر علما، ثم مرحلة (عالية) أو (نهائية) تدرس فيها أمهات الكتب على يد طائفة من الجهابذة.

ويذكر الحسينى فى كتابه أن المرحلة الأولية كان يد رس فيها القراءة والكتابة والنحو وسيرة النبى (ص) وأحاديثه و القواعد الأولية فى الحساب وبعض القصائد الدينية، أما الطلبة الكبار (الثانوية) فدرسوا تفسير القرآن والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والأدب. أما الطلبة المتقدمون (النهائية ـ العالية) فاشتغلوا بدراسة الفلك والجغرافيا والفلسفة والهندسة والموسيقى والطب.

وقد كان الصحابة و التابعون من العلماء يجلسون فى جامع عمرو بن العاص، وفى جامع أحمد بن طولون، يتصدرون الحلقات العلمية ومجالس العلم.

وكان الأستاذ يجلس فى المسجد وحوله الآخذون عنه على شكل حلقة، وتكبر الحلقة وتصغر تبعا لقدر الأستاذ، وقد يكون فى المسجد جملة حلقات تجتمع كل حلقة على شيخ.

وفى عام ٣٢٦هـ /٩٣٧م كان للشافعيين فى جامع عمرو بن العاص خمسُ عشرة حلقة، وللمالكين مثلها، ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث حلقات فقط.

وفى الغالب أن الدراسة فى الجامع كانت مرتبطة بموعد محدد، فيقول المقدسى: «وبين العشاءين، جامعهم مغتص[٦] بحلق الفقهاء، وأئمة القراء، وأهل الأدب والحكمة. ودخلتها مع جماعة من المقادسة، فربما جلسنا نتحدث، فنسمع النداء من الوجهين: دوروا وجوهكم الى المجلس، فإذا نحن بين مجلسين، على هذا جميع المساجد. وعددت فيه مائة وعشرة مجالس».

---

(٦) اغتص المكان بهم ضاق.

والى جانب التعليم فى المساجد الذى أوردناه آنفا، كان الأمراء والوزراء ورجال الدولة يعلمون أولادهم فى المنازل على يد أساتذة متخصصين. وفيما يبدو أن هؤلاء الأولاد كانوا يتلقون تعليمهم فى المنازل وفق برنامج خاص يلتقى فى أسسه العامة بمنهاج التعليم الذى وضع لجميع الصبيان، مع بعض الحذف أو الاضافة استجابة لتوجيه الوالد، وتمشيا مع الرغبة فى إعداد هذا الصبى اعدادا خاصا يناسب الأهداف والمسئوليات التى ستواجهه فى المستقبل.

ولدينا صورة عن هذا البرنامج التعليمى فيما وضعه الخليفة الرشيد لمعلم ابنه محمد الأمين، فقد قال له: «إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيَّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه عن الضحك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا و أنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

وكان الطالب فى هذا التعليم يظل يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبا، فينتقل به من مستوى تلميذ الكتاب الى مستوى الطالب فى حلقات المساجد أو المدارس.

والمعلم هنا لا يسمى معلم الصبيان أو معلم كتّاب، وانما يطلق عليه لفظ «مؤدِّب» وقد أطلقوا كلمة مؤدب على معلمى أولاد الملوك، اذ كانوا يتولون الناحيتين معا، وكان المؤدب كثيرا ما يخصص له جناح فى القصر يعيش فيه، ليكون إشرافه على الأمير أحكم وأشمل.

ولدينا أسماءً لبعض المعلمين الخصوصين، فيذكر لنا التنوخى أن ابراهيم ابن المدبر قد أرسل الى أبى العباس المُبَرِّد ليرسل له جليسا يجمع مع

مـجـالسـتـه تعليم ولده، فـأرسل اليـه على بن سليمـان بن الفـضل الأخـفش الصـغـيـر (ت٣١٥هـ / ٩٢٧م). فكان قـدومـه الى مـصـر فى عـام ٢٨٧هـ / ٩٠٠م، وخرج منها عام ٣٠٠هـ/٩١٢م.

ويذكر الذهبى أن أمير مصر صالح بن على قد جعل عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى، الامام أبا أمية المصرى الفقيه (ت١٤٨هـ /٧٦٥م) ـ مؤدبا لولده الفضل.

ويذكر السـيـوطى أن مـحـمـد أبن عـبـد الله بن مـحـمـد بن سلم، أبا بكر المعروف بالملطى (ت٣٠٢هـ /٩١٥م) كان نـحويا يعلم أولاد الملوك النحو.

أنواع الدراسات:

ذكـرت سـابقـا أن الحـركـة العلمـيـة فى مـصـر مـرت بمرحلتـين بعد الفـتح العربى، المرحلة الأولى: وتمتد من بداية الفتح حتى بداية حركة الترجمة، وقد عُنيت بالعلوم الاسـلامـية. والمرحلة الثانية: وهـى مـا بعد حركة الترجمة، وقد عنيت بالعلوم الفلسفية.

وسنتناول فى الـصـفـحـات القـادمة أنواع الدراسـات فى كل من المرحلتين، والقوى الاجتماعية التى أسهمت واشتركت فيها، أو بمعنى آخر مَن كان لهم الفضل فى الاسهام فيها.

وبالنسبـة للمرحلة الأولى، والتى عنيت بالدراسـات الدينية، فقد قـام بهذه الدراسات الدينية فى مصر فى بادئ الأمر الصحابة الذين اشـتركوا فى فتح مـصـر أو الذين وفـدوا اليـهـا بعـد الفـتح، فكان العـالمون منهم بأمـور الدين يقـومـون بمـهـمـة تعليم الشـعب المصـرى أصـول الدين الاسـلامـى، وهؤلاء الصـحابة العلمـاء كانوا أساس مدرسـة مصر الدينية. وكان ممن حضـر فتح مـصـر من أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم، غير عـمـرو بن العـاص قـائد جيش الفتح: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن سـعـد بن أبى سرح، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصـامت، و عبد

الله بن عمر بن الخطاب، وخارجة بن حذافة العدوى، ومسلمة بن مخلد، وأبو رافع مولى رسول الله، وشريك بن سمى الغطيفى المرادى، وعبد الله بن الحارث بن حزم بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى المذحجى وكان آخر صحابى فقد توفى بمصر سنة ست أو سبع أو ثمان وثمانين من الهجرة، وغيرهم كثير.

وقد كان أكثر حملة العلم فى عصر الصحابة من العرب، لأن أكثر الصحابة عرب. فلما قام علماء الصحابة بالتعليم فى الأمصار المفتوحة، اشترك العرب وغيرهم فى تلقى العلم عنهم، حتى اذا كان عصر التابعين وتابعيهم انعكست الآية فأصبح بعض حملة العلم عربيا وأكثرهم من الموالى وأبنائهم، ويدلنا على ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال: رجلان من الموالى ورجل من العرب، فأما العربى فجعفر بن ربيعة، وأما المولَيان فيزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى جعفر، مما دفع العرب إلى إظهار استنكارهم من هذا الوضع، فقال عمر بن عبد العزيز: ما ذنبى إن كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا، وأنتم لا تَسمون!

وهكذا كان علماء الدين فى مصر - كما يقول أحمد أمين - إما من أصل عربى يرجع نسبه الى القبائل العربية الفاتحة أو الوافدة، أو من أصل مصرى أصله قبطى وأسلم هو أو أسلم أجداده.

ولم يكن علماء الدين متخصصين فى علم بذاته، فقل أن نجد فى هذا العصر من نسميه الآن تخصصا، فليس هناك عالم بالتفسير فقط، أو بالحديث فقط، لأن هذا الدور إنما يكون بعد تنظيم البحث، وهو دور لم يصلوا اليه فى هذا العصر. كذلك كانت الدروس فيها تفسير، وفيها حديث، وفيها فقه، وفيها لغة، وفيها جدال دينى.

وقد اهتم الخلفاء اهتماما خاصا بالدراسات الدينية، لذلك فقد حرصوا على ارسال علماء الدين الى الأمصار المختلفة ليفقهوا أهلها، وليكونوا

مرجعا لهم فى أحكامه وكافة أموره. وبالنسبة لمصر، فنرى عمر بن الخطاب يبعث الى أهل مصر حِبّان بن أبى جَبَلَه ليفقههم. ويبعث الخليفة عمر بن عبد العزيز نافعا مولى ابن عمر، فقيه أهل المدينة، إلى مصر ليعلمهم السنن. وبالعكس فقد أمر عمر بن عبد العزيز جُعْثُل بن هاعان بن سعيد الرُّعينى القِتْبانى المصرى، أحد القراء والفقهاء، بالخروج من مصر الى المغرب ليقرِئهم القرآن، وقد ذهب الى هناك وولى القضاء فى عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى، وتوفى حوالى ١١٥هـ / ٧٣٣م.

الدراسات الدينية:

قامت هذه الدراسات - كما يقول أحمد أمين - على تفهم معانى القرآن ورواية الحديث، وأقوال الأئمة، واستنباط الأحكام، كل على أصول مذهبه، وكانت على نمط الدراسة فى العراق موضوعا ومنهجا. وقد انقسمت الى : علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، والدراسات اللغوية والنحوية، والتاريخ.

أولا: علوم القرآن وتشتمل على علم القراءات، وعلم تفسير القرآن.

وبالنسبة لعلم القراءات فقد كان يدور حول كيفية قراءة ألفاظ القرآن. وقد نشأ بسبب خاصية الخط العربى، إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يُقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها. كما أن تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد اختلافا فى النطق بحروف القرآن، ثم إن القرآن يشتمل أصلا على ألفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها من عدنانية وقحطانية، وان كانت ألفاظ قريش هى الغالبة، تليها هذيل وكنانة وحمير وغيرهم من قبائل الجزيرة. ولذلك اتفق، بعد البحث والاستقصاء، على قراءات معينة، أو ما سمى أيضا بالتجويد، أيدت بأحاديث نبوية، وروايات الصحابة والتابعين، وقصد من تنوعها التسهيل. وقد يكون أساس التنوع أيضا، بسبب اختلاف القراء فى قراءة القرآن من مصاحف الصحابة قبل أن يصلهم مصحف عثمان، الذى كان خاليا من النقط

والشكل، حتى إن عثمان أطلق للناس القراءات على أى حرف وأية لهجة.
وقد أصبحت هذه القرءات علما مدونا توضع فيه المصنفات، التى ربما صحبها الرسم لأوضاع الحروف، واعتبرت المعرفة بها فرضا.كذلك تناول علماء كثيرون فى جميع أرجاء البلاد الإسلامية هذه القراءات بالشرح، وإبراز قواعدها وأحكامها، اذ كانت كل بلد تأخذ من القراءات ما يلائم طبع أهلها، مثل المذاهب تماما وقد اختلف فى عدد القراءات، فبعضهم جعلها سبع قراءات، وبعضهم جعلها خمسا وعشرين قراءة، وإن رجحت سبع قراءات، وأصبح يعرف أصحابها بأصحاب القراءات، وهى: قراءة نافع من المدينة، وابن كثير من مكة، وابن عامر من الشام، وأبى عمر من البصرة، وعاصم وحمزة و الكسائى من الكوفة.

وقد كانت أول شخصية علمت القرآن بمصر هو عبيد بن محمد، أبو أمية المعافرى، وهو أحد الصحابة الذين شاهدوا فتح مصر.

وقد أخذ أهل مصر قراءة القرآن الكريم عن قراءة نافع. (٧)

ومن قراء مصر:

سَقْلاب بن شُنَيْنَة، أبو سعيد المصرى (ت عام ١٩١هـ /٨٠٦م) قرأ القرآن على نافع. وقرأ عليه يونس بن عبد الأعلى، وأبو يعقوب الأزرق وغيرهما، وكان يقرئ فى أيام ورش.

عثمان بن سعيد، أبو سعيد المصرى الملقب بَوْرش (ت عام١٩٧هـ/٨١٢م) وهو أحد القراء المشهورين، أصله قبطى. وقد انتهت اليه رياسة الاقراء بالديار المصرية فى زمانه، قرأ القرآن وجوده على نافع، ونافع

---

(٧) نافع: هو أبو عبد الله المدنى حدّث عن مولاه ابن عمر وعن عائشة وأبى هريرة وطائفة، وعنه الأوزاعى ومالك وعقيل بن خالد والليث وخلق. وقال البخارى وغيره: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. قال عبيد الله بنعمر: بعث عمر بن عبد العزيز نافعا الى أهل مصر يعلمهم السنن. توفى عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م.

هو الذى لقبه بورش لشدة بياضه. والورش يصنع من اللبن. وكان ثقة، حجة فى القراءة.

مُعَلَّى بن دحية المصرى، أبو دحية المقرئ. قرأ القرآن وجوَّدة على نافع.

داود بن أبى طَيْبة المصرى، أبو سليمان بن هارون بن يزيد، مولى آل عمر بن الخطاب (ت سنة ٢٢٣هـ /٨٣٧م) قرأ على ورش وذكره ابن يونس فى تاريخه.

عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى، أبو الأزهر المصرى (ت سنة ٢٣١هـ /٨٤٥م) قرأ القرآن وجوَّده على ورش. وهو أخو الفقيه موسى بن عبد الرحمن.

يحيى بن سليمان الجُعْفِيّ الكوفى، أبو سعيد المقرئ الحافظ نزيل مصر (ت ٢٣٨هـ /٨٥٢م).

أبو يعقوب الأزرق، يوسف بن عمرو بن يسار المدنى ثم المصرى (ت سنة ٢٤٠هـ /٨٥٤م). كان مقرئ ديار مصر فى زمانه، لزم وَرْشا مدة طويلة، وأتقن عنه الأداء، وجلس للاقراء وانفرد عن ورش بتغليظ اللامات، وترقيق الراءات.

محمد بن سعيد، أبو عبد الله الأنماطى المصرى المقرئ. قرأ على أبى يعقوب الأزرق وغيره، وهو من جلَّة المصريين.

أحمد بن صالح، أبو جعفر المصرى الحافظ المقرئ (١٧٠ ـ ٢٤٨هـ /٧٨٦ ـ ٨٦٢م) أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ورش. وقال صالح بن محمد الحافظ عنه: لم يكن أحد يحسن القراءة غير أحمد بن صالح، كان رجلا جامعا يعرف الفقه والحديث والنحو.

سليمان بن داود بن حماد بن سعد، أبو الربيع المصرى المقرئ (١٧٨ ـ ٢٥٣هـ /٧٩٤ ـ ٨٦٧م) كان من جلّة القراء. قرأ على ورش، وروى عن ابن

وهب، وأشهب، وجماعة، قال ابن يونس: كان فقيها على مذهب مالك، وكان رجلا زاهدا.

اسماعيل بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن عبد الله،أبو الحسن النحاس مقرئ الديار المصرية. جود القرآن على أبى يعقوب الأزرق صاحب ورش، وتصدر للاقراء مدة، وكان يقرأ بجامع عمرو بن العاص توفى سنة بضع وثمانين ومائتين.

أبو بكر بن عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف التجيبى المقرئ المصرى شيخ الاقليم فى القراءات فى زمانه (ت سنة ٣٠٧هـ /٩١٩م) قرأ القرآن على أبى يعقوب الأزرق، وعَمَّر دهرا طويلا، وحدّث عن محمد بن رُمح صاحب الليث بن سعد وغيره. ذكره ابن يونس فى تاريخه.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال، أبو جعفر الأزدى المصرى (ت سنة ٣١٠هـ /٩٢٢م) أحد أئمة القراء بمصر.

أحمد بن محمد بن عثمان، أبو بكر الرازى نزيل مصر. شيخ القراء، توفى بمصر (سنة ٣١٢هـ /٩٢٤م).

محمد بن محمد بن عبد الله بن النّفّاح بن بدر الباهلى البغدادى المقرئ نزيل مصر (ت سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م) كان ثقة ثبتا، صاحب حديث.

ابراهيم بن حمدان بن عبد الله.أندلسى سكن مصر (ت عام ٣١٨ هـ /٩٣٠م) روى القراءة عرضا وسماعا عن اسماعيل بن عبد الله النحاس.وذكره ابن يونس.

مظفر بن أحمد بن أحمد بن أبى غانم المصرى النحوى المقرئ (ت سنة ٣٣٣هـ /٩٤٤م) وكان من جلّة المقرئين بمصر. وله مصنف فى اختلاف السبعة.

عبد المنعم بن عبد الله بن عليون (ت سنة ٣٣٩هـ /٩٥٠م) وهو مؤلف كتاب «الإرشاد فى القراءات».

محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن منير، أبو بكر الامام، ويعرف بابن أبى الأصبغ الحَرَّانى (ت سنة ٣٣٩هـ /٩٥٠م)،وهو نزيل مصر، وكان بصيرا بمذهب مالك.

حَمْدان بن عَوْن، أبو جعفر الخولانى المصرى المقرئ (ت سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م)، قرأعلى أحمد بن هلال و على اسماعيل بن عبد الله النحاس.

أحمد بن أسامة، أبو جعفر بن الشيخ أبى سلمة التجيبى مولاهم المصرى المقرئ توفى عام ٣٤٢هـ /٩٥٣م وقيل عام ٣٥٦هـ /٩٦٦م.ألف كتاب «اختلاف القراءات السبعة».

محمد بن عبد الله المعافرى، أبو بكر المصرى المقرئ. توفى بمصر عام ٣٥٧هـ /٩٦٧ م.

محمد بن عبد الله بن محمد بن أَشتَه اللّوذرىّ، أبو بكر. توفى بمصر عام ٣٦٠هـ /٩٧٠م. وهو أصبهانى سكن مصر، أخذ القراءة عن ابن مجاهد والنقاش وجماعة، له كتاب المصاحف.

عبد العزيز بن على بن محمد بن اسحاق بن الفرج، أبو عدى المصرى الفقيهويعرف بابن الامام (ت عام ٣٨١هـ /٩٩١م) عاش تسعين سنة، وكان مسند القراء فى زمانه بمصر.

علم تفسير القرآن الكريم:

لم يكن العرب فى أول الأمر بحاجة الى تفسير القرآن، ذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه، وكانوا على علم بمناسبات نزول آياته ومقاصدها. ثم إنهم فى أول الأمر لم يكونوا يسمحون بتفسير القرآن، اعتمادا على قول النبى عليه الصلاة والسلام: «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». غير أن العلماء المسلمين تخلصوا من هذا الحرج فى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، خاصة أنهم بعدوا عن وقت ظهور القرآن مما

جعل مقاصد ألفاظ القرآن مبهمة وغير مفهومة، وخصوصا على الذين أسلموا من الشعوب غير العربية، بحيث كانوا فى حاجة ملحة الى تفسير نص القرآن.

وقد اتجه المفسرون فى تفسير القرآن الكريم الى اتجاهين:

الاتجاه الأول، ويعرف باسم التفسير بالمأثور، أو التفسير النقلى، ويُعتمد فيه على النقل عن النبى عليه الصلاة والسلام والصحابة والتابعين وتابعى التابعين.

والاتجاه الثانى ويعرف باسم التفسير بالرأى، ويعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل. وهذه الطريقة للتفسير تعتمد على اللغة ومعانى الألفاظ، فكان يُبحث عن أحوال الألفاظ ومفردات الآيات وما ورد فيها من معان، وشرح غوامض الاعراب، والتعرض للآية وسبب نزولها وغير ذلك. وكان للمصريين نصيب فى تفسير القرآن الكريم، وقد نقل البخارى[٨] والطبرى [٩] فى تفسيرهما كثيرا من الصحيفة المصرية فى التفسير. والصحيفة المصرية تعتبر من أقدم الروايات التى رويت عن ابن عباس [١٠]، ومن أصح الطرق عنه، فهى رواية على بن أبى طلحة عن مجاهد[١١] أحيانا وعن عِكْرِمة [١٢] أحيانا أخرى عن ابن عباس.

---

(٨) وهو ابو عبد الله محمد بن أبى الحسن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى الحافظ الامام فى علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ، رحل فى طلب الحديث الى أكثر محدثى الامصار ولد عام ١٩٤هـ/ ٨٠٩م وتوفى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م

(٩) وهو أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما فى فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. وكان من الأئمة المجتهدين ولد عام ٢٤٤هـ/ ٨٣٨م وتفى ببغداد عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.

(١٠)وهو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم كان الرسول قد دعا له فقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل . وقد أخذ الفقة عن ابن عباس جماعة منهم: عطاء بن رباح ومجاهد وعكرمة وغيرهم. توفى بالطائف عام ٧٨هـ/ ٦٩٧م.

(١١) مجاهد ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومى وقد قيل عنه إنه كان فقيها عالما ثقة كثير الحديث. توفى عام ١٠٣هـ/ ٧٢١م وقيل عام ١٠٢هـ-٧٢٠/م وقيل عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م

(١٢) وهو أبو عبد الله عِكْرِمة بن عبد الله مولى ابن عباس. وقيل عنه: كان عكرمة أعلم الناس بالتفسير. وكان قول كان ابنَ عباس يضع فى رجلى الكبْل ويعلمنى القرآن والسنن. توفى عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م وقيل عام ١٠٦هـ/ ٧٢٤م وقيل عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م وقيل عام ١٠٥هـ/ ٧٢٣م وقيل عام ١١٥هـ/ ٧٣٣م.

ولهذا عُرفت هذه الصحيفة بصحيفة على بن أبى طلحة، ونقلها عنه معاوية بن صالح قاضى قرطبة. وفى سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م مر معاوية بمصر فى طريقه الى الحج، فروى بمصر هذا التفسير، فنقله عنه عبد الله بن صالح المعروف بكاتب الليث بن سعد واحتفظ بها. وقد عرفت الصحيفة المصرية فى سائر الأقطار الاسلامية.

وكان من العلماء المفسرين فى مصر:

عبيد بن سَوِيّة الأنصارى مولاهم المصرى (ت سنة ١٣٥ هـ /٧٥٢ م) وهو رجل صالح مفسر قلما روى. أخذ عنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وعمرو بن الحارث وغيرهم.

محمد بن موسى الواسطى، أبو على (ت سنة ٣٢٠ هـ /٩٣٢م وقد قدم الى مصر، وكان من أهل العلم باللغة وتفسير القرآن. وقد مات بمصر.

أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادى المصرى (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩م) وله كتب كثيرة فى التفسير منها: كتاب «تفسير القرآن الكريم»، وكتاب «اعراب القرآن»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ».

ثانيا : علوم الحديث:

كانت دراسة الحديث فى العالم الاسلامى كله تقوم فى البداية على روايته عن الصحابة والتابعين، ثم لما كثر الوضع فى الحديث بدأ العلماء يُعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، كما وضعت أصول نقد المتن واستخلاص السنن من الأحاديث التى صحت.

وقد كان من المحدثين المصريين:

عبد الله بن عمرو بن العاص وكان أكثر الصحابة فى مصر رواية للحديث النبوى الشريف، فلأهل مصر عنه أكثر من مائة حديث، وكان يعترف له أبو هريرة بالاكثار من العلم، وقد قال عنه: فانه كان يكتب عن

النبى صلى الله عليه وسلم وكنت لا أكتب. وقد كتب الأحاديث التى أخذها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيفته الصادقة. حمل عنه المصريون علما عظيما وتوفى بمصر عام ٦٥هـ /٦٨٤م.

الأعرج عبد الرحمن بن داود المدنى صاحب أبى هريرة. توفى بالأسكندرية عام ١١٧هـ/٧٣٥م، وقد أث [illegible] عليه البخارى، فقال أصح أسانيد أبى هريرة ما كان عن طريق أبى [illegible] عن الأعرج عن أبى هريرة. وقال عنه الذهبى: كان الأعرج أول من برز فى القرآن والسنن.

أبو عُشَّانَة المَعَافِرى (ت عام ١١٨هـ / ٧٣٦ م) روى عن عقبة بن عامر وجماعة.

القاسم بن عبد الله المعافرى المصرى. عن سعيد بن المسيب وعنه يحيى بن أيوب وابن لهيعة، توفى فى حدود العشرين ومائة.

شراحيل بن يزيد المعافرى المصرى. توفى بعد العشرين ومائة من الهجرة، وقد روى عنه عبد الرحمن بن شريح وابن لهيعة وجماعة.

سُلَيم بن جبير أبو يونس مولى أبى هريرة (ت سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م) سكن مصر وروى عن ابن هريرة وعنه حيوة بن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم. وثقه النسائى.

سليمان بن حميد المزنى (ت سنة ١٢٥ هـ /٧٤٢ م) روى عن أبيه عن أبى هريرة وعنه الليث بن سعد وضمام بن اسماعيل وجماعة.

عطاء بن دينار الهُذلى مولاهم المصرى، يكنى أبا طلحة (ت سنة ١٢٦ هـ /٧٤٣ م) روى عنه حيوة بن شريح، ويحيى بن أيوب، وابن لهيعة وآخرون.

عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى (ت سنة ١٢٧ هـ/٧٤٤ م)، أمير الديار المصرية لهشام بن عبد الملك. له نسخة عن الزهرى نحو مائتى حديث، وعن يحيى بن أيوب، والليث بن سعد والليث فمولاه، وبسببه نال الليث دنيا عريضة. قال ابن يونس: كان ثبتا فى الحديث.

حفص بن الوليد بن سيف، أبو بكر الحضرمى (ت سنة ١٢٨ هـ/٧٤٥ م) أمير الديار المصرية من جهة هشام بن عبد الملك. روى عن الزهرى. وعنه الليث وابن لهيعة.

أبو قبيل المعافرى المصرى، حييّ بن هانئ بن ناصر (ت سنة ١٢٨ هـ/٧٤٥ م) قدم من اليمن فسكن مصر، وروى عن عقبة بن عامر وعبد الله ابن عمرو بن العاص وعنه يحيى بن أيوب والليث وآخرون، وثّقه أحمد بن حنبل.

قيس بن الحجاج بن خليّ الكَلاعى ثم السلَفى المصرى وقيل دمشقى (ت سنة ١٢٩هـ /٧٤٦ م) روى عنه الليث وابن لهيعة وغيرهما. وكان رجلا صالحا صدوقا ما جرّحه أحد.

الحسين بن شُفَى بن ماتع الأصبحى المصرى (ت سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦ م) عنه نافع بن يزيد وحيوة بن شريح وآخرون.

كعب بن عَلْقَمه التَّنُوخى المصرى (ت سنة ١٣٠ هـ /٧٤٧ م) روى عن أبى تميم الجيشانى وطائفة، وعنه حيوة بن شريح والليث وابن لهيعة وغيرهم. وكان أحد الثقات العلماء.

الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى مولى قيس بن عبادة (ت سنة ١٣٠ هـ /٧٤٧ م) روى عنه يزيد بن أبى حبيب و الليث بن سعد وآخرون.

عبيد الله بن المغيرة المصرى (ت سنة ١٣١ هـ /٧٤٨ م) روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء، وعبيد الله بن عدى وغيرهم، وعنه عمرو بن الحارث وابن اسحاق وابن لهيعة. قال ابن حاتم: صدوق.

سعيد بن أبى هلال الليثى مولاهم المصرى أبو العلاء (ت عام ٣٣١ هـ / ٧٥٠م أو عام ١٣٥ هـ /٧٥٢م أو عام ١٤٩ هـ /٧٦٦ م)، روى عن زيد بن أسلم ونافع والزهرى وغيرهم. وعنه الليث بن سعد وآخرون.

جعفر بن ربيعة بن شُرَحْبيل بن حَسَنَة الكندى، أبو شرحبيل المصرى (ت عام ١٣٣ هـ /٧٥٠ م أو عام ١٣٤ هـ /٧٥١ م أو عام ١٣٦ هـ /٧٥٣ م) عنه الليث وابن لهيعة وآخرون. وثقه النسائى وغيره.

زُهرة بن معبد بن عبد الله، أبو عقيل المدنى نزيل الأسكندرية (ت عام ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م أوقيل عام ١٣٧ هـ /٧٥٤ م). روى عنه الليث وابن لهيعة وغيرهما. ووثقه النسائى.

حُميد بن هانئ، أبو هانئ الخولانى (ت سنة ١٤٢ هـ /٧٥٩ م) مصرى صدوق. روى عن على بن رباح وعنه حيوة بن شريح والليث وابن لهيعة وابن وهب. قال أبو حاتم: صالح الحديث.

السكن بن أبى كريمة بن زيد أبو عثمان التجيبى المصرى (ت سنة ١٤٢ هـ /٧٥٩ م) روى عنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وغيرهم.

حُيى بن عبد الله المعافرى، أبو عبد الله المصرى صالح الحديث (ت ١٤٣ هـ /٧٦٠ م) عنه الليث وابن لهيعة وابن وهب. قال النسائى: ليس بقوى.

قُرَّة بن عبد الرحمن بن حَيْوئيل بن ناشرة المعافرى المصرى (ت سنة ١٤٧ هـ /٧٦٤ م) عن يزيد بن أبى حبيب وعنه الأوزاعى والليث بن سعد وابن وهب وآخرون. ضعفه ابن معين. قال أبو حاتم: ليس بالقوى.

عمار بن سعد المرادى وقيل التُجَيْبى المصرى (ت سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥ م) عن أبى صالح الغفارى عن على وعنه حيوة بن شريح ويحيى بن أيوب وابن لهيعة. وكان من العلماء بمصر فى زمانه.

عبد الجليل بن حُميد أبو مالك اليحصبى المصرى (ت سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م) عن الزُهرى وآخرين، وعنه نافع بن يزيد وابن وهب.قال النسائى: ليس به بأس.

عبد الواحد بن أبى موسى، أبو معن الاسكندرانى (ت سنة ١٥٠هـ/٧٦٧ م) عن زهرة بن معبد، وعنه ضمام بن اسماعيل وابن المبارك وجماعة.

سالم بن غيلان التُّجَيْبي المصرى (ت سنة ١٥١ هـ /٧٦٨ م) عن يزيد ابن أبى حبيب وغيره، وعنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وابن وهب وغيرهم. قال النسائى: ليس به بأس.

محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (ت سنة ١٥٥ هـ/٧٧١م) ولى الديار المصرية لأبى جعفر المنصور، وحدّث عن أبيه.

قُبَاث بن رُزَيْن بن حميد، أبوهشام المصرى (ت سنة ١٥٦ هـ /٧٧٢ م) عن عكرمة وعلى بن رباح، وعنه ابن المبارك وابن وهب وعبد الله بن صالح. قال أبو حاتم: لا بأس به. وكان إمام جامع مصر.

عياش بن عقبة بن كُلَيب الحضرمى، أبو عقبة المصرى (ت سنة ١٦٠ هـ /٧٧٦م). قرابة ابن لهيعة. روى عن جبر بن نعيم، ويحيى بن ميمون وغيرهما، وروى عنه بكر بن مضر، و ابن وهب وغيرهما. وقد ولى إمرة الاسكندرية. قال النسائى: ليس به بأس. وقال المقرى: كان شيخ صدْق.

سعيد بن أبى أيوب المصرى (ت سنة ١٦١ هـ /٧٧٧ م) روى عن أبى زهرة بن معبد وجماعه.

موسى بن على بن رَبَاح اللخمى المصرى (ت سنة ١٦٣ هـ /٧٧٩ م) روى عن أبيه وطائفة. ولى مصر للمنصور ستة أعوام.

نافع بن يزيد المصرى (ت سنة ١٦٨ هـ /٧٨٤ م) عن جعفر بن ربيعة وطبقته، وكان أحد الثقات.

بكر بن مُضر بن محمد بن سَلْمان، أبو محمد المصرى (ت عام ١٧٤ هـ /٧٩٠ م) حدث عن أبى قبيل المعافرى وجعفر بن ربيعة وآخرون، وعنه ابنه اسحاق وابن وهب وآخرون. وكان ثقة حجة.

عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمى، أبو عبد الرحمن المصرى (ولد عام ٩٧ هـ /٧١٥ م وقيل عام ٩٦ هـ /٧١٤ م وتوفى عام ١٧٤هـ/٧٩٠م وقيل عام ١٧٠ هـ /٧٨٦م وقيل عام ١٦٤ هـ /٧٨٠ م). كان من الكتّابين للحديث والجّماعين للعلم والرحالين فيه. قيل إنه كان يكنى أبو خريطة، وذلك لأنه كانت له خريطة معلقة فى عنقه، فكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، فاذا رأى شيخا سأله: من لقيت وعمن كتبت؟

وتعتبر صحيفة ابن لهيعة فى الحديث من أقدم الصحائف، وهى ضمن مجموعة أوراق البردى بمدينة هيدلبرج. وقد تولى قضاء مصر (وأنظر فى ذلك الموضوع الخاص بالقضاة). وقد دفن بالقرافة وقبره معروف فى مصر يقصد للزيارة.

وقال عنه أحمد بن حنبل: لم يكن بمصر مثل ابن لهيعة فى كثرة حديثه وضبطه واتقانه.

المفضل بن فضالة، أبو معاوية القتبانى المصرى الامام الحجة قاضى مصر (ت سنة ١٨١ هـ /٧٩٧ م) حدث عن يزيد بن أبى حبيب وغيره وعنه أبو صالح كاتب الليث وآخرون. قال عنه يحيى بن معين. ثقة.

ضمام بن اسماعيل المصرى (٩٧ ـ ١٨٥هـ / ٧١٥ ـ ٨٠١ م) توفى بالأسكندرية وقد روى عن أبى قبيل المعافرى وطبقته. وهو من مشاهير المحدِّثين.

عبد الله بن وهب (ت عام ١٩٧ هـ /٨١٢ م) وهو من أوائل مدونى الحديث فى العالم الاسلامى، وكتابه «الجامع فى الحديث» هو أقدم كتاب مصرى وصلنا فى الحديث، وقد عثر على جزء مخطوط من هذا الكتاب فى مدينة ادفو، ويعد هذا المخطوط من أقدم المخطوطات العربية فى جميع

مكتبات ومتاحف العالم، اذ يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثالث للهجرة، رواه عن الليث، وابن لهيعة، وعن مالك بن أنس وغيرهم. وعبد الله بن وهب صاحب هذا الكتاب مصرى قرشى بالولاء، ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ/٧٤٢ م وفيها تلقى علومه الدينية ثم رحل الى الحجاز فى طلب العلم سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م، وفى المدينة المنورة اتصل بالامام مالك بن أنس، وأخذ عنه العلم وروى الحديث، وكان الامام مالك يعترف بفضل ابن وهب ويقدره حق التقدير، فكان اذا غاب عنه ابن وهب يكتب اليه إلى«عبد الله بن وهب المفتى» ولم يكن يفعل هذا مع أحد غير ابن وهب، بل كثيرا ما كان مالك يفتى بآراء سمعها من ابن وهب، فاذا رأينا قول مالك «حدثنى من أرضى» فهو يقصد ابن وهب. ويقال إن ابن وهب أخذ عن أربعمائة شيخ، وأكثر من رواية الحديث، ولم يجد العلماء فى الأحاديث التى رواها حديثا منكرا. وقد طلب منه الخليفة العباسى أن يكون قاضى مصر فاعتذر واختبأ فى منزله، ورفض أن يقابل أحدا إلاخاصة تلاميذه، وظل ملازما داره خوفا من أن يحُمل للقضاء، الى أن توفى سنة ١٩٧ هـ /٨١٢ م. وترجع شهرة عبد الله بن وهب من ناحية أخرى الى أنه أحد رواة «الموطأ» وقد صنف «الموطأ الكبير» «والموطأ الصغير».

اسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى نزيل مصر (١٣٢ - ٢١٢ هـ /٧٤٩ - ٨٢٧ م)، ويقال له «أسد السنة» صنف التصانيف، ورحل فى طلب الحديث. وثقه ابن يونس، وقال البخارى: هو مشهور الحديث.

بلال بن يحيى بن هارون الأسوانى(ت سنة ٢١٧ هـ /٨٣٢ م) حدث عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وابن لهيعة، وحدث عنه يحيى بن بكير، وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر.

معاوية بن هبة الله الأسوانى، ابن أبى يحيى، مولى بنى أمية، يكنى بأبى سفيان (ت سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣ م)، روى عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة. ذكره ابن يونس فى تاريخه.

عبد الله بن صالح بن محمد بن مُسلم الامام المحدث أبو صالح الجهنى مولاهم المصرى، كاتب الليث بن سعد. ولد عام ١٣٧ هـ /٧٥٤ م وسمع من موسى بن على، ومعاوية بن صالح، وعبد العزيز بن الماجشون وسعيد بن عبد العزيز الدمشقى، والليث بن سعد، ونافع بن يزيد وطبقتهم. حدث عنه البخارى وأبو حاتم وابن معين وسمويه ومحمد بن اسماعيل الترمذى وغيرهم. مات يوم عاشوراء سنة ٢٢٣ هـ /٨٣٧ م. قال عنه النسائى:ليس بثقه. وقال ابن عدى: هو عندى مستقيم الحديث لا يتعمد الكذب.

سعيد بن الحكم بن أبى مريم، أبو عبد الله مولاهم المصرى (ت عام ٢٢٤ هـ /٨٣٨ م) وهو أحد أركان الحديث، وقد ذكره ابن النديم فى كتابه وله من الكتب: «كتاب النسب»، وكتاب «المآثر»، وكتاب «نوافل العرب».

نعيم بن حماد، أبو عبد الله الخزاعى المروزى نزيل مصر (ت سنة ٢٢٨هـ /٨٤٢ م وقيل سنة ٢٢٩ هـ /٨٤٣ م). قال عنه أحمد بن حنبل: ثقه. وقال النسائى: ضعيف. وقد حمل من مصر مع الفقيه أبى يعقوب البويطى الى بغداد فى محنة القرآن مقيدين، فحبسا بسامراء.

محمد بن رُمْح التُّجيبى أبو عبد الله المصرى (ت سنة ٢٤٢ هـ/٨٥٦م) سمع الليث وابن لهيعة. قال النسائى: ما أخطأ فى حديث واحد. وقال ابن يونس: ثقه ثَبْتٌ.

وليد بن بلال بن يحيى الأسوانى، يكنى أبا الحسن (ت سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧ م) سمع الحديث، ذكره ابن يونس. وكان أبوه بلال يحدّث عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة.

أبو بكر، محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى (ت سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣ م) أخذ الحديث عن أسد السنة، ثم أخذ عنه أبو داود والنسائى، وله تصانيف فى الحديث.

ومن المحدثين الذين توفوا فى عصر الولاة ولم تذكر تاريخ وفاتهم بالتحديد:

محمد بن عبد الرحمن أبو عيسى المؤذن. وهو شيخ مصرى روى عن أبى مرزوق التجيبى والضحاك بن شرحبيل رعنه سعيد بن أبى أيوب والليث بن سعد وابن لهيعة.

شرحبيل بن عمرو بن شريك المعافرى المصرى. روى عن على بن رباح وغيره وعنه حيوة بن شريح، والليث بن سعد وابن لهيعة وجماعة. وثقه ابن حبان.

عيسى بن موسى بن حميد بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى المصرى. عن صفوان بن سليم ومالك بن أنس. وعنه يحيى بن أيوب وابن لهيعة.

سنان بن سعد الكندى المصرى. ويقال سعد بن سنان ويرى الذهبى أن الأول أصح. وقد روى عن أبيه وأنس بن مالك، وعنه يزيد بن أبى حبيب وحيوة بن شريح والليث وآخرون. وثقه ابن معين وغيره.

يزيد بن عمرو المعافرى المصرى، روى عنه عمرو بن الحارث والليث ابن سعد وابن لهيعة، وهو ثقة مقل.

معاوية بن سعيد التجيبى مولاهم المصرى عن أبى قبيل المعافرى ويزيد بن أبى حبيب وعنه يحيى بن أيوب وآخرون.

النعمان بن عمرو اللخمى المصرى. عن على بن رباح وحسين بن شفى، وعنه سعيد بن أبى أيوب وابن لهيعة.

حنين بن أبى حكيم المصرى مولى سهل بن عبد العزيز بن مروان، عن على بن رباح وعطاء، وعنه ابن لهيعة والليث. له حديث واحد فى السنن.

سَيّار بن عبد الرحمن الصدفى المصرى. روى عنه نافع بن يزيد، وسعيد بن أبى أيوب والليث، وابن لهيعة وجماعة.

عمرو بن جابر، أبو زرعة الحضرمى المصرى. عن جابر بن عبد الله وسهل بن سعد وغيرهم، وعنه ابن لهيعة وضمام بن اسماعيل وبكر بن مضر. قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال ابن لهيعة: كان شيخا أحمق، كان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول: هذا علىّ.

مالك بن الخير الزبادى المصرى، روى عن مالك بن سعد والحارث بن يزيد، وعنه ابن وهب وآخرون.

معروف بن سويد، أبو سلَمة الجُذامى المصرى. عن على بن رباح وأبى قبيل المعافرى، وعنه ابن لهيعة وابن وهب وآخرون، وثقه ابن حبان.

المفضل بن لاحق أبو بشر المصرى. وثقه ابن معين.

ومن المحدثين الذين توفوا فى الدولة الطولونية:

قبيطة الحافظ، أبو على الحسن بن سليمان البصرى نزيل مصر. (ت عام ٢٦١ هـ /٨٧٤ م) بمصر. حدث عنه أبو بكر بن خزيمة وجماعة. وصفه ابن يونس بالحفظ.

محمد بن على البغدادى، أبو بكر الامام الحافظ نزيل مصر (ت عام ٢٦٤ هـ /٨٧٧م) بمصر. حدث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وآخرين، وعنه أبو جعفر الطحاوى وطائفة. قال عنه أبو سعيد بن يونس: كان يحفظ الحديث ويفهم.

ومن المحدثين الذين توفوا بعد الدولة الطولونية:

محمد بن عبد الوارث بن حريز بن عيسى الأسوانى، يكنى أبا عبد الله (ت عام ٢٩٧ هـ /٩٠٩ م) سمع منه ابن يونس وذكره فى تاريخه.

علی بن سعید بن بشیر بن مهران، أبو الحسن الرازی. نزیل مصر ومحدثها. توفی عام ٢٩٧ هـ /٩٠٩ م.

النسائی، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعیب بن علی بن سنان بن بحر الخراسانی (٢٢٥ هـ - ٣٠٣ هـ /٨٣٩ - ٩١٥ م) استوطن مصر فأقام بزقاق القنادیل. کان إمام أهل عصره فی الحدیث. وله کتاب «السنن» وکان یسمیه الصحیح، وکتاب «الخصائص» فی فضل علی بن أبی طالب وأهل البیت، وعن سبب تألیفه هذا الکتاب قال: دخلت دمشق والمنحرف عن علی رضی الله عنه کثیر، فأردت أن یهدیهم الله تعالی بهذا الکتاب [١٣] .

قاسم بن عبد الله بن مهدی بن یونس البُلْبِیْنائی (ت سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦م) ذکره ابن یونس وقال : یروی عن أبی مُصْعَب أحمد بن أبی بکر ، قال : وقدم علینا الفسطاط فسمعت منه ، ولم یحصل لی عنه غیر حدیث واحد. ذکره ابن عدی قال : وکان بعض شیوخ أهل مصر یضعفه . قال : وهو عندی لا بأس به.

محمدبن إبراهیم بن خالد الأسوانی ، أبو بکر (ت عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧م) ، حدث عن یونس بن عبد الأعلی وغیره .

الأرغیانی ، أبو عبد الله محمد بن المسیب بن اسحاق (ت سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م) وله ٩٢ سنة. کان یقول : کنت أمشی فی مصر وفی کمی مائة جزء فی کل جزء ألف حدیث .

الحسن بن یوسف بن یعقوب ، أبو علی الفحام الأسوانی (ت سنة ٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م) ذکره ابن یونس فی تاریخ مصر وقال : سمع من یونس بن عبد الأعلی وغیره ، وکان ثقة .

أحمد بن عبد الوارث الأسوانی، أبو بکر (ت سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠م) . ذکره ابن یونس وقال : کان ثقة . حدث عن عیسی بن حماد زغبة وغیره .

---

(١٣) ونسبته إلی نَسَا - بفتح النون وفتح السین المهملة وبعدها همزة - وهی مدینة بخرسان.

فقير بن موسى بن نقير بن عيسى بن عبد الله ، أبو الحسن الأسوانى (ت سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م) ذكره ابن يونس وقال : رأيته وقد قدم علينا الفسطاط، وقد حدث بمصر عن محمد بن سليمان بن أبى فاطمة وآخرون .

محمد بن جميع الأسوانى ، حدث بأسوان عن أبى عمران محمد بن موسى ، وروى عنه العقيلى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٣م.

ومن المحدثين الذين توفوا فى الدولة الأخشيدية :

عياش بن عباس ، أبوعبد الرحيم القتبانى الحميرى المصرى (ت ٣٣٠ هـ/ ٩٤١م) روى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، والهيثم بن شفى وغيرهما . وعنه حيوة بن شريح ، والليث، وابن لهيعة، والمفضل بن فضالة . وثقه ابن معين وغيره .

هارون بن يوسف بن هارون بن ناصح الأسوانى (ت سنة ٣٣١ هـ/ ٩٤٢م) وقد ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر .

أبو بكر، أحمد بن عمر الطحان (ت سنة ٣٣٣ هـ/ ٩٤٤م) .

على بن محمد بن أحمد بن الحسن أقام بمصر فعرف بالمصرى (ت سنة ٣٣٨ هـ/ ٩٤٩م) جمع حديث الليث وابن لهيعة ، وله كتب كثيرة فى الزهد. قال عنه الخطيب : كان ثقة أمينا عارفا .

ابن أبى الأصبغ ، محمد بن أحمد بن أبى الأصبغ عبد العزيز بن منير، يكنى أبا بكر (ت عام ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م) سكن مصر ، وأم بالجامع . وكان فقيها ، مشهورا ، ثقة، راوية للحديث ، وحدث بمصر وأملى .

سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن ، أبو على البغدادى نزيل مصر (٢٩٤ ـ ٣٥٣ هـ/ ٩٠٦ ـ ٩٦٤م) ، وله كتاب الصحيح المنتقى .

حمزة بن محمد بن على بن العباس، أبو القاسم الكنانى المصرى (٢٧٥ ـ ٣٥٧ هـ/ ٨٨٨ ـ ٩٦٧م) ، وهو من حفاظ الحديث . سمع النسائى وغيره . وكان من الزهاد .

محمد بن أحمد بن عبد الله ، أبو طاهر الذهلى البغدادى المالكى (ت سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م) تولى قضاء مصر . وقال عنه ابن زولاق : كان أبو الطاهر كثير الحديث والأخبار ، وقد نزل مصر فحدث بها ، وأكثر وكتب عنه عامة أهلها ، وكان يذهب إلى قول مالك بن أنس . وله كتاب فى الفقه أجاب فيه عن مسائل مختصر المزنى على قول مالك بن أنس واختصر تفسير البلخى . ومما استحسن من كلامه أنه تلقى الخليفة المعز لدين الله بالاسكندرية ، فلما جلس أبو طاهر عنده سأله الخليفة عن أشياء منها : أنه قال له : كم رأيت من خليفة ؟ فقال : واحدا . فقال : ومن هو ؟ فقال : أنت ، والباقى ملوك. ثم قال له : حججت ؟ قال : نعم . قال : وزرت؟ قال : نعم. قال : سلمت على الشيخين؟ قال : شغلنى عنهما النبى صلى الله عليه وسلم كما شغلنى أمير المؤمنين عن ولى عهده . فأرضى الخليفة ، وتخلص من ولى عهده وكان لم يسلم عليه بحضرة الخليفة، فإزداد الخليفة به عجبا وخلع عليه ، وأبقاه على ولايته وأجازه بعشرة آلاف درهم . ومولده سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م.

النقاش، أبو بكر محمد بن على بن حسن المصرى نزيل تنيس (٢٨٢ ـ ٣٦٩ هـ /٨٩٥ ـ ٩٧٩ م) كان من علماء الحديث، وقد ارتحل اليه الدارقطنى الى تنيس وكان منزويا بها، فلهذا لم ينتشر حديثه.

الحسن بن رشيق (٢٨٣ ـ ٣٧٠ هـ /٨٩٦ ـ ٩٨٠ م) حدث عن أبى عبد الرحمن النسائى وآخرون، روى عنه الدارقطنى وأبو محمد بن النحاس وآخرون، قال أبو القاسم بن الطحان فى تاريخه: روى عن خلق لا أستطيع ذكرهم، فما رأيت عالما أكثر حديثا منه.

أبو العباس، أحمد بن عيسى بن الجراح بن النحاس المصرى (ت سنة ٣٧٦هـ /٩٨٦ م) عن ٨٥ سنة وكانت كتبه ذهبت فحدّث من حفظه وأملى سنين طويلة.

ابن مسرور الحافظ، أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن أحمد مسرور البلخى (ت سنة ٣٧٨ هـ /٩٨٨ م) استوطن مصر.

أحمد بن أبى الليث نصر بن محمد الحافظ، أبو العباس النَّصيبى المصرى (ت سنة ٣٨٦ هـ /٩٩٦ م).

أبو الفضل، جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حِنْزَابة (٣٠٨ - ٣٩١هـ /٩٢٠ - ١٠٠٠ م). وكان محدثا يَملى الحديث بمصر، وقد سبق ذكره.

عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز، أبو محمد الأزدى الحافظ المصرى (٣٣٢ - ٤٠٩ هـ /٩٤٣ - ١٠١٨ م). كان حافظ مصر فى عصره. ومن كتبه: كتاب «مشتبه النسبة»، وكتاب « المؤتلف والمختلف» وهو أول كتاب ألفه وقد قرأه على الدارقطنى. ويقال إنه بدأ السمع من العلماء وعنده عشر سنوات. وقيل إنه لما خرج الدارقطنى من مصر جاءه المودعون وتحزنوا على مفارقته وبكوا، فقال: لقد تركت عندكم خلفا - يعنى عبد الغنى.

ثالثا: علوم الفقه وفقهاء المذاهب الأربعة:

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى، وهى متلقاه من الكتاب والسنة، فاذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة الشرعية قيل لها فقه.

وقد جد الفقه فى مصر منذ دخلها المسلمون، وعرف بين العرب فى مصر عدد من المجتهدين الذين أفتوا الناس بما فى القرآن والحديث الشريف أو بما رأوه.

وقد كان من الفقهاء فى مصر:

عقبة بن عامر الجهنى (ت عام ٥٨ هـ / ٦٧٧ م). كان فقيها علامة من فقهاء الصحابة، قارئا لكتاب الله، بصيرا بالفرائض. ولى إمرة مصر لمعاوية.

عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى (ت عام ٨٣ هـ /٧٠٢ م). الذى عرف فى العالم الاسلامى بزهده وعلمه حتى قيل إن رجلا من أهل مصر قابل ابن عباس وسأله عن مسألة فقال له ابن عباس: تسألنى وفيكم ابن حجيرة؟ وقد تولى قضاء مصر (٦٩ ـ ٨٣ هـ / ٦٨٨ ـ ٧٠٢ م).

أبو الخير، مَرْثَد بن عبد الله اليزنى الحميرى المصرى (ت عام ٩٠ هـ /٧٠٨ م).كان مفتى أهل مصر فى زمانه، وكان والى مصر فى ذلك الوقت عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا.

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٦١ وقيل ٦٣ ـ ١٠١ هـ /٦٨٠ أو ٦٨٢ ـ ٧١٩ م) نشأ بمصر فى ولاية أبيه عليها. حدث عن عبد الله بن جعفر، وأنس بن مالك، وأبى بكر بن عبد الرحمن وغيرهم، وحدث عنه ابناه عبد الله وعبد العزيز والزهرى وغيرهم. كان إماما، فقيها، مجتهدا، عارفا بالسنن ثبتا حجة حافظا.

يزيد بن أبى حبيب، أبو رجاء الأزدى مولاهم المصرى (٥٣ ـ ١٢٨هـ/ ٦٧٢ ـ ٧٤٥ م). كان مفتى أهل مصر، وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل فى الحلال والحرام. كان حجة، حافظا للحديث، وقيل إنه أحد ثلاثة جعل لهم الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الفتيا فى مصر. وكان الليث بن سعد يقول عنه «هو عالمنا وسيدنا».

بكر بن سَوادة الجُذَامى المصرى (ت سنة ١٢٨ هـ /٧٤٥ م) مفتى مصر، وقد روى عن عبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد ، وعنه الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة. وثقه النسائى.

حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان التجيبي (ت سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) كان فقيها، وهو أمير مصر لهشام بن عبد الملك ثم لمروان ابن محمد.

عمر بن السائب، أبو عمر المصرى الفقيه (ت سنة ١٣٤هـ /٧٥١ م)روى عن القاسم بن القزمان وغيره وهو مقل. روى عنه الليث وابن لهيعة، وبكر بن مضر.

خَيْر بن نُعَيْم الحضرمي قاضى مصر (ت سنة ١٣٧ هـ /٧٥٤ م) عنه عمرو بن الحارث والليث وضمام بن اسماعيل وابن لهيعة. قال يزيد بن أبى حبيب: ما أدركت فى قضاة مصر أفقه منه.

خالد بن يزيد، أبو عبد الرحيم الاسكندرانى المصرى الفقيه (ت سنة ١٣٩ هـ /٧٥٦ م). عنه الليث والمفضل بن فضاله وآخرون. وثقه النسائى. وقال يحيى بن أيوب: كان أفقه جندنا.

عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى، أبو أمية المصرى (ت سنة ١٤٨ هـ /٧٦٥ م) الفقيه المقرئ أحد الأئمة، مولى قيس بن سعد بن عبادة. حدث عن ابن يونس مولى أبى هريرة، ويزيد بن أبى حبيب وغيرهم. وعنه مالك والليث وبكر بن مضر وابن وهب وآخرون.روى سعيد بن أبى مريم عن خاله قال: كان عمرو بن الحارث المصرى يخرج فيجد الناس صفوفا يسألونه عن القرآن والحديث والفقه والشعر والعربية والحساب. قال أبو حاتم: كان عمرو بن الحارث أحفظ الناس فى زمانه، لم يكن له نظير فى الحفظ. قال ابن وهب: اقتدينا بمصر به وبالليث. قال أحمد بن صالح: لم يكن بعد عمرو بن الحارث مثل الليث بمصر. ومولده فى سنة ٩٢ هـ /٧١٠ م، وقيل ٩٤ هـ / ٧١٢ م.

موسى بن أيوب بن عامر الغافقى المصرى الفقيه (ت سنة١٥٣هـ/٧٧٠ م). روى عنه الليث وابن المبارك وابن وهب وآخرون. وثقه ابن معين. وهو مقل.

حَيَوة بن شُرَيح بن صفوان التجيبى، أبو زرعة المصرى الفقيه (ت سنة ١٥٨ هـ /٧٧٤ م وقيل عام ١٥٩ هـ /٧٧٥ م) روى عن عقبة بن مسلم ويزيد بن أبى حبيب، وحدث عنه الليث وابن المبارك وابن وهب وآخرون. وثقه أحمد بن حنبل وغيره. قال ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاء فى السنة ستين دينارا، فلا يطلع الى منزله حتى يتصدق بها، ثم يجئ الى منزله فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له فأخذ عطاءه فتصدق به كله وجاء الى تحت فراشه فلم يجد شيئا، فشكا الى حيوة فقال:أنا أعطيت ربى بيقين وأنت أعطيته تجربة.

يحيى بن أيوب، أبو العباس الغافقى المصرى (ت عام ١٦٨ هـ /٧٨٤ م وقيل عام ١٦٣ هـ /٧٧٩ م) فقيه أهل مصر ومفتيهم، حدث عن يزيد بن أبى حبيب وعنه ابن وهب وآخرون.

الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث الفهمى المصرى. ولد بقرية قلقشندة عام ٩٤ هـ /٧١٢م وتوفى عام ١٧٥هـ /٧٩١م. كان أكبر عالم فقيه شاهدته مصر فى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، اشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر. أخذ العلم عن فقهاء مصر ومحدثيها أمثال: يزيد ابن أبى حبيب، وجعفر بن ربيعة، وخير بن نعيم وغيرهم. ورحل الى الحجاز والمقدس وبغداد فى طلب العلم ورواية الحديث. وقد نبغ الليث فى الناحية الفقهية، وعُرف بها حتى إن الامام الشافعى كان يقول: «الليث بن سعد أفقه من مالك بن أنس، إلا أن أصحابه لم يقوموا به.» وقال عنه يحيى بن بكير: ما رأيت أفقه من الليث بن سعد، كان ثقة فى الحديث، نحوى اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الأحاديث الكثيرة، إلا أن أصحابه ضيعوه، لم يكتبوا عنه شيئا.

قال الذهبى فى كتابه «العبر»: كان أمراء مصر لا يقضوا أمرا دونه، واذا خالفه أحد فى شئ، كاتب فيه الخليفة، فيعزله. وقد أراد الخليفة المنصور أن يوليه مصر إلا أنه رفض.

وتُعد آراء الليث بن سعد فى الفقه مذهبا من المذاهب الفقهية عند أهل السنة، ولكن المصريين لم يحافظوا على مذهبه وآرائه، واهتموا بمذهب مالك، فانتشر بينهم فقه مالك، وفقد فقه الليث.

ومن كتبه كتاب التاريخ، وكتاب مسائل الفقه. (١٤)

الهذيل بن مسلم التميمى (ت عام ١٨٩هـ / ٨٠٤م)كان فقيها سكن مصر.

شعيب بن الليث بن سعد المصرى الفقيه (ت سنة ١٩٩ هـ /٨١٤م). قال ابن يونس عنه: كان فقيها مفتيا.

يحيى بن حسان التنيسى، أبو زكريا (ت سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣ م) كان اماما حجة من جلة المصريين.

اسحاق بن بكر بن مضر الفقيه (ت سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣ م) وهو من طلبة الليث بن سعد، وكان يجلس فى حلقة الليث فيفتى ويحدث.

عيسى بن حماد زُغْبَة التجيبى مولاهم المصرى راوى الليث بن سعد (ت سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م).

عبد الملك بن شُعَيْبْ بن الليث بن سعد المصرى (ت سنة ٢٤٨ هـ /٨٦٢ م). سمع أباه، وابن وهب. وكان أحد الفقهاء.

أحمد بن موسى بن عيسى بن صدقه الصدفى مولاهم (ت عام ٣٠٦هـ /٩١٨م) من أهل مصر، وهو فقيه مشهور بها.

على بن عبد الله بن أبى مطر المعافرى الاسكندرى، الفقيه، العالم قاضى الاسكندرية (ت سنة ٣٣٠ هـ /٩٤١ م) روى عن محمد بن عبد الله بن ميمون صاحب الوليد بن مسلم.

---

(١٤) قلقشندة ـ وهى بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة ـ وهى قرية من الوجه البحرى من القاهرة.

مؤمل بن يحيى بن مهدى بن أبى الحسن الأسوانى الفقيه (٢٧٠ ـ ٣٥٩ هـ /٨٨٣ ـ ٩٦٩ م).

المذاهب الفقهية فى مصر:

لم يظهر الفقه كعلم فى أول الأمر، لوجود الصحابة والتابعين، ولكن لما تعددت مشاكل الاسلام، تطلب الأمر ضبط الشرع، فظهرت عدة طرق فقهية، وهى ليست فرقا، وانما دراسات دينية، لذلك أطلق عليها مذاهب، وهى تسير فى دائرة الاسلام، بحيث يمكن لأتباع إحداها أن ينتقلوا إلى أخرى.

وسنتناول فى الصفحات القادمة المذاهب الفقهية فى مصر مرتبة تبعا لانتشارها فى مصر، مع ذكر أصحاب كل مذهب.

١ـ مذهب مالك:

وهو نسبة إلى مالك بن أنس بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث ، أبو عبد الله المدنى الفقيه . ولد عام ٩٥ هـ/ ٧١٣م وقيل عام ٩٦هـ/ ٧١٤ م وقيل عام ٩٢هـ/ ٧١٠م وقيل عام ٩٣هـ/ ٧١١م، وتوفى عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م.

حدث عن نافع والزهرى وآخرون ، وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون منهم: ابن المبارك، وابن وهب، وابن القاسم. قال الشافعى : اذا ذكر العلماء فمالك النجم. وقال أيضا : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. كما قال : ما فى الأرض كتاب فى العلم أكثر صوابا من موطأ مالك. وقال آخر : إمام أهل الحديث مالك. وكان له من الكتب : كتاب الموطأ، وكتاب رسالته إلى الرشيد رواها أبو بكر بن عبد العزيز من ولد عمر بن الخطاب.

وقد كان المذهب المالكى أكثر مذاهب أهل السنة والجماعة انتشارا فى مصر ، وكان أكثر علماء مصر من فقهاء المالكية .

ويرجع السبب فى انتشار مذهب مالك فى مصر ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ إلى أن مالكا كان فقيه المدينة المنورة، والمصريون كانوا

يفضلون علماء أهل المدينة أكثر من تفضيلهم علماء الأمصار الاسلامية الأخرى .

وقد كان أساس دراسة فقه مالك بن أنس هو رواية «الموطأ» وشرحه، واستخراج آراء مالك منه. وقد كان للموطأ أربع عشرة رواية، منها خمس روايات للمصريين ، والسادسة وهى الرواية المنتشرة الآن هى رواية يحيى بن يحيى الأندلسى [١٥] أخذ الشطر الأكبر منها عن مالك نفسه ، ولكن الرواية كلها تكاد تكون عن رواية عبد الله بن وهب المصرى ، وهذا يدل على شدة إقبال علماء مصر على فقه مالك الذى حواه الموطأ.

وأول من قدم بعلم مالك إلى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى، وكان فقيها، روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد ، وتوفى بالإسكندرية عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م. وفى رواية أخرى أن عثمان بن الحكم الجذامى هو أول من أدخل علم مالك بمصر، وتوفى عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م.

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن كلا القولين صحيح، وذلك لأنه فى ترجمة عثمان الجذامى من «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلانى ما نصه : «وقال ابن وهب : أول من قدم مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد» . فيظهر أنهما بعد أن تفقها عن الامام مالك عادا معا إلى مصر ونشرا مذهبه .

ومن أصحاب مالك فى مصر :

هارون بن عبدالله بن الزهرى المالكى (ت عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٩م) تولى قضاء مصر. وقيل: إنه أعلم من صنّف الكتب فى مختلف قول مالك. وقال الخطيب: إنه سمع من مالك.

---

(١٥) وهو يحى بن كثير الليثى، أبو محمد. رحل إلى المشرق وسمع من مالك بن أنس الموطأ كما رحل إلى مصر وسمع من أكابر أصحاب مالك فيها، وعندما عاد إلى الأندلس انتهت إليه الرياسة بها، وبه انتشر مذهب مالك فى تلك البلاد، وتفقه به جماعة لا يحصون عددا، وروى عنه خلق كثير. وأشهر روايات الموطأ وأحسنها روايته. توفى عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م وقيل ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م.

طليب بن كامل اللخمى . وكان من كبار أصحاب مالك، وأصله أندلسى سكن الإسكندرية ، وروى عنه ابن القاسم وابن وهب، وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته الى مالك. وقد مات طليب فى حياة مالك بالاسكندرية سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م .

عبد الرحمن بن القاسم ، أبو عبد الله العتقى مولاهم المصرى (ت عام ١٩١هـ/ ٨٠٦م) فقيه الديار المصرية، سمع مالك بن أنس وتفقه به وصحبه عشرين سنة. وهو صاحب «المدوّنة» فى مذهبهم وهى من أجل كتبهم، وعنه أخذها سَحْنُون. ويذكر أنه أنفق أموالا عظيمة فى طلب العلم (١٦) .

عبدالله بن وهب بن مسلم ، أبو محمد (١٩٧هـ/٨١٢م) . كان أحد أئمة عصره وصحب الامام مالك عشرين سنة . (أنظر عن ترجمته فى الطبقات الخاصة بالمحدثين) .

أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسى (١٤٠ ـ ٢٠٤ هـ/ ٧٥٧ ـ ٨١٩م) وقد تولى رياسة المالكية فى مصر بعد ابن القاسم ، وكان من أكثر الناس علما . تلقى عن مالك. والليث بن سعد، والفضيل بن عياض وغيرهم. ويقول ابن وهب عنه : «كان أشهب فقيها فى علوم شتى، ما سئل عن شىء إلا أجاب» ، ووصفه الامام الشافعى بقوله :«ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه» .

اسحق بن الفرات (ت عام ٢٠٤هـ/٨١٩م) صاحب مالك، روى عن الليث بن سعد وغيره، وقال عنه الشافعى : ما رأيت بمصر أعلم باختلاف الناس من اسحق بن الفرات.

---

(١٦) العتقى:بضم العين وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف، هذه النسبة إلى العتقاء ـ كما يقول ابن خلكان ـ وهم ليسوا من قبيلة واحدة بل هم من قبائلشتى، وسموا بذلك لأنهم كانوا يقطعون على من أراد النبى صلى الله عليه وسلم، فبعث إليهم، فأتى بهم أسرى فأعتقهم، وقيل لهم: العتقاء. كما عرفوا بأهل الظاهر فى مصر وذلك لأنهم عندما تم فتح الإسكندرية ورجعوا إلى الفسطاط لم يجدوا موضعا يختطون فيه عند أهل الراية، فشكوا ذلك إلى عمرو، فقال لهم معاوية بن حديج وكان يتولى أمر الخطط: ارى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذونه منتزلا وتسمونه الظاهر، ففعلوا ذلك، فقيل لهم أهل الظاهر. وعن خطتهم أنظر، الموضوع الخاص بالقبائل العربية.

عبد الله بن عبد الحكم (ت عام ٢١٤هـ/٨٢٩م) . كان من جلة أصحاب مالك، وقد أفضت إليه رئاسة المالكية بعد أشهب، وله مصنفات فى الفقه وغيره.

أَصْبَغ بن الفرج ، أبو عبد الله المصرى (ت سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) مفتى أهل مصر . قال ابن معين: كان من أعلم خلق الله كلهم برأى مالك، يعرفها مسألة مسألة، متى قالها مالك ومن خالفه فيها، وله تصانيف، وعندما كتب المعتصم ليحمل إليه أصبغ فى المحنة هرب واختفى بحلوان .

عبد الرحمن بن أبى جعفر الدمياطى (ت عام ٢٢٦هـ / ٨٤٠م) روى عن مالك. وسمع من كبار أصحابه كابن وهب، وابن القاسم وأشهب .

يحيى بن عبد الله بن بكير، أبو زكريا المصرى (ت سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٥م) صاحب مالك والليث. وروى أنه سمع الموطأ من مالك سبعة عشر مرة، روى عنه البخارى وأبو زرعة وخلق كثير.

يوسف بن عدى الكوفى نزيل مصر (ت سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦م) حدث عن مالك ، وكان محدثا تاجرا.

عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم (ت سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م) . وهو أكبر بنى عبد الله بن عبد الحكم وهم : عبد الحكم هذا ، وعبد الرحمن ، وسعد، ومحمد، ولم يكن فيهم أفقه من عبد الحكم كما يقول ابن فرحون . وله سماع كثير من أبيه وابن وهب وغيرهما من رواة مالك ، وكان من أكابر أصحاب ابن وهب . وقيل إن موته إنما كان بسبب المحنة فى القرآن ، وإنه دخن عليه بالكبريت ولم يرجع، فضرب نحو ثلاثين سوطا فى غلالة.

الحارث بن مسكين ، أبو عمرو المصرى مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان (١٥٤ ـ ٢٥٠ هـ/ ٧٧٠ ـ ٨٦٤م) . كان فقيها على مذهب الامام مالك، وكان ثقة فى الحديث، وله تصانيف، حمله المأمون إلى بغداد فى أيام المحنة وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القرآن، وظل محبوسا

ببغداد إلى أن ولى المتوكل فأطلقه. وقد تولى القضاء بمصر (أنظر فى ذلك الموضوع الخاص بالقضاة) .

أبو طاهر ، أحمد بن عمرو بن عبد الله بن السرح الأموى مولاهم المصرى (ت سنة ٢٥٠ هـ/٨٦٤م) مصنف شرح الموطأ . وكان من كبار العلماء .

ومن فقهاء المالكية الذين توفوا فى العصر الطولونى :

عبد الغنى أبو محمد بن عبد العزيز بن سلام المعروف بالعسال (ت سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) . كان حافظا ، فقيها، مفتيا من فقهاء المالكية . روى عن ابن وهب وابن عيينة .

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو عبد الله المصرى (١٨٢ ـ ٢٦٨هـ/ ٧٩٨ ـ ٨٨١م). أحد فقهاء مصر من أصحاب مالك، أخذ مذهب مالك من ابن وهب وأشهب ، وتفقه بأبيه وبالشافعى، وانتهت إليه الرياسة بمصر . قال عنه ابن يونس: كان المفتى بمصر فى أيامه . وقال عنه النسائى: ثقة. وله كتب كثيرة منها : الرد على الشافعى، وكتاب أحكام القرآن ، وكتاب الرد على فقهاء العراق.

ابن المواز ، أبو عبد الله ، محمد بن ابراهيم الإسكندرانى (ت عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م) . انتهت إليه الرياسة فى مذهب مالك. أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم.

محمد بن أصبغ بن الفرج (ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨م) كان فقيها مفتيا بمصر.

ومن فقهاء المالكية الذين توفوا قبل العصر الاخشيدى:

محمد بن أحمد بن أبى يوسف، أبو بكر بن الخلال (ت سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) وهو من فقهاء مصر، درس بجامعها وأخذ عنه الناس ،

وألف أربعين جزءا من منتقى قول مالك، وروى عن محمد بن أصبغ، عن أبيه عن ابن القاسم : كتاب السر لمالك .

ومن فقهاء المالكية فى العصر الاخشيدى :

هارون بن محمد بن هارون الأسوانى (ت سنة ٣٢٧ هـ/ ٩٣٨م) . ذكره ابن يونس وقال : كان أحد أصحابنا الذين كتبوا معنا الحديث، وكان فقيها على مذهب مالك.

أحمد بن محمد بن هارون الأسوانى ، أبو جعفر الفقيه المالكى (ت عام ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤م وقيل عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م) .

محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد ، أبو اسحق ويعرف بالقرطبى (ت عام ٣٥٥هـ/٩٦٥م) من أعيان العلماءالمالكية. وقد انتهت إليه رياسة المالكية بمصر . ومن كتبه : كتاب الزاهى الشعبانى المشهور فى الفقه، وكتاب فى أحكام القرآن ، وكتاب فى مناقب مالك ، وكتاب الرواة عن مالك ، وكتاب مواعظ ذو النون الاخميمى .

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقى الجوهرى ، أبو القاسم (ت عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) من شيوخ الفسطاط ، وكبار فقهاء المالكية ، كثير الحديث. ألف كتاب « مسند الموطأ» ، وكتاب « مسند ما ليس فى الموطأ».

---

(١٧) وهو مسلم بن خالد بن سعد المعروف بالزنجى. كان فقيها عابدا يصوم الدهر. توفى بمكة عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م فى خلافة هارون.

٢ ـ المذهب الشافعي :

والمذهب الشافعي نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعي ، أبو عبد الله ـ ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م وتوفى سنة ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م بمصر ـ وحفظ الموطأ وعرضه على مالك ، وأذن له مسلم بن خالد (١٧) بالفتوى وهو ابن عشرين سنة أو دونها ـ

جاء محمد بن إدريس الشافعي إلى مصر سنة ١٩٩ هـ/ ٨١٤ م ونزل ضيفا على عبد الله بن عبد الحكم رئيس المالكية الذى أكرم الشافعي، ووهبه أموالا من عنده ، كما جمع له بعض المال من وجوه المصريين ليستعين به فى حياته. وبدأ الشافعي يلقى بتعاليمه وفقهه فى المسجد الجامع بالفسطاط. وأقبل عليه بعض علماء المصريين يأخذون عنه، وكان أكثرهم اقبالا عليه وأخذا منه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذى كان أبوه رئيسا للمذهب المالكى فى مصر، وكان أبوه يشجعه على الأخذ عن الشافعي، وكان علماء المالكية يلومونه على ذلك، فكان يجيبهم: اننا يجب أن نعرف مختلف الآراء! فكان هذا القول حافزا على الاستماع لفقه الشافعي، حتى كثر تلاميذ الشافعي ـ

ويقال إن الشافعي عندما دخل مصر صنف بها نحو مائتى جزء فى العلم ـ ولما أشرف على الموت، أوصى أن لا يغسله إلا أمير البلد، فلما مات ، أحضر الأمير إبراهيم بن محمد السرى فقيل له: « إن الامام أوصى أن لا يغسله إلا أنت ». قال : «هل توفى الامام وعليه دين» ؟ قالوا : «نعم » ـ قال : «احسبوا ما عليه من الدين». فحسبوا، فاذا هو سبعون ألف درهم. فقضاها عنه الأمير إبراهيم، وقال : «هذا غسلى اياه، وانما عنى عن الدين الذى عليه لأقضيه عنه».

وله من الكتب : كتاب المبسوط فى الفقه، رواه عنه الربيع بن سليمان، ويحتوى هذا الكتاب على كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، كتاب الحج، كتاب الاعتكاف.

ومن كتبه التى صنفها فى مصر: كتاب الأم، وكتاب الأمالى الكبرى، وكتاب الاملاء الصغير ، ومختصر البويطى، ومختصر المزنى والرسالة والسنن .

ومن فقهاء الشافعية فى مصر :

يوسف بن يحيى البُوَيْطى، أبو يعقوب (ت عام ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) كان خليفة الشافعى فى حلقته بعده. وقال عنه الشافعى: «ليس أحد أحق بمجلسى من يوسف بن يحيى، وليس أحد من أصحابى أعلم منه » . وقد ألف البويطى كتبا كثيرة فى فقه الشافعى منها: المختصر الكبير ، والمختصر الصغير ، وكتاب الفرائض . وقد توفى البويطى معذبا فى سجن بغداد بسبب محنة خلق القرآن ، فانه لم يُقر بخلقه (١٨) .

عبد العزيز بن عمران بن أيوب الخزاعى المصرى ، أبو على (ت عام ٢٣٤ هـ/ ٨٤٨م) كان من أكابر العلماء المالكية. فلما قدم الشافعى مصر ، لزمه ، وتفقه على مذهبه.

حرملة بن يحيى التُّجيبى ، أبو حفص المصرى الحافظ (١٦٦ ـ ٢٤٣هـ/ ٧٨٢ ـ ٨٥٧م) صاحب الامام الشافعى ، تفقه به . روى عن ابن وهب مائة ألف حديث . وصنف «المختصر»، و «المبسوط» .

محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس (ت عام ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢م) . وهو من فقهاء الشافعية، وله مناظرات مع المُزنى . وهو ابن عم الشافعى وقد تزوج بزينب إبنة الشافعى .

أحمد بن يحيى الوزير بن سليمان أبو عبد الله المصرى الحافظ النحوى (ت عام ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤م) أحد الائمة وقد صحب الشافعى وتفقه به.

---

(١٨) البويطى نسبة إلى بُوَيط. وهى قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر.

فقهاء الشافعية الذين توفوا فى العصر الطولونى :

الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج ، أبو محمد ، الأزدى بالولاء، المصرى الجيزى ، توفى عام (٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م) بالجيزة. وهو صاحب الشافعى، ولكنه كان قليل الرواية عنه ، وإنما روى عن عبد الله بن الحكم كثيرا . وكان ثقة ، روى عنه النسائى .

إسماعيل بن يحيى المُزَنّى ، أبو إبراهيم المصرى (١٧٥ ـ ٢٦٤هـ/٧٩١ـ ٨٧٧م) وهو إمام الشافعيين، وأعرفهم بطرق الشافعى وفتاويه، صنف كتبا كثيرة فى مذهب الامام الشافعى منها : «الجامع الكبير» ، «والجامع الصغير» ،و «مختصر المختصر» وغير ذلك . قال فيه الشافعى : لو ناظر الشيطان لغلبه(١٩).

يونس بن عبد الأعلى ، أبو موسى الصدفى المصرى، المقرىء ، الفقيه (ت سنة ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧م) ولد سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م. قرأ القرآن على ورش. وحدث عن ابن وهب والشافعى وتفقه عليه وانتهت إليه رياسة العلم وعلو الاسناد فى الكتاب والسنة - وكان أحد الشهود بمصر - أقام شاهدا ستين عاما- وقال النسائى : ثقة - وكان يروى للشافعى قوله :

ماحك جلدك مثل ظفرك	فتول انت جميع أمرك
واذا قصدت لحاجة	فاقصد لمعترف بقدرك

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل ، المرادى بالولاء ، أبو محمدالمصرى (ت سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م) صاحب الامام الشافعى ، وراوى أكثر كتبه - وكان مؤذنا بجامع الفسطاط - وكان يدرس فيه، ثم استدعاه أحمدبن طولون إلى التدريس فى مسجده لما بناه ، وكان أول من أملى الحديث بجامع ابن طولون -

---

(١٩) والمزنى ـ بضم الميم وفتح الزاى وبعدها نون ـ هذه النسبة إلى مزينة بنت كلب، وهى قبيلة كبيرة مشهورة.

قَحْزَم بن عبد الله ، أبو حنيفة الأسواني (ت عام ٢٧١ هـ/ ٨٨٤م) وهو من أصل قبطي . وكان من جلة أصحاب الشافعي، وكان مقيما بأسوان، يفتي بها ويدرس.

ومن الفقهاء الشافعية الذين توفوا قبل العصر الاخشيدى :

محمد بن عثمان بن إبراهيم الدمشقي .أبو زرعة (ت عام ٣٠٢ هـ/ ٩١٤م) . ولى قضاء مصر عن أحمد بن طولون عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م وكان أول قاض يتولى القضاء فى مصر على مذهب الامام الشافعي .

عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني ، أبو القاسم (ت عام ٣١٥ هـ/ ٩٢٧م) . سكن مصر ، وأخذ عن يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المرادى ، وكانت له حلقة للفتوى بمصر .

محمد بن على المصرى . أبو بكر المعروف بالعسكرى (ت عام ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م) . والعسكرى نسبة إلى العسكر . فكان مفتى أهل العسكر . روى عن يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان .

ومن فقهاء الشافعية الذين توفوا فى العصر الاخشيدى :

الحسين بن أبى زرعة الدمشقى ، أبو عبد الله (ت عام ٣٢٧ هـ/ ٩٣٨م) وهو ابن القاضى الشافعى محمد بن عثمان ، أبو زرعة . وقد تولى قضاء مصر والشام .

محمد بن بشر بن عبدالله الزبيرى ، أبو بكر (ت عام ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣م) .

محمد بن أحمد بن الربيع الأسوانى ، أبو رجاء (ت عام ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦م).

عبد الرحمن بن سلمويه الرازى (ت عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) . وكان قد قدم إلى مصر وتفقه بها وأفتى ودرس فى جامعها العتيق .

إبراهيم بن أحمد بن اسحاق المروزى . أبو أسحاق الفقيه الشافعى (ت عام ٣٤٠ هـ/ ٩٥١م) بمصر ، وكان إمام عصره فى الفتوى والتدريس وانتهت إليه الرياسة بالعراق ، وقد انتقل إلى مصر فى أواخر عمره ، وكان يجلس فى مجلس الشافعى .

محمد بن إبراهيم بن الحسين، أبو الفرح البغدادى المعروف بابن سكره (ت عام ٣٤٢ هـ/ ٩٥٣م) سكن مصر ، وحدث بها .

محمد بن أحمد بن محمد ، أبو بكر بن الحداد (٢٦٤ ـ ٣٤٤ أو ٣٤٥ هـ/ ٨٧٧ ـ ٩٥٥ أو ٩٥٦ م) أحد أئمة الشافعية ، تولى القضاء والتدريس بمصر ، ومن كتبه : كتاب « الفروع» فى المذهب، وكتاب الباهر فى الفقه، فى مائه جزء، وكتاب جامع الفقه، وكتاب أدب القضاء فى أربعين جزءا (٢٠).

عبد الله بن محمد بن الحسين، أبو بكر الخصيبى الأصبهانى(ت عام ٣٤٨هـ/٩٥٩م). له كتاب فى الفقه يسمى «المجالسة». وكان قد تولى قضاء مصر عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م.

٣ـ مذهب أبى حنيفة :

نسبة الى أبى حنيفة، النعمان بن ثابت(٨٠ـ١٥٠هـ/٦٩٩ ـ٧٦٧م)، وكانت له مؤلفات كثيرة منها :كتاب الفقه الأكبر ـ كتاب الردعلى القدرية ـ كتاب العالم والمتعلم.

ولم ينتشر مذهب أبى حنيفة فى مصر كما انتشر مذهب مالك، فتقول الدكتورة سيدة كاشف: أما المذهب الحنفى فيظهر أن احدا من أهل مصر لم يذهب اليه اذ ذاك إلا من كان من قضاتها الذين ولتهم الخلافة، وخاصة منذ عهد الخليفة هارون الرشيد الذى ولى قضاء بغداد بعد (سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد أصحاب أبى حنيفة، ولم يقلد

(٢٠) والحداد نسبة الى احد اجداده الذى كان يعمل الحديد ويبيعه. ،انظر عنه فى الموضوع الخاص بالقضاة.

الخليفة القضاء ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من اشار به القاضى أبو يوسف، وطبيعى ألا يولى أبو يوسف أحدا إلا من كان من أصحابه أى ممن يذهب مذهب أبى حنيفة.

وتقول الدكتورة سيدة كاشف أيضا : إنه اذاكان ولى القضاء بمصر فى العصر العباسى قضاة على مذهب أبى حنيفة، إلا أن عامة أهلها لم يتبعوا ذلك المذهب، وانما كان مذهب مالك هو المنتشر بها.

فقهاء الحنفية:

اسماعيل بن اليسع الكندى، الذى ولى القضاء عام (١٦٤هـ/٧٨٠م) من قبل المهدى وكان مكروها من المصريين بسبب مذهبه، ولم يكن أهل مصر يعرفون هذا المذهب، حتى إن فقيه مصر الليث بن سعد اضطر إلى أن يكتب إلى الخليفة العباسى، يطلب عزل هذا القاضى فاضطر الخليفة إلى عزل هذا القاضى الحنفى المذهب.

بكار بن قتيبة(١٨٢ ـ ٢٧٠هـ / ٧٩٨ ـ ٨٨٣م). تولى القضاء بمصر عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م من قبل المتوكل، كان يحدث فى المسجد الجامع بالفسطاط فى فقه أبى حنيفة.

احمد بن أبى عمران، أبو جعفر الفقيه قاضى الديار المصرية (ت عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) من أكابر الحنفية، وهو شيخ الطحاوى.

أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوى الفقيه الحنفى (ت عام ٣٢١هـ /٩٣٣م) وهو ابن أخت المزنى، وكان شافعى المذهب، وذكر ابن خلكان أن سبب انتقاله الى مذهب أبى حنيفة ورجوعه عن المذهب الشافعى، أن خاله المزنى قال له يوما : « والله لا جاء منك شىء». فغضب وتركه، وتحول الى المذهب الحنفى حتى برع فيه، وانتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة بمصر. صنف كتبا كثيرة منها :«أحكام القرآن» ، و«اختلاف العلماء» ، و« معانى الآثار» و« الشروط الكبير» و« كتاب الفرائض» وغير ذلك.

وهكذا أصبح بمصر فى ذلك العهد مذهبان يتعادلان هما : المالكى والشافعى، ومذهب أقل شأنا تؤيده الخلافة وهو المذهب الحنفى، أما المذهب الحنبلى[٢١] أو المذاهب الأخرى السنية، فلم يكن لها ذكر بمصر اذ ذاك. وكذلك المذاهب التى لا تعد من مذهب أهل السنة مثل : الشيعة والخوارج، فلم يكن لها أثر إلا فى ظروف سياسية معينة، ولكنها لم تعمر طويلا اذ لم يقبل المصريون على مثل تلك المذاهب .

وانقسم المصريون بين فقه الشافعى وفقه مالك انقساما أدى الى أن قاضى مصر عيسى بن المنكدر الذى تولى القضاء (٢١٢ ـ٢١٤ هـ / ٨٢٧ ـ ٨٢٩م) كان يصيح بالشافعى ويقول له :«ياكذا، دخلت هذه البلدة وأمرنا واحد، ورأيناواحد، ففرقت بيننا، وألقيت الشر، فرّق الله بين روحك وجسدك». وقد قال القاضى هذا للشافعى للخلاف الشديد الذى كان بين آراء الشافعى وآراء مالك، وتعصب المالكية لآرائهم، وتعصب الشافعية لتعاليمهم، فقد كثرت المناظرات بين علماء المذهبين، وكثيرا ما كادت تؤدى هذه المناظرات الى فتن بين المسلمين والى قتال أحيانا ! فقد حدث فى عام ٣٢٦هـ /٩٣٧م أن عاد أصحاب مالك والشافعى الى القتال فى المسجد الجامع العتيق، فلما زاد قتالهم أرسل الاخشيد، ونزع حصرهم ومساندهم، وأغلق الجامع، وكان يفتح فى أوقات الصلوات، ثم سئل الاخشيدفيهم فردهم . ويبدو ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ أن الأمراء الاخشيدين وأتباعهم كانوا يكرهون الشافعية.

---

(٢١) المذهب الحنبلى نسبة الى أحمد بن حنبل، أبو عبد الله (١٦٤ ـ ٢٤١هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٥٥م). كان إمام المحدثين، قال عنه الشافعى: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا افضل ولا أعلم ولا افقه من أحمد بن حنبل. روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وخلق عظيم. وله من الكتب : كتاب المسند ويحتوى على نيف وأربعين الف حديث، وكتاب العلل، وكتاب التفسير، وكتاب وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب الفرائض، وكتاب طاعة الرسول وغير ذلك.

التصوف والمتصوفون : (٢٢)

ظهر التصوف فى مصر منذ القرن الأول للهجرة. والتصوف ـ كما يقول ابن خلدون ـ هو «العكوف على العبادة، والانقطاع الى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة».

وترجع نشأة التصوف فى الاسلام إلى حركة الزهد العظيمة التى ظهرت تحت تأثير المسيحية فى القرن السابع الميلادى / الأول الهجرى ـ كما هو واضح من كتب تراجم الصوفية التى تفيض بأخبارهم وأقوالهم .والزهد كما قيل أول مراحل التصوف.

على أننا يجب أن نفرق بين الزهاد الذين ظهروا فى القرنين الأول والثانى للهجرة، وبين المتصوفين الذين ظهروا بعد ذى النون المصرى (ت عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) رائد الصوفية فى مصر، فقد كان له فضل كبير فى وضع كثير من التعاليم الصوفية التى نعرفها الآن، والتى تختلف عن صوفية مصر من قبل.

---

(٢٢) وعن معنى كلمة المتصوفون يقول المقريزى:
«واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة قال: وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال: رجل صوفى وللجماعة الصوفية، ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوفا وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه، انه كاللقب. فأما قول من قال إنه من الصوف، وتصوف اذا لبس الصوف، كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف. ومن قال إنهم ينسبون الى صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لاتجئ على نحو الصوفى، ومن قال إنه من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة. وقول من قال إنه مشتق من الصف، فكأنهم فى الصف الأول من حيث المحاضرة مع الله تعالى، فالمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة من الصف، ثم ان هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله أعلم».
ويقول ابن خلدون: «والاظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم فى الغلب مختصوب بلبسه، لما عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف».

ومن الزهاد والمتصوفين فى مصر :

سليمان بن ابى زينب، أبو الربيع السبأى مولاهم المصرى الزاهد(ت عام ١٣٤هـ /٧٥١م).

المحب بن حذلم، أبو خيرة الرعينى مولاهم المصرى (ت عام ١٣٥ هـ/ ٧٥٢م) قال عنه ابن لهيعة : كان أبو خيرة يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة مرتين.

عبد الكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى، أبو الحارث الزاهد، أحد الأولياء، كان ثقة، وتوفى ببرقة عام ١٣٦هـ / ٧٥٣م.

عبد الرحمن بن ميمون الزاهد، من موالى أهل المدينة وسكن مصر (ت عام ١٤٣هـ / ٧٦٠م).

العلاء بن كثير القرشى، مولاهم الاسكندرانى المصرى الزاهد (ت عام ١٤٤هـ/٧٦١م).

سهيل بن حسان، أبو السحماء الكلابى المصرى الزاهد (ت عام ١٤٧هـ/٧٦٤م).

عميرة بن أبى ناجية، أبو يحيى الرعينى مولاهم المصرى الزاهد (ت عام ١٥٣هـ /٧٧٠م) .

النضر بن عبد الجبار، أبو الأسود المرادى المصرى الزاهد (ت عام ٢١٩هـ /٨٣٤م).

ذو النون المصرى، أبو الفيض، ثَوْبَان بن إبراهيم الاخميمى (ت عام٢٤٥هـ/٨٥٩م).

بُنان بن محمد بن حمدان الحمال، أبو الحسن الزاهد (ت عام ٣١٦هـ/٩٢٨م).

محمد بن أحمد بن القاسم، أبو على الروذبارى البغدادى الزاهد. توفى بمصر عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م.

على بن محمد بن سهل ، أبو الحسن الدينورى الزاهد (ت عام ٣٣١هـ/٩٤٢م).

أبو الخير الأقطع (ت عام٣٤٣هـ/ ٩٥٤م).

الحسن بن أحمد، أبو على الكاتب المصرى (ت عام٣٤٣هـ/٩٥٤م).

على بن جعفر البغدادى المتصوف.

محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر الرملى النابلسى وكان يكره الفاطميين حتى يروى أنه قال :لو كان معى عشرة أسهم، رميت الروم بسهم، ورميت بنى عبيد بتسعة! فلما سمع بذلك المعز صاحب مصر فى ذلك الوقت قتله، وكان ذلك فى عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م.

رابعا : الدراسات اللغوية والنحوية :

وقد ازدهرت الدراسات النحوية واللغوية والعربية لما لها من صلة وثيقة بعلوم القرآن والحديث، فهى مفتاح لفهم القرآن والسنة، وأداة لفهم الاحكام.

ومن نحاة مصر:

عبد الرحيم بن على ـ وقيل ابن فخر ـ بن هبة الله النحوى الأديب (ت عام٧٩هـ/٦٩٨م) بإسنا . كان نحويا شاعرا، نظم كتابافى النحو سماه «المفيد».

عبد الرحمن بن داود المدنى الملقب بالأعرج صاحب أبى هريرة، قيل إنه أول من وضع العربية بالمدينة. وقد جاء الى مصر، وتوفى بالاسكندرية عام ١١٧هـ/٧٣٥م.

سرج الغول. وهو رجل من أهل مصر، عالم باللغة، يعرف بلقبه، قال عنه الربيع بن سليمان :كان لا يقول أحد شيئا من الشعر إلا عرضه عليه. وكان الشافعى يقول : ياربيع ادع لى سرجا ، فيأتى به، فيذكره ويناظره. وعندما يقوم سرج الغول يقول الشافعى : ياربيع نحتاج أن نستأنف طلب العلم.

عبد الملك بن هشام، أبو محمد المعافرى(ت عام ٢١٨هـ/٨٣٣م) كان إماما فى اللغة والنحومتقدما فى علم النسب، وهو صاحب السيرة النبوية.

أبو الحسن الأعز عدّه الزبيدى من الطبقة الأولى من النحويين واللغويين المصريين، أخذ عن على بن حمزة الكسائى(٢٣)، ولقيه قوم من أهل الأندلس وحملوا عنه وذلك فى عام ٢٢٧هـ/٨٤١ م.

---

(٢٣) وهو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، أحد الائمة فى القراءة والنحوواللغة، وهو من أهل الكوفة، واستوطن بغداد، وروى الحديث وصنف الكتب. وتوفى عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م وقيل عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م وقيل عام ١٨٩هـ/ ٨٠٤م وقيل عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م.

الوليد بن محمد التميمى الشهير بولاّد . توفى بمصر عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م، أصله من البصرة ونشأ بمصر، ثم رحل الى العراق فى طلب العلم وعاد الى مصر، ومعه كتب أهل العراق فى النحو واللغة، ويقال إنه هوالذى أدخل اليها كتب النحو واللغة، وكان تلميذا للخليل بن أحمد [٢٤]

القاسم بن عيسى، أبو الفضل النحوى (ت عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣ م) قال عنه ابن يونس : إنه كان عالما بالنحو واللغة.

محمود بن حسان، أبو عبد الله النحوى (ت عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م) قال عنه ابن يونس فى تاريخ مصر : كان نحويا مجوّدا، روى عن أبى زرعة المؤذن وعبد الملك بن هشام مغازى ابن اسحاق.

عبد الله بن فزارة، النحوى، أبو زهرة(ت عام ٢٨٢هـ /٨٩٥م).

داودبن محمد بن صالح النحوى المروزى، أبو الفوارس (ت عام ٢٨٣هـ/٨٩٦م)، ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر وقال :قدم مصر ومات بها. وذكره الزبيدى فى الطبقة الرابعة من النحويين الكوفيين .

أحمد بن جعفر الدِّيْنورى، أبو على (ت عام ٢٨٩هـ/ ٩٠١م) وهو أحد النحاة المبرزين والمصنفين فى نحاة مصر، وقد ألف بمصر كتابا فى النحو سماه «المهذب»، وله كتاب« اصلاح المنطق»، وكتاب«مختصر فى ضمائر القرآن» وغير ذلك.

عبد الله بن عبد العزيز، أبو موسى الضرير النحوى البغدادى. كان يؤدب ولد المهتدى، وسكن مصر، وحدّث بها عن أحمد بن جعفر الدينورى، وله كتاب فى الفرق، وآخر فى الكتابة والكتاب.

---

(٢٤) وهو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد يقول عنه ابن النديم: «وكان غاية فى استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس». وكان من الزهاد فى الدنيا، المقطعين الى العلم، ومن كتبه: كتاب «العين» توفى بالبصرة عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م.

محمد بن الوليد بن محمد بن ولاّد التميمى (ت عام٢٩٨هـ/٩١٠م)وكان قد رحل الى العراق وأقام بها ثمانية أعوام، وأخذ عن المُبّرد[٢٥] وثعلب[٢٦] وعاد الى مصر يعلم الناس علوم العربية، ووضع كتابا فى النحو سماه«المنمق».

محمد بن زيد بن يضختويه بن الهيثم البردعى من أذربيجان، نزل مصر واستوطنها، كان كثير العلم، متفننا فى الأدب واللغة والشعر، سمع منه أبو القاسم الطَّبَرانى [٢٧] بمصر وذلك فى شهر رمضان عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.

أحمد بن اسحاق، أبو طاهر (ت عام ٣٠١ هـ /٩١٣م).

يموت بن المُزَرّع، أبو بكر (ت عام ٣٠٣ هـ /٩١٥م وقيل عام ٣٠٤هـ/٩١٦ م) عدّة الزبيدى من الطبقة الثانية من النحويين واللغويين المصريين، وكان قد قدم الى مصر مرارا وآخر قدومه اليها فى عام ٣٠٣ هـ وخرج منها فى عام ٣٠٤هـ .

على بن الحسن الهُنائى الدَّوْس، أبو الحسن المعروف بِكُرَاع النمل، لقب بذلك لقصره، وكان أحد الأئمة فى اللغة والنحو، وكان معدودا فى أهل

---

(٢٥) وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير.كان إمام العربية ببغداد. ومن كتبه: كتاب «الروضة» وكتاب «المقصور والممدود»، وكتاب«المذكر والمؤنث» وغيرذلك. والمبرد لقبّه به المازنى ومعناه المثبِتُ للحق. ولد عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م وتوفى عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م.

(٢٦) وهو أحمد بن يحيى، أبو العباس ثعلب. إمام الكوفيين فى النحو واللغة والفقه والديانة. ومن كتبه: كتاب «اختلاف النحويين» وكتاب «معانى القران» وكتاب «المصُون» فى النحو وغير ذلك. ولد عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م وتوفى عام ٢٩١هـ/ ٩٠٣م.

(٢٧) وهو سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطَّبَرانى، كان حافظ عصره، رحل فى طلب الحديث من الشام الى العراق والحجاز واليمن ومصر، وأقام فى الرحلة ثلاثا وثلاثين سنة. ومن أشهر كتبه المعاجم الثلاثة «الكبير» و «الأوسط» و «الصغير». والطبرانى ـ بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء وبعد الألف نون ـ نسبة الى طبرية. ولد عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م وتوفى ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م.

مصر لاقامته بها، أخذ عن البصريين والكوفيين معا، وصنف مصنفات على وزن واحد فى التسمية منها: المُجَرد، المنظم، المُنَجِّد، المُنَضَّد وكان حيا فى عام ٣٠٩ هـ /٩٢١ م فى خلافة المقتدر

محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم، أبو بكر النحوى المعروف بالملطى (ت عام ٣٣٠هـ /٩٤١ م) كان نحويا يعلم أولاد الملوك النحو، كما أنه أم بالجامع العتيق بمصر

أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد بن ولاّد التميمى، أبو العباس (ت عام ٣٣٢هـ /٩٤٣م) كان بصيرا بالنحو، أستاذا فيه، رحل الى العراق كما رحل إليها والده وجده، وأخذ عن الزجّاج (٢٨) الذى كان يثنى عليه عند كل من قدم اليه من مصر، ويقول لهم: «لى عندكم تلميذ من حاله وشأنه فيقال له: أبو جعفر بن النحاس فيقول: لا، هو أبو العباس بن ولاد» ومِنْ كتبه التى ألفها فى مصر كتاب «المقصور والممدود»

عبد الله بن محمد بن الوليد، أبو القاسم بن ولاّد وهو أخ لأبى العباس أحمد بن ولاد»، الا أنه كان دون أخيه فى العلم

على بن الحسن بن محمد بن يحيى يعرف بعَلاّن المصرى (ت عام ٣٣٧هـ /٩٤٨م)

أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس، يعرف بابن النَّحاس، أبو جعفر النحوى المصرى (ت عام ٣٣٨هـ /٩٤٩م) رحل إلى بغداد وأخذ عن الأخفش الأصغر (٢٩)، والمبرد والزجاج، وعاد الى مصر وسمع بها من

---

(٢٨) وهو أبو اسحاق، ابراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوى. ومن كتبه: كتاب الاشتقاق. وكتاب «القوافى» وكتاب «مختصر فى النحو»، وكتاب «شرح أبيات سيبويه» وغير ذلك. توفى ببغداد عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م وقيل عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م وقيل عام٣١٦هـ/ ٩٢٨م.

(٢٩) وهو أبو الحسن، على بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر النحوى. ومن كتبه: كتاب «الأنوار» وكتاب «التثنيه والجمع». وكان قد دخل مصر عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م وخرج منها عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. وتوفى عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م وقيل عام٣١٦هـ/ ٩٢٨م. والأخْفَش ـ بفتح الهمزة و سكون الخاء المعجمة وفتح الفاء و بعدها شين معجمة ـ وهو الصغير العين مع سوء بصرها.

النسائي والف كتبا كثيرة منها: «إعراب القرآن»و«معاني القرآن»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «شرح أبيات سيبويه»، وكتاب في اختلاف البصريين والكوفيين في النحو سماه «المقنع»، وكتاب لقبه «بالكافي» في علم العربية

محمد بن أحمد بن علي بن ابراهيم بن يزيد بن حاتم (ت عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م)، كان عالما لغويا نحويا ثقة

محمد بن موسى بن أبي محمد بن مؤمن الكندي النحوي، أبو بكر (ت عام ٣٥١هـ/٩٦٢م) كتب الحديث والنحو، وكان رجلا فاضلا صالحا

العباس بن احمد بن مطروح بن سراج بن محمد بن عبد الله الأزدي النحوي، أبو عيسى (ت عام٣٥٢هـ/٩٦٤م) وهو من أهل مصر

ابراهيم بن عبد الله بن محمد النُّجَيْرميُّ، أبو اسحاق النحوي اللغوي، وكان شاعرا أيضا وذلك في زمن كافور الاخشيدي(٣٥٥ ـ٣٥٧هـ/ ٩٦٥ ـ٩٦٧م).

محمد بن اسحاق بن أسباط الكندي، أبو النَّضْر المصري النحوي، أخذ عن الزجاج، وله كتاب في النحو سماه «العيون والنُّكت» وكان شيخ أهل الأدب، ومن كتبه أيضا :كتاب «المغني في النحو»،وكتاب «الموقظ»، وكتاب «التلقين»

محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الادفوي المقرىء النحوي المفسر .(توفي عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م) أخذ النحو عن أبي جعفر النحاس، انفرد بالامامة في قراءة نافع ورواية ورش، وكان يبيع الخشب بمصر، وصنف كتبا كثيرة منها : كتاب في التفسير يدعى «الاستغناء في علوم القرآن»

خامسا : التاريخ .

وكان بجانب الحركة الدينية حركة تعنى بتدوين لأحداث التاريخ، وتسلك في منهجها مسلك المحدثين، فقد كان علم التاريخ عند المسلمين يهدف فى البداية الى دراسة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة والجماعة الاسلامية الناشئة وأخبار الغزوات والجهاد. وهكذا نرى أن طبيعة علم التاريخ لم تكن تختلف أولا عن طبيعة علم الحديث، اللهم إلا فى هدف كل منهما، ونوع الروايات التى يعنى بها، فالمحدثون يعنون بالروايات التى تقرر مبادىء فقهية أو خلقية، بينما يعنى المؤرخون بالروايات التى تتجه الى سرد الحوادث.وحسبنا دليلا على اشتراك العلمين فى المصادر والمنهج أن كل جيل كان يأخذ الروايات عن الجيل الذى سبقه، وأن المتن فى كل رواية كان مسبوقا بالسند أو الاسناد، ولذلك نرى من تخصص فى التاريخ أيضا ممن كانت دراستهم أساسها الحديث والفقه

ونلاحظ أن رواة التاريخ ـ كما يقول الدكتور عبد المجيد عابدين ـ كانوا على مر الزمن أقل تشددا من رواة الحديث فى نقد أسانيدهم وأخبارهم، فتقبلوا أخبارا لا تخلو من خيال وأساطير فى وصف عجائب مصر وأخبار أهلها فى عصور ما قبل الفتح، ولذلك يجد الناظر فى المصادر العربية لتاريخ مصر، والتى تناولت ما قبل الفتح وما بعده، صنفين من الأخبار قد يمتزجان، ولكن يختلف أحدهما عن الآخر فى الطبيعة والمنهج، الأول : يدخل فى باب العجائب والاساطير، ومعظمه حكايات عن أحوال مصر وأخبار ملوكها وأهلها فى أزمنة ما قبل الفتح

والثانى : أحداث ووقائع ومشاهدات، وأكثرها يتناول تاريخ مصر منذ دخول العرب الفاتحين

وبالمقارنة يتبين أن الصنف الأخير الذى يمثل جانبا واقعيا تجريبيا فى الفكر العربى الاسلامى، إنما يعبر فى الحقيقة عن مقدرة أصيلة مبتكرة لهذا

الفكر، ومقدرة على الملاحظة والوصف والجمع والافادة مما تعلمه العلماء من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد، ويفضل هذه المقدرة تبوأ التاريخ وسائر العلوم التى تعتمد عليه مكانا مرموقا فى مؤلفاتهم، وأظهروا فى ميادينها تفوقا ظاهرا وأعمالا رائعة.

ومن مؤرخى مصر :

يحيى النقيوسى، أو يوحنا النقيوسى الذى كان أسقفا مصريا لابرشية نقيوس(٣٠) فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى. ومن أهم مآثره : المؤلف الذى وضعه فى تاريخ مصر باللغة القبطية، ويعد من أفضل كتب التواريخ، نظرا لاحتوائه آلاف الحوادث التى جرت أيام الفتح العربى، ومنها ما وقع فى أيامه وشاهده بعينه، وقد ترجم هذا الكتاب من القبطية الى اليونانية فالحبشية، ولكن لم تبق من تراجمه سوى النسخة الحبشية التى نقلها الى العربية الشماس غبريال المصرى الراهب.

هانىء بن المنذر الكلاعى المصرى (ت عام ١٤٧هـ/٧٦٤م). يقول عنه الذهبى : إنه كان إخباريا، علامة بالأنساب وأيام العرب.

سعيد بن عفير، أبو عثمان المصرى المؤرخ (ت عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م). كان فقيها، نسابة، إخباريا، شاعرا، صحيح النقل. قال عنه ابن يونس :كان من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصرى، ولد بفسطاط مصر حوالى عام ١٨٧هـ/٨٠٢م وتوفى عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م. وضع

---

(٣٠) ذكر محمد رمزى فى قاموسه أن الافرنج قالوا: إن نقيوس هى البلدة التى تعرف اليوم باسم ابشادى إحدى قرى مركز تلا بمدينة المنوفية اعتمادا على أن اسمها ورد فى كشف الاسقفيات هكذا بشاتى = نقيوس وأن الاسمين لمدينة واحدة كانت قاعدة قسم بروزوبيس. غير أن محمد رمزى يرى بعد البحث أن مدينة نقيوس هى مدينة أخرى غير ابشادى، وأنها قد زالت ومحلها اليوم الكوم الأثرى الكائن بالجهه البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الأهالى باسم كوم مانوس أو دقيانوس المحرفين عن نقيوس التى اختفى اسمها من القديم.

كتابا باسم «فتوح مصر» يعد من أقدم الكتب التاريخية التى وصلتنا عن مصر الاسلامية.

عمارة بن وثيمة بن موسى الفارسى، أبو رفاعة. ولد بمصر وتوفى بها عام ٢٨٩هـ/٩٠١م. صاحب التاريخ على السنين، ولا نعرف عن مصنفه هذا الا ما ذكره المؤرخون من أنه كان مرتبا على السنين، وقد حدّث عن أبى صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة بن موسى بن الفرات المتوفى عام ٢٣٧هـ/٨٥١م.

الحسن بن القاسم بن جعفر بن دحية، أبو على الدمشقى. من أبناء المحدثين، كان إخباريا، له فى ذلك مصنفات. توفى بمصر عام ٣٢٧هـ/٩٣٨م.

سعيد بن البطريق (ت عام ٣٢٨هـ/٩٣٩م) وهو البطريرك الرومى الملكانى أفتيشيوس، نصب بطريركا على الاسكندرية عام ٣٢١هـ/٩٣٣م وقد عنى بالتاريخ، وكتب فيه مؤلفا مشهورا هو «نظم الجوهر» أو «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» تحدث فيه عن التاريخ منذ الخليقة الى العصر الذى عاش فيه.

أحمد بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية. توفى حوالى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، ومن كتبه التى وصلت الينا: كتاب المكافأة، وكتاب سيرة أحمد بن طولون، وكتاب سيرة أبى الجيش خمارويه.

على بن الحسين بن على المسعودى المؤرخ. نشأ فى بغداد وتوفى فى الفسطاط عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م.وقد استن فى تأليف التاريخ سنة جديدة ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ فصار لا يرتب الحوادث حسب السنين الهجرية، بل جمعها تحت رؤوس موضوعات من الشعوب والملوك والأسرات، وقد تبعه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين ولا سيما ابن خلدون. ومن كتبه :كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وكتاب «التنبيه والاشراف».

ابو سعيد، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المؤرخ المصرى (٢٨١ ـ ٣٤٧هـ/٨٩٤ ـ ٩٥٨م) وهو الذى يعرف اسمه اختصارا بابن يونس صاحب تاريخ مصر، وقد جمع لمصر تاريخين أحدهما، وهو الاكبر، يختص بالمصريين، والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر.

محمد يوسف بن يعقوب، أبو عمر الكندى (٢٨٣ـ ٣٥٠هـ/٨٩٦ ـ ٩٦١م)ومن أعظم مؤلفاته «كتاب الولاة» و«كتاب القضاة». ولعل الكندى أول من أرخ لمصر حسب الولاة، فوضع هذا الفن للمؤرخين بعده. وللكندى كتب أخرى منها :«كتاب الخطط»،و«كتاب أخبار مسجد أهل الراية الأعظم»، و«كتاب الموالى» إلاأنها فقدت.

عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب. وهو صاحب كتاب «فضائل مصر»، ومن الأخطاء الشائعة أن هذا الكتاب ينسب الى والده الكندى، غير أنه كتب فى مقدمته أن الذى أمره بتأليفه هو كافور الاخشيدى،وأشار الى والده الكندى بين العلماء الذين جمع من كتبهم ما أمره به كافور، ثم ذكره ثانية بين علماء مصر.

الحسن بن ابراهيم بن الحسين المصرى المؤرخ المعروف بابن زولاق ــ ولد بفسطاط مصر عام ٣٠٦هـ/٩١٨م وتوفى عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م.عنى بتاريخ مصر، ووضع ذيلا لكتاب أمراء مصر وقضاتها للكندى، كما ألف كتبا فى«فضائل مصر»وفى«خطط مصر» وفى تاريخ مصر على السنين. وكان ابن زولاق مصدرا هاما من المصادر التى اعتمد عليها المؤرخون من بعده، لذلك أطلقوا عليه لقب «مؤرخ مصر» مما يدل على قيمة كتبه وأخباره الصادقة المتعلقة بمصر.

ومن المؤرخين الذين زاروا مصر :

محمد بن جرير بن يزيد،أبو جعفر الطبرى المحدث الفقيه المقرىء المؤرخ(٢٢٤ ـ ٣١٠/٨٣٨ ـ ٩٢٢م). جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات كلها، بصيرا بالمعانى، فقيها فى الأحكام، عالما بالسنن وطرقها،وصحيحها وسقيمها،

وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفا بأيام الناس وأخبارهم. وله الكتاب المشهور فى تاريخ الأمم والملوك، وله أيضا كتاب فى تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار، إلا أنه لم يتمه، وله فى أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة. وهو أحد المحدثين الذين اجتمعوا فى أيام أحمد بن طولون وهم :

محمد بن اسحاق بن خزيمة(٣١) ومحمد بن نصر المروزى(٣٢) ومحمد بن هارون الرويانى(٣٣) ومحمد بن جرير الطبرى، ولم يبقى عندهم ما يقوتهم، فاجتمعوا فى بيت، واقترعوا على أن من خرجت عليه القرعة يسأل ! فخرجت على ابن خزيمة، فقال لهم : أمهلونى حتى أصلى، فدق الباب، فاذا بغلام من عند أحمد بن طولون يعطى لكل واحد منهم خمسين دينارا بالاسم، ثم حدثهم فقال : إن الأمير كان نائما بالأمس، فرأى فى النوم أن المحامد جياع، فأنفذ اليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم اذا نفدت فعرفونى.

ويعتبر كتابه «أخبارالرسل والملوك» أول كتب التاريخ الشاملة فى اللغة العربية، وقد بدأه بالخليقة، ووقف فيه عند سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م. والمعروف أنه رتبه على السنين الهجرية، واتبع فيه طريقة الاسناد الى رواة الحوادث بالتسلسل. ويظهر فى تاريخ الطبرى الصلة الوثيقة بين علمى الحديث والتاريخ. والمعروف أن الطبرى محدث قبل أن يكون مؤرخا، وأن تاريخه مكمل فى كثير من النواحى لكتابه الكبير فى تفسير القرآن الكريم.

وقد ارتبط بعلم التاريخ نوعان من العلوم : النوع الأول، وهو فن السير، والنوع الثانى وهو فن القصص.

---

(٣١)وهو محمد اسحاق بن خزيمة بن المغيرة الشافعى. كتب الكثير وصنف وجمع، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلها، توفى عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م.

(٣٢) وهو محمد بن نصر، أبو عبد الله المروزى. رحل الى الآفاق، وسمع من المشايخ الكثير النافع، وصنف الكتب المفيدة منها كتابا عظيما فى الصلاة، توفى عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م.

(٣٣) وهو محمد بن هارون الرويانى، ابو بكر صاحب المسند المشهور، ذكر أن له تصانيف فى الفقه. توفى عام ٣٠٧هـ/ ٩١٩م.

وبالنسبة للنوع الأول، وهو فن السير، فيقوم على رواية حوادث حصلت لصاحب السيرة لابراز شخصيته، أو ناحية من نواحى شخصيته، فسيرة الشخص هنا ليست ترجمة تامة لحياته منذ ولادته الى وفاته، بل هى رواية شيء من افعاله أوأقواله أوعن علاقته بمعاصريه دون ترتيب زمنى، ولكنها كافية لأن تعطينا صورة صادقة عن هذا الشخص. ولذلك ففن السير يعتبر فرعا من علم التاريخ.

ولقد استأثرت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه باهتمام المؤرخين منذ صدر الاسلام، فكانت الكتب التاريخية الأولى تبحث فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وغزواته، وتجمع أخبار هجرة المسلمين الى الحبشة والى المدينة، وأخبارغزوات النبى صلى الله عليه وسلم والذين اشتركوا فيها.

ومن مؤلفى السيرة النبوية:

محمد بن اسحق (ت عام ١٥١هـ/٧٦٨م) صاحب المغازى والسير، وقد وفد على مصر، وروى فيها سيرته.

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م وقيل عام ٢١٣هـ/٨٢٨م). نزيل مصر، مهذب السيرة النبوية، فقد سمعها من زياد البكّائى[٣٤] صاحب ابن اسحق، ونقحها، وحذف من اشعارها جملة. وقد وثقه ابن يونس. ومن كتبه : السيرة ـ شرح ما وقع فى أشعار السيرة من الغريب ـ أنساب حمير وملوكها.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد الزهرى المصرى، أبو عبد الله، ابن البرقى (ت عام ٢٤٩هـ/٨٦٣م). كان يحدث بالمغازى، قال عنه النسائى : لا بأس به . وقال ابن يونس :ثقه.

---

(٣٤) ـ وهو زياد بن عبد الله بن الطفيل البكّائى ويكنى أبا محمد. سمع المغازى من محمد بن اسحاق، وقدم بغداد فحدثهم بها وبالفرائض وغير ذلك، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م.

ولم يقتصر التأليف فى السير على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمغازى، وانما تعددتها الى سير الملوك والوزراء.

ومن المؤرخين الذين ألفوا فى سير الملوك والوزراء والأمراء :

عبد الله بن عبد الحكم (ت عام ٢١٤هـ/٨٢٩م) فقد كتب«سيرة عمر ابن عبد العزيز» ثم رواها عنه ابنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو عبد الله (المتوفى عام ٢٦٨هـ/٨٨١م).

أحمد بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية (توفى حوالى عام ٣٤٠هـ/٩٥١م) فقد كتب «سيرة أحمد بن طولون»، و«سيرة أبى الجيش خمارويه»،و«سيرة هارون بن أبى الجيش»،و«أخبار ابراهيم بن المهدى» .

الحسن بن ابراهيم بن الحسين المصرى المعروف بابن زولاق (٣٠٦ ـ ٣٨٧هـ/٩١٨ ـ ٩٩٧م) فقد كتب «سيرة محمد بن طغج الاخشيدى»، وكتاب «سيرة كافور» وكتاب«سيرة الماذرائيين»،وكتاب «سيرة جوهر»، وكتاب «سيرة المعز»، وكتاب «سيرة العزيز»، وكتاب «سيرةسيبويه المصرى».

ومن مؤلفى السير الأقباط **ساويرس بن المقفع** الذى كان أسقفا للأشمونين التى تقع بين المنيا وأسيوط فى الوجة القبلى، وكان من العلماء العاملين، قضى حياته فى التأليف والترجمة.

وبالنسبة لتاريخ وفاته تقول الدكتورة سيدة كاشف :«نحن لا نعرف وفاة ساويرس، ولكن يتضح لنا مما كتبه فى سير الآباء البطاركة أنه عاش حتى زمن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، أى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وفى أواخر القرن العاشر الميلادى.»

وأشهر الكتب التى تركها كتاب «تاريخ البطاركة» أو «سير الآباء البطاركة»، وكان قد جمعه باللغة القبطية من السجلات التى بدير أبى مقار ببرية شيهات،وبدير نهيا بالجيزة، وبدير وادى هبيب (وادى النطرون)، وغيرها من الأديرة.

ويتضح مما كتبه ساويرس أن اللغة العربية كانت هى اللغة السائدة فى ديار مصر فى عصره، وأن غالبية المسيحيين فى مصر أصبحوا يجهلون اللغة القبطية، فيذكر ساويرس أنه لاقى مشقة كبيرة فى ترجمة الوثائق القبطية واليونانية الى العربية، وأنه استعان ببعض المسيحيين ممن كان لهم دراية باللسان القبطى أو اليونانى. وقد أتم كتاب ساويرس من أتى بعده من الكتاب والأساقفة، ولكن الكتاب ينسب الى ساويرس، ولعل ذلك ـ كما ترى الدكتورة سيدة كاشف ـ يرجع الى أن ساويرس كان أول من تكبد جمع السير والوقوف عليها وترجمتها. ويعتبر كتاب ساويرس من نوع كتب التراجم المعروفة فى التاريخ الاسلامى، ولكنه خاص بتراجم البطاركة فى مصر من أيام ظهور المسيحية فيها زمن الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر الى بداية حكم الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م.

وبالنسبة للنوع الثانى من العلوم المرتبطة بالتاريخ فهو فن القصص :

وقد استحدث القصص فى صدر الاسلام، وصورة هذا القصص أن يجلس القاص فى مسجد، وحوله الناس، فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصاعن الأمم الأخرى وأساطير ونحو ذلك، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب.

قال الليث بن سعد : هما قصصان : قصص العامة وقصص الخاصة، فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم، فذلك مكروه لمن فعله ولمن سمعه، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية حين ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل، وحمده ومجّده، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه ولجنوده، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة.

ولقد ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملا رسميا، يعهد به الى رجال رسميين، يعطون عليه أجرا.

وكان بمصر من القصاص:

سليم بن عتر التجيبي وكان أول من قص بمصر عام (٣٩هـ/٦٥٩م)، وعندما ولاه معاوية القضاء عام (٤٠هـ/٦٦٠م)جمع بين القضاء والقص

عبد الرحمن بن حجيرة الذى جمع مع القضاء القصص(٦٩ ـ ٨٣هـ/٦٨٨ ـ ٧٠٢م)، وكان رزقه من القصص مائتى دينار.

عقبة بن مسلم التُّجَيْبِي، ابو محمد المصرى (ت عام ١٢٠هـ/٧٣٧م) إمام جامع عمرو،وكان يتولى القصص.

توبة بن نمر بن حرمل الحضرمى. تولى القصص بالجامع بعد عقبة وذلك فى عام (١١٨هـ/٧٣٦م) وهكذا جمع له القضاء والقصص، لانه تولى القضاء عام ١١٥هـ/٧٣٣م.

خير بن نُعَيْم بن مرة الحضرمى المصرى. جمع له القضاء والقصص(١٢٠ ـ ١٢٨هـ/٧٣٧ ـ ٧٤٥م).

الجُلاَح ابو كثير الأموى المصرى (ت عام ١٢٠هـ/٧٣٧م) وهو مولى عبد العزيز بن مروان، وقد جعله عمر بن عبد العزيز على القصص بالاسكندرية.

دَرّاج بن سمعان، أبو السمح المصرى القاص(ت عام ١٢٦هـ/٧٤٣م) وهو مولى عبد الله بن عمرو بن العاص.

عبد الرحمن بن سالم بن ابى سالم الجيشانى (ت عام ١٤٣هـ/٧٦٠م) ولى قضاء مصر والقصص، ثم عزل وولى ديوان الجند.

ابو رجب العلا بن عاصم الخولانى، تولى القصص فى عام ١٨٢هـ/٧٩٨م.

حسن بن ربيع بن سليمان تولى القصص فى جامع عمرو عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م فى زمن المتوكل من قبل عنبسة بن اسحاق والى مصر.

حمزة بن ابراهيم بن أيوب الهاشمى. تولى القصص من قبل الخليفة العباسى المكتفى (٢٨٩ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠١ـ ٩٠٧م)وذلك فى عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م.

أبو الحسن، على بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادى ثم المصرى (ت عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م).كان له مجلس وعظ، وله مصنفات كثيرة فى الحديث والوعظ والزهد.

٢ ـ الدراسات الأدبية :

والمقصود بها الشعر والنثر.

اولا : الشعر :

وبالنسبة لظهور الشعر العربى فى مصر يقول الدكتور محمد كامل حسين : من البديهى أن لا ننتظر ظهور الشعر العربى فى مصر بمجرد دخول العرب فيها، فاللغة العربية لم تكن لغة المصريين قبل الفتح، والذين أسلموا من المصريين وعرفوا اللغة العربية كان من الصعب عليهم أن يُعبِّروا بهذه اللغة عن مشاعرهم وأهوائهم فى قالب شعرى عربى، هذا الى جانب أن اتجاه المسلمين فى مصر الى الدراسات الدينية الاسلامية قد صرفهم عن الشعر.

وقد مر الشعر فى مصر بمرحلتين :

المرحلة الأولى : فترة العصر الأموى، وينتهى بالقرن الثانى للهجرة.

المرحلة الثانية : فترة العصر العباسى، ويضم القرنين الثانى والثالث للهجرة.

وبالنسبة للمرحلة الأولى وهى فترة العصر الأموى فيقول الدكتور محمد كامل حسين : إننا لا نجد فى مصر شعرا له قيمته إلا بعض المقطوعات التى

تسجل الحوادث التى كانت جارية فى البلاد مثل : تنازل عبد الرحمن بن قيسبة عن داره لتكون مسجد الفسطاط، أو هجاء رؤساء القبائل العربية، أو مدح وال لموقف فعله، أو هجاء وال، أو رثاء وغير ذلك. على اننا ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ لا نجد شاعراً فى مصر يقف فى صف واحد مع فحول الشعر العربى بالعراق. . .

وهكذا اقتصر شعر هذه المرحلة على وصف الحوادث الجارية فى قالب شعرى، سواء كانت حوادث سياسية أواقتصادية، فهو شعر تقريرى لا غناء فيه من الناحية الفنية، عدا الشعر الذى أنشده الشعراء الوافدون.

وبالنسبة للمرحلة الثانية وهى فترة العصر العباسى، فقد أدى تطور الحياة الأدبية المصرية، لظهور عدد كبير من الموالى ومن العرب الذين حاولوا محاكاة الشعر العربى، الى جانب قيام الثورات ـــ فقد أدى ذلك الى ايقاظ روح الشعر فى مصر، فظهر الشعر ذو القيمة الفنية.

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أنه منذ النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة ظهر الشعر المصرى(٣٥) الذى تظهر فيه بعض نواحى الشخصية المصرية، فلم يعد شعراء مصر ينشدون فى الحوادث التى وقعت بمصر، أو يفخرون برجال قبائلهم أو هجاء أعدائهم، انما تنوعت أغراض الشعر وتعددت مقاصده، وأسهم شعراء مصر فى كل الأغراض التى عرفها الشعر المصرى.

ومن شعراء مصر فى عصرالولاة :

الشاعر ابن ميَّادة المُرىّ، وكذلك الشاعر ابو عثمان السكرى
الذى ورد لنا من شعره :

---

(٣٥) لانجد شخصية مصر فى الشعر فى الأوزان، ولا فى القوافى، ولا فى الأسلوب، لأن الشعراء جميعا خضعوا لتقاليد الشعر العربى وخصائصه، بل نجدها فى الأخيلة الشعرية وفى المعانى، فالشعر المصرى صور الحياة المصرية أصدق تمثيل بحث انك اذا قرأت هذا الشعر المصرى لا تستطيع أن تنسبه الى قطر عربى آخر غير مصر.

ياقَيْسَ عَيْلاَن إنّى نَاصِحٌ لَكُمْ	أدّوا الخَرَاجَ وخَافُوا القَتْلَ والحَرَبَا
إنّى أحَـذّرِكُمْ يَحْيَى وَصَوْلَتَه	فمَاَ رأَيْتُ لَهُ تقياً اذا غَضِبَا (٣٦)

والشاعر أبو نجاد الحارثى ، والشاعر أحمد الحمراوى.

الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائى . (توفى بالموصل عام ٢٢٨هـ/٨٤٢م وقيل عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م وقيل عام ٢٣١هـ/٨٤٥م وقيل عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م). وفد على مصر وهو حدث السن، وأقام بالفسطاط يسقى العلماء والمتعلمين الماء فى حلقات الدرس بجامع عمرو، ويقال إن أول شعر أنشده كان فى مصر، لذلك عَدّه مؤرخو مصر مصرى النشأة والتعليم والشعر، ومع ذلك فحياة أبى تمام فى مصر غامضة كل الغموض، فنحن لا نعلم شيئا عن أساتذته المصريين الذين أخذ عنهم، ولكننا نستطيع أن نقول إنه كان فى مصر فى الوقت الذى نبغ فيه عدد من الشعراء، أمثال : سعيد بن عفير، والمعلى الطائى، ويحيى الخولانى، ويوسف السراج وغيرهم. ومن كتبه : «فحول الشعراء» جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والاسلامية، وكتاب «الاختيارات من شعر الشعراء» وغير ذلك.

وخرج أبو تمام من مصر، ولكنه كان يحن اليها من حين لآخر، فكان يذكرها فى شعره، فهو يقول مرة :

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا	بالرقمتين، وبالفسطاط إخوانى
وما اظن النوى ترضى بما صنعت	حتى تشافه بى أقصى خراسان
خلفت بالأفق الغربى لى سكنا	قد كان عيشى به حلوا بحلوان

الشاعر زرعة بن سعد الله بن أبى زَمَزمة.

الشاعر زياد بن قائد اللَخْمى .

---

(٣٦) والمناسبة التى قيل فيها هذا الشعر هى امتناع أهل الحوف عن أداء الخراج فى ولاية الحسين بن جميل من قبل الرشيد (١٩٠ ـ ١٩٢هـ/ ٨٠٥ ـ٨٠٧م) فارسل الرشيد جيشا لمحاربتهم بقيادة يحيى بن معاذ.

الشاعر الشمر بن نمير، أبو عبد الله. رحل من قرطبة الى المشرق، واستوطن مصر، روى عنه عبد الله بن وهب (المتوفى عام ١٩٧هـ/٨١٢م) وغيره، وتوفى بها.

سرج الغول، وهو رجل من أهل مصر عالم باللغة والشعر .

الشاعر سعيد بن عفير. رثى والى مصر عمير بن الوليد (٢١٤هـ/٨٢٩م) بقوله :

سَاقَتْ عُمَيْرَ إلى مصرٍ مَنِيَّتُهُ ... بإمْرةٍ لمْ يَكُنْ فيهَا بِمَسْعُودِ
حَتى أتَتْهُ المَنَايَا وَهو مُلْتَحِفُ ... ثَوبينِ منِ حَبَراتِ البأسِ والجُودِ

الشاعر سليمان بن أبان بن أبى حدير الأنصارى ، كان من شعره فى رثاء عبد العزيز بن مروان وابنه الأصبغ :

فَمَنْ ذَا الذى يَبْنى المكَارِمِ والعُلى ... ومنْ ذا الّذى يهْدى لهُ بَعْدَكَ السَّفْرُ
فَكُنْتَ حَلِيفَ العُرْفِ والخَيرِ والنَّدَى ... فَمِتْنَ جميعاً حينَ غَيَّبكَ القَبْرُ

الشاعر عبد الرحمن بن الحكم، والشاعر عيسى بن شافع ، والشاعرالغطريف الحميرى، والشاعر محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، ذو الشامة الذى رثى عبد العزيز وابنه الأصبغ أيضا.

الشاعر محمد بن القاسم، أبو الحسن المعروف بمانى الموسوس. من أهل مصر، ورحل الى بغداد أيام المتوكل (٢٣٢ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ـ ٨٦١م)، وصفه ابن زولاق بأنه كان من أظرف الناس وألطفهم. ويقول عنه الأصفهانى : شاعر لين الشعر رقيقه، لم يقل شيئا إلا فى الغزل. ومن شعره :

وقَفْتُ أناجى القَلْبَ والدّمْعُ حائرٌ ... بمُقلة موَقّوف على الضُّرِ والجَهدِ
ولم يُعْدِنِى هذا الأميرُ بَعْدله ... على ظالم قد لَجَّ فى الهَجرِ والصَّدُ

وقال أيضا :

فتنفّستُ ثم قُلتُ لطيفى ... ويْك إن زُرْتَ طيْفها إلْماماً
حَيِّها بالسّلام سِراً وإلاّ ... منعوها لشِقوتى أنْ تَناما

ومن الشعراء كذلك فى عصر الولاة : الشاعر مرسل بن حمير الذى رثى والى مصر حفص بن الوليد، والشاعر مسرور الخولانى الذى رثى كذلك حفص بن الوليد وأصحابه بقوله .

فَلا خَيْر فى الدُّنيا ولا العَيْش بَعدهُمُ
فكَيف وقد أضحوا بسفح المقطم

الشاعر مُعَلّى الطائى.

الشاعر معلى بن المعلى الطائى. كان فى مدة هارون الرشيد، ممن عاصر أبا نواس من شعراء المائة الثانية.

شاعر يحيى بن الفضل، وقد ورد لنا من شعره:

بِئْسَ والله مـــا صَنَعْتَ إلَيْنَا ... حينَ وَلَّيْتَنَا أمـيـراً مُـصَـابا
خَـارِجِـيـاً يَدينُ بِالسَّيْفِ فـينَا ... ويرى قَـتْلنا جَـمِـيـعـا صَـوابَا(٣٧)

ومن الشعراء الوافدين فى عصر الولاة :

الشاعر ايمن بن خُرَيم الأسَدى، دخل مصر أيام عبد العزيز بن مروان(٦٥ـ٨٦هـ/ ٦٨٤ـ ٧٠٥م).

الشاعر جميل بن عبد الله بن مَعْمَر، أبو عمرو(صاحب بثينة). قدم مصر على عبد العزيز بن مروان مادحا، فأذن له وسمع مدائحه، وأحسن جائزته. وعندما سأله عن بثينة وسمع حكايته وعده بابتناء منزل له ولها، وأمر له بالمنزل وما يصلحه، فما أقام إلا قليلا حتى مات بمصر فى عام ٨٢هـ/ ٧٠١م ومن شعره :

لقد خِفتُ أن يغتالنى الموتُ عَنْوةً ... وفى النفس حاجاتٌ اليك كما هيا
وإنى لَتثْنينى الحفيظةُ كلُما ... لَقيتُك يوما أن ابثك مابيا
ألم تعلمى يا عذبة الريق اننى ... أظل إذا لم أسق ريقك صاديا

---

(٣٧) وقد قيل هذا الشعر بمناسبة تولية عنبسة بن اسحاق ولاية مصر من قبل المنتصر (٢٣٨ ـ ٢٤٢هـ/ ٨٥٢ ـ ٨٥٦م) وكان مشهورا بمذهب الخوارج.

الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات. وفد على عبد العزيز بن مروان فى مصر، وله شعر فى مدحه، ومن شعره الذى ورد الينا :

رُقَىّ بعَيشكم لا تَهجُرينَا ومَنّينا المُنى ثم امطُلينا
عِدينا فى غَدٍ ما شِئتِ إنا نُحبُ وإن مَطَلْتِ الواعِدينا

الشاعر كُثَيرٌ بن عبد الرحمن، ابو صخر المعروف بكثير عزة. من فحول شعراء الاسلام، من الطبقة الأولى، وفد على عبد العزيز بن مروان، وكان يأتى الى مصر فى زيارات متكررة لرؤية عزة. توفى عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م.

ومن شعره :

قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفّى غريمَه وعزةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُهَا

وقال :

لِعَزّة نارٌ ما تَبُوخ كأنها اذا ما رمقْنَاها من البعدِ كوكبُ

وقال أيضا :

يُكلّفها الخِنزيرُ شَتْمى وما بها هوانى ولكن للمليك استذلّت

الشاعر نُصَيْب بن رباح، أبو محجن ملى عبد العزيز بن مروان (ت عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م) من الطبقة السادسة من شعراء الاسلام، كان بمصر أيام عبد العزيز بن مروان، وعندما توفى عبد العزيز رثاه بقوله

اصبتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ مصيبة ليس لى بها قبلُ
تالله أنسىَ مصيبتى ابداً ما اسمعتْنى حنينهُا الإبلُ

الشاعر عمرو بن عبيد المعروف بالحزين الكنانى. وفد على مصر فى ولاية عبد الله بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٠هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م).

الشاعر ربيعة بن ثابت الرَّقِّى (ت عام ١٩٨هـ/ ٨١٣ م) وله قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم والى مصر عندما جاء اليه فى أثناء ولايته(١٤٤ـ ١٥٢هـ/ ٧٦١ـ ٧٦٩م)، يقول فيها :

لشتَّانَ مابين اليَزيديْن فى النَّدى   يزيد سُليم والأغَرُّ ابن حاتم

ومن شعره الذى ورد الينا :

اعتاد قلبَك من حَبيبٍ، عيدُه   شَوْقٌ عراك فأنت عنه تذُود
والشَّوقُ قد غَلب الفُؤادَ فَقادهُ   والشوقُ يغْلب ذا الهوى فيَقودُه

الشاعر محمد بن عبد الله بن مسلم، ابن المولى كان مداحا ليزيد بن حاتم، وقد قدم مصر وأنشده بها قصيدة مدح يقول فيها :

ياواحدَ العربِ الذى   اضحى وليس له نظيرُ
لوكان مثلَك آخَرٌ   ما كان فى الدنيا فقيرُ

الشاعر الحسن بن هانىء، أبو على المعروف بأبى نواس (ت عام ١٩٥هـ/ ٨١٠ م وقيل عام ١٩٦هـ/ ٨١١م وقيل عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م) ببغداد، وقد قدم أبو نواس مصر على الخصيب صاحب ديوان خراج مصر عام ١٩٠هـ/ ٨٠٥م، وقد اتصل هذا الشاعر بالمصريين أكثر من اتصال الشعراء الوافدين، فالمؤرخون يجمعون على أن المصريين عندما علموا بوجوده فى مصر تسابقوا لمصاحبته، وتدوين شعره، لذلك فقد تأثر المصريون به. وقد أقام أبو نواس فى مصر قرابة عام. ومن شعره الذى ورد الينا :

االكل حىٌّ هالكٌ وابنُ هالك   وذو نَسبٍ فى الهالكين عريقِ
اذا امْتَحَن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ   له عن عَدُوٍ فى ثياب صديقِ

ومن شعره أيضا :

يارب ان عظمت ذنوبى كـــثـــرة	فلقـــد علمت بأن عـــفـــوك أعظم
ان كـــان لايدعـــوك إلا مـــحـــسن	فـــمن الذى يرجـــو ويدعـــو المجـــرم
أدعـــوك رب كـــمـــا أمـــرت تضـــرعـــا	فـــاذا رددت يدى فـــمـن ذا يـــرحـم
مـــالى إليك وســـيلة إلا الرجـــا	وجـــمـــيل عـــفـــوك ثم انى مـــسلم

وقال أيضا يخاطب الخليفة محمد الأمين :

بك اســـتـــجـــيـــر من الردى	مـــتـــعـــوذا من سطو باسك
وحـــيـــاة رأسك لاأعـــود	لمثلهـــا، وحـــيـــاة راسك
مـــن ذا يـــكـــون أبـــا نـــواسك	إن قـــتـــلـت أبـا نـــواسك

الشاعر دِعْبل بن على الخزاعى، أبو عبد الله (ت عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م). دخل مصر فى ولاية المطلب بن عبد الله الخزاعى، ولم توضح لنا المصادر هل كان دخوله مصر فى ولاية المطلب بن عبد الله الأولى (عام ١٩٨هـ / ٨١٣م) وكانت لمدة سبعة أشهر ونصف، أو فى ولايته الثانية (عام ١٩٩-٢٠٠هـ/ ٨١٤ - ٨١٥م). على أية حال فقد ولاه المطلب بن عبد الله على أسوان، غير أن دعبل هجاه بعد ذلك، لأنه - كما يقول الأصفهانى - لم يرض ما كان منه إليه فأنفذ اليه المطلب كتاب العزل مع مولى له وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة، فاذا علاه فأوصل الكتاب اليه، وامنعه من الخطبة، وأنزله عن المنبر، واصعد مكانه

فلما أن علا المنبر، وَتَنْحَنح ليخطب، ناوله الكتاب، فقال له دعبل : دعنى اخطب، فاذا نزلت قرأته قال : لا، قد أمرنى أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه، وأنزله عن المنبر معزولا

الشعر فى الدولة الطولونية :

وقد استمر تيار الشعر يقوى فى مصر - كما يقول الدكتور محمد كامل حسين - حتى كان النصف الثانى من القرن الثالث، أى فى عصر الطولونيين

والأخشيديين، فنرى عددا كبيرا من الشعراء المصريين ويزعم أحد المؤرخين انه راى كتابا قَدرْ اثنتى عشرة كراسة، مضمونة فهرست شعراء الميدان الذى لأحمد بن طولون، فإذا كانت أسماء الشعراء فى اثنتى عشرة كراسة، فكم يكون شعرهم، وبالرغم مما فى هذا القول من مبالغة، فلا نغالى اذا قلنا إن عددا كبيرا من الشعراء تجمعوا فى بلاط الطولونيين الذين كانوا أهل بذخ وكرم، وأرادوا أن يجعلوا من مدينتهم التى بنوها(القطائع) مركزا أدبيا شبيها ببغداد، فكثر حولهم الشعراء المتكسبون الذين سجلوا فى أشعارهم مآثر الطولونيين وما شيدوه من مبانى وغير ذلك.

وقد تطورت فنون الشعر وأغراضه فى الدولة الطولونية، اذ ظهر فن جديد فى مصر لم يسبق اليه أحد وهو فن رثاء الدول. وذلك بعد سقوط الدولة الطولونية وهدم الميدان. فقام جماعة من الشعراء المصريين يبكون الدولة الطولونية ويتحدثون عن أيامها السعيدة والمبانى التى انشأتها، وكيف أصبحت بعد هدمها.

ومن الشعراء فى الدولة الطولونية :

الشاعر أحمد بن أبى يعقوب ، والشاعراحمد بن اسحق الذى قال يبكى الدولة الطولونية والميدان :

وإذا مـــا أردتَ أعـــجُـــوبة الدّهْرِ	تراها فـــانظُرْ إلى الميْـــدَانِ
تَنْظرُ البَثُّ والـهُـــمُـــوَم وانْوَا	عـــاً تَوَالَت بهِ مِن الأشْـــجَـــانِ
يَعْلَمُ العَـــالِمُ الْمـــبَـــصَّـــر أنْ الدّهْرَ	فـــيـــمَـــا نَرَاهُ ذُو ألْوَانِ
أيْنَ مـــا فِـــيـــه مِنْ نَعـــيمٍ ومِنْ عَـــيْـ	شٍ رخىَّ ونضْـــرةٍ وحـــسَـــانِ

والشاعر احمد بن محمد الحبيشى ، والشاعر اسماعيل بن أبى هاشم ، والشاعر جعفر ابن جدار (أو ابن حذار كما يذكره ياقوت) الذى كان وزيرا للعباس بن أحمد بن طولون عندما ثار على أبيه، وعندما قبض على العباس، انتقم أحمد بن طولون من ابن جدار، فضرب ثلاثمائة سوط،

وقطع يديه ورجليه من خلاف، ويقال إنه لم تمض أيام حتى مات. وكانت له قصيدة يحرض فيها العباس منها :

اذا هَمَمْتَ فلا ترجع وقُمْ وثب ... فأنت ارفع من يسمو الى الرُتَبِ

الشاعر الحسين بن عبد السلام، أبو عبد الله المصرى المعروف بالجمل الأكبر (ت عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م وقيل عام ٢٥٨هـ/ ٨٧١م). من شعراء الفسطاط فى الدولة الطولونية.

يذكر ابن اياس أنه فى أيام أحمد بن طولون تطايرت النجوم، فأحضر أرباب الفلك وسألهم فلم يجيبوا، فدخل عليه «الجمل» وأنشده هذه الأبيات:

قالوا تساقطت النجومُ ... لحادثابدا عسير
فأجبت عند مقالهم ... بجواب محنتك خبير
هذى النجومُ الساقطاتُ ... رجومُ أعداءِ الأمير

فتفاءل أحمد بن طولون بذلك، وأخلع عليه خلعة سنية.

كما مدح أحمد بن المدبر صاحب خراج مصر، وكانت من عادته أن الشاعر اذا مدحه إن ارتضى شعره وَصلَه، وإن لم يرتضه أمر من يحمله الى المسجد حتى يصلى عددا معلوما يفرضه عليه، فرفع له هذه الأبيات المشهورة :

قَصَدْنا فى أبى حَسَنٍ مديحاً ... كما بالمدح تُنْتَجعُ(٣٨) الوُلاةُ
فقالوا يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاةُ
فقلت لهم وما تغنى صَلاتى ... عيالى إنما الشأن الزكاةُ
فيأمر لى بكسر الصَّاد منها ... فتصبحُ لى الصَّلاَ ة هى الصِّلاتُ

فاستطرف مقصده، وأمر له باحسان واشتهرت الحكاية.

الشاعر سعيد القاص ومن شعره فى رثاء الدولة الطولونية والميدان :

وكَأنَّ الميدانَ ثَكْلىَ اصِيَبتْ ... بحبيب صباح ليْلة عُرْس

---

(٣٨) انْتجَعَ فلانا: أتاه طالبا معروفه.

العباس بن احمد بن طولون. يقول عنه ابن سعيد : إنه كان له شعر يدخل به فى شعراء الملوك والأمراء.

عبد الله بن محمد، أبو العباس الناشىء (ت عام٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) أقام ببغداد مدة، ثم رحل عنها ودخل مصر، وأقام بها حتى مات، وكان شاعرا ماهرا، وله شعر جيد.

القاسم بن يحيى بن معاوية المريمى المصرى. من شعراء مصر المشهورين الذين دونت أشعارهم، وكان مختصا بخدمة أبى الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون.

الشاعر قعدان بن عمرو. من شعراء أحمد بن طولون، وله قصائد يمدحه فيها.

الشاعر محمد بن داوعود. من الشعراء الذين كانوا ينقمون على أحمد بن طولون ويسبونه، ومن قصيدته التى قالها بعد وفاة أحمد بن طولون :

وَلَمْ تَبكهِ الأرضُون لكنْ تَبسَّمتْ ... سُرُورا ولوْلا مَوتهِ لم تَبْسَّمِ
يُبَشِّرُهُ إبْليسُ عنْد قُدُومه ... عليه بأحْمَى بُقْعةٍ فى جهنَّمَ
لَقَدْ طُهرَتْ الأرْضُ مِن سُوءِ فِعْلهِ ... ومِنْ وَجْهةِ ذَاكَ الكَريةَ المُوَرَّمِ

الشاعر محمد بن طشويه ومن شعره فى رثاء الدولة الطولونية والميدان :

مَن لم يرَ الهَدْمَ للميدانِ لم يَرَهُ ... تبارك اللهُ ما اعلاهُ وأَقْدَرهُ
لَوْ أنَّ عَيْن الذَّى أنْشَاهُ تُبْصرُهُ ... والحادثاتُ تعُاديهِ لأكْبرهُ

ويقول فى نفس القصيدة أيضا :

دُكَّتْ منَاظرُهُ واجْتُثتْ جَوْسَقُهُ ... كأنماَ الخسْفُ فاجاهُ فَدمَّره
او هَبَّ إعْصَارُ نَارٍ فى جَوَانِبهِ ... فَعَادَ مَعْرُوفُه للعَيْن مُنْكَرَهُ

ثم يقول :

أَيْنَ ابنُ طُولُونَ بانيــه وســاكنُهُ أمــاتهُ المَلكُ الأعْلَى فــأقْـبَـرَهُ

الشاعر منصف بن خليفة الهذلى، من شعراء أحمد بن طولون، وكانت له قصائد يمدحه فيها، منها :

يَاغُــرَّةَ الدُّنيــاَ الذِي افْــعَــالُه غُــرَرٌ بهــا كُلُّ الورَىَ تَتَــعلَّقُ
أَنْتَ الأمــيــرُ علَى الشــام وثغْــرِها والرَّقَّـــتَّينِ ومـــا حـــواهُ المَشْـــرِقُ
وَإليكَ مِــصــرُ وبَرْقَــةُ وحِــجــازُها كُلُّ إليْـكَ فُـؤَادُهُ مُــتَــشَــوِّقُ

ومن الشعراء الذين توفوا قبل العصر الاخشيدى :

منصور بن اسماعيل، أبو الحسن الفقيه (٣٠٤هـ/ ٩١٦م وقيل عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) بمصر، كان من علماء الفسطاط، دخل بغداد ومدح بها الخليفة المعتز، كان فقيها ولزمه التعريف بالفقيه، وله مقطعلت كثيرة فى الزهد والحِكَم والامثال، منها قوله:

قــالوا العَــمَى منظَرٌ قــبــيحٌ قلتُ لفَــقْــدى لكم يهــونُ
تالله مــا فى الأنام خَــيْــرٌ تأسَى على فَــقْــده العــيــونُ

الشعر فى الدولة الاخشيدية :

وفى العصر الاخشيدى ظهر نوع جديد من فنون الشعر، وهو فن شعر الديارات، فقد كان الشعراء يخرجون الى هذه الأديرة الكثيرة المنتشرة فى مصر، حيث أقيمت هذه الأديرة فى أماكن هادئة عرفت بجمال طبيعتها، فيصفونها ويصفون بعض مظاهر الطبيعة حولها، كما يصفون لهوهم فيها(٣٩).

---

(٣٩) ومن الديارات التى كانت تقصد للشرب وللتنزه فيها: دير القصير (بالقرب من حلوان)، ودير مرحنا (على شاطئ بركة الحبش)، ودير نهيا (بالجيزة)، وديرطمويه (فى الغرب بازاء حلوان).

ومن شعراء الدولة الاخشيدية :

احمد بن ابى عاصم، أبو هريرة المصرى من شعراء الاخشيد. من أصحاب النوادر والمجون والادمان على شرب الخمر، وله شعر فى وصف مجالس الشرب

أحمد بن صدقة الكاتب.

أحمد بن محمد بن اسماعيل بن القاسم بن ابراهيم بن طباطبا، أبو القاسم (ت عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م وقيل عام ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م). كان شاعرا ماهرا، وله شعر جيد فى الزهد والغزل. ومن شعره الذى ورد الينا :

عَيَّرتْنِى بالنوم جَوْرا وظُلْمًا	قلتُ: زدت الفؤاد همًّا وغمّاً
اسمعى حُجَّتى وإن كنت أدرى	انَّ عذرى يكون عندك جُرْمًا
لم أَنَمْ لذَّة ولانمتُ إلا	طمعا فى خيالكم ان يُلمَّا

ومن شعره أيضا :

ما اخترتُ تبديلَ المودة ساعة	بعد الذى هجر الحمىَ وجفانى
انا ذاك لا عهدى يُغَيَّرُ بالنَّوىَ	ابدا ولا وجهى يميلُ لثانى
واذا وَثِقْتُ بودِّ من أحببتُه	فبعادُهُ ودنُوهُ سيَّانِ

أبو القاسم سعيد المعروف بقاضى البقر كان من شعراء أبى الجيش بن طولون، وكان يبيت عند الاخشيد يحادثه ويسامره.

صالح بن رشدين.

القاسم بن أحمد الرسى، أبو محمد ابن الشاعر ابن طباطبا. كان حسن الشعر، وقد أدرك الدولة الفاطمية.

محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان، أبو رجاء الأسوانى (ت عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) يقول عند الادفوى : إنه كان أديبا فصيح اللسان، وله نظم، ومن نظمه قصيدة ذكرفيها أخبار العالم، وذكر فيها قصص الانبياء نبيا نبيا.

محمد بن عاصم. يذكر ابن اياس أنه فى زمن كافور وقعت زلزلة عظيمة بمصر، فخاف الناس من ذلك وهربواالى الصحارى، وظنوا أنها القيامة، فدخل محمد بن عاصم الشاعر على كافور وأنشده قصيدة عظيمة من جملتها هذا البيت :

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها   لكنها رقصت من عدله طربا

فتفاءل كافور بذلك، وأجاز محمد بن عاصم بألف دينار.

ومنْ الشعراء الوافدين فى الدولة الاخشيدية :

محمود بن محمد بن الحسين، أبو الفتح المعروف بكشاجم (ت عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م) أقام بمصر، ثم رحل عنها، فكان يتشوق اليها، ثم عاد اليها فقال :

قد كان شوقى الى مصر يُؤرِّقنى   فالآن عُدْتُ وعادت مصرُ لى دارا

ومن كتبه : كتاب أدب النديم، كتاب الرسائل، كتاب ديوان شعره.

أحمد بن الحسين، أبو الطيب المعروف بالمتنبى (٣٠٣ـ ٣٥٤هـ/ ٩١٥ـ ٩٦٥م). كان المتنبى قد وفد على مصر عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م مادحا أميرها كافور الاخشيدى، وأقام بمصر مدة أربع سنوات، اتصل فيها بعدد كبير من شعراء مصر وأدبائها.

ومن أشهر الأدباء الذين اتصل بهم ونقدوه سيبويه، فقد نقد سيبويه بيتا له من الشعر قال فيه :

ومن نكد الدنيا على الحر أن   يرى عدوا له ما من صداقته به

فقال : الصداقة ضد العداوة، والصداقة مأخوذة من الصدق، ولو كان قال :

ومن نكد الدنيا على الحر أن   يرى عدوا له ما من مداراته بد

لكان أحسن وأجود

ثانيا : النثر :

والمقصود بالنثر ـ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـ الكتابة الفنية التى يتعمد فيها الكاتب الأناقة فى التعبير، ومحاولة السمو بالأسلوب الى مستوى رفيع هو مستوى كتابة الطبقة التى نالت حظا كبيرا من الثقافات المختلفة، وظهر أثر خيالهم وعاطفتهم فى كتاباتهم، فاذا بنا نرى فى هذه الكتابة صورا فنية لا تختلف عن الصور التى فى الشعر فى شىء.

وقد مر النثر فى مصر (خاصة فى فترة دراستنا من الفتح حتى بداية العصر الفاطمى) بمرحلتين:

المرحلة الأولى : وتمتد من الفتح حتى قيام الدولة الطولونية ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. **والمرحلة الثانية :** وتبدأ مع قيام الدولة الطولونية على يد مؤسسها أحمد ابن طولون.

وبالنسبة للمرحلة الأولى فلم يكن لهم عناية بديوان الانشاء، ويرجع السبب فى ذلك الى أن الولاة لم يكن لهم سلطة تامة فى شئون البلاد إلا بعد مراجعة مركز الخلافة، هذا بالاضافة الى أن اللغة العربية كانت فى محيط ضيق لايتحدث بها إلا قبائل العرب وبعض الموالى، وأن اللغة الرسمية فى مصر كانت اليونانية حتى أمر عبد الملك بن مروان بتعريبها عام ٨٧هـ/ ٧٠٥م. لذلك فلا يوجد لتاريخ النثر الفنى ما يكفى للحديث عنه فى عصر الولاة.

أما بالنسبة للمرحلة الثانية للنثر فى مصر والتى تبدأ مع قيام الدولة الطولونية ، فقد ترتب ديوان الانشاء بها، مع اهتمام أحمد بن طولون به، بحيث نافس به ديوان الانشاء فى بغداد.

وكان من شدة رغبة أحمد بن طولون أن تصدر الرسائل على درجة كبيرة من الاتقان، أنه أنشأ ديوان «التصفح» لمراجعة ما يكتبه كتاب الانشاء.

وأول من تولى ديوان الانشاء الذى رتبه أحمد بن طولون هو :

محمد بن أحمد بن مَوْدود، أبو جعفر المعروف بابن عبد كان. كان كاتبا لأحمد بن طولون ثم لخمارويه من بعده، وهو أول الكتاب المشهورين بمصر، وقد اشتهر بالبلاغة وحسن الكتابة.

وقدتولى ديوان الانشاء بعد ابن عبد كان :

اسحق بن نُصير، أبو يعقوب الكاتب البغدادى(ت عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م). وكان قد وفد على مصر، فاتصل بابن عبد كان رئيس « ديوان إنشاء مصر، والتمس التصرف، فقال له ابن عبد كان : فيماذا تتصرف؟ فقال اسحق : فى المكاتبات والأجوبة والترسل. وكان بين يدى ابن عبد كان كتب قد وردت فقال لاسحق : خذ هذه وأجب عليها. فأخذها ومضى الى ناحية من الدار فأجاب عنها، ثم وضع خفه تحت رأسه ونام، وقام ابن عبد كان إلى الحجرة التى له، فاجتاز بأبى اسحق والكتب بين يديه، فأخذها وقرأها، فلما تأملها جعل يروح اسحق بن نصير حتى انتبه، فقال له :عمن أخذت الكتبة؟ وعينه فى الديوان، وأجرى عليه أربعين دينارا فى كل شهر، فلم يزل يعمل معه حتى توفى ابن عبد كان، فآل أمر ديوان الانشاء الى على بن أحمد الماذرائى فقال لاسحق : ألزم منزلك، فانصرف. فوردت كتب، فأجاب عنها الماذرائى، ودخل بها على أبى الجيش خمارويه، فعرض الأجوبة عليه، فقال له خمارويه: ما هذه الألفاظ التى كانت تخرج منى وعنى! فمضى الماذرائى وعاد اليه مرة أخرى، فلم يقبل خمارويه الأجوبة، فاضطر الماذرائى الى استدعاء اسحق بن نصير، وطلب منه أن يجيب عن الرسائل ففعل، ودخل بها الماذرائى على خمارويه، فقرأ الأجوبة التى كتبها اسحق فقال: نعم، هذا الذى أعرف، ايش الخبر؟ فقال له : كاتب كان مع ابن عبد كان فاعتزل. وأحضرته الساعة، فقال : هاته! فأحضره، فجعل له خمارويه مرتبا شهريا قدره أربعمائة دينار، وأمره أن يلازمه. فمكث اسحق بن نصير فى عمله، ورفع رزقه الى ألف دينار فى الشهر.

ومن كتّاب العصر الطولونى أيضا :

محبوب بن رجاء، أبو الضحاك. وقد استكتبه أحمد بن طولون عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م. وقال عنه ابن عبد كان : «لم يكن بالكامل، إلا أنه كان حاضر الذهن، حلو الألفاظ».

وقد حبسه أحمد بن طولون وصادر أمواله، حتى مرض مرضه الذى توفى فيه، فأخرجه من السجن، ورد اليه جميع ما كان أخذ منه.

أحمد بن محمد الواسطى الكاتب. دخل مصر مع أحمد بن طولون، وكان كاتبه وموضع سره.

حسن بن مهاجر. أصله من الرقة، وقد استكتبه أحمد بن طولون، وأمرله بمائة ألف دينار، وقد وصفه ابن عبد كان بقوله : «وأما ابن مهاجر، فوقور النفس، مستصغر لنصيحة من ينصحه، بعيد الغور، لا يؤثر على توفير مال صاحبه».

جعفر بن جدار. كان من الكتاب، وقد سبق ذكره فى الشعراء.

أحمد بن أبى يعقوب يو سف بن ابراهيم الكاتب المعروف بابن الداية توفى حوالى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، كان من جلة الكتاب بمصر، وممن له دراية بعلوم كثيرة فى الأدب والطب والنجامة والحساب وغير ذلك.

جعفر بن عبد الغفار المصرى ويذكر البلوى أنه لم يكن كفئا فى عمله إلا أن أحمد بن طولون كان يحتمله لأنه مصرى.

يعقوب بن اسحق، أبو يوسف. دخل مصر مع أحمد بن طولون، الا أن ابن طولون سجنه بعد ذلك .

أحمد بن أيمن. وقد ذكر البلوى أن أحمد بن طولون قد سجنه لعدم أمانته، وظل فى سجنه حتى مات أحمد بن طولون.

النثر فى العصر الاخشيدى :

وعن النثر فى العصر الاخشيدى تقول الدكتورة سيدة كاشف :« كان حظ النثرالفنى أعظم من حظ الشعر فى العصر الاخشيدى. وكان فى هذا النثر المسحة العراقية، والميل الى السجع، والمزاوجة مع إطناب فى اللفظ، وتكرار المعنى، واقبال على الجمل القصيرة ».

ومن كتاب العصر الاخشيدى :

ابراهيم بن عبد الله النجيرمى، أبو اسحاق. وكان زعيم الكتاب فى هذا العصر، يقول عنه ابن سعيد : «كان عالما بوجوه الكتابة».

على بن محمد بن كلا الذى كان كاتبا للأخشيد و رسوله الى العراق وثقته، وقد قبض عليه الاخشيد فى آخر عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م وصادر أمواله هو وأهله.[٩]

ومن أدباء العصر الاخشيدى :

سيبويه المصرى، محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندى المصرى، أبو بكر. ولد عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م وتوفى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م. يقول عنه ياقوت : كان عارفا بالنحو والمعانى والقراءة والاعراب والاحكام وعلوم الحديث والرواية، وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والاشعار والفقه على مذهب الشافعى، جالس ابن الحداد الفقيه الشافعى، وسمع من أبى عبد الرحمن النسائى، وأبى جعفر الطحاوى، وكان يتكلم فى الزهد وأحوال الصالحين، اجتمعت فيه أدوات الأدباء والفقهاء والصلحاء، وبلغ ذلك مبلغا جالس به الملوك، وكان يظهر الكلام فى الأسواق فى الاعتزال، ومرض بمرض السوداء حتى توفى.

وهذا بالنسبة لأنواع الدراسات فى المرحلة الأولى من تاريخ الحركة الثقافية فى مصر، وهى الفترة الممتدة من بداية الفتح العربى حتى بداية حركة الترجمة، وكانت الدراسة فيها ـ كما ذكرنا ـ مقتصرة على نوعين

من الدراسات :

النوع الأول : الدراسات الدينية.

النوع الثانى : الدراسات الأدبية.

وسنتناول فى الصفحات القادمة حركة الترجمة وأثرها فى إضافة نوع جديد من الدراسات ـ وهى العلوم الفلسفية ـ الى الدراسات السابقة، مما دفعنا الى اعتبارها بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الحركة الثقافية فى مصر.

حركة الترجمة :

وقد بدأت المحاولات الأولى للترجمة خلال العصر الأموى، إلا أنها كانت فى الغالب جهودا فردية، وعلى نطاق ضيق، واقتصرت على العلوم العملية كالطب والفلك، والعلوم العقلية (كالمنطق والفلسفة والهندسة).

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ويسمى حكيم آل مروان، أول من عنى بنقل علوم الطب والكيمياء الى العربية. فقد أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر، ولهم إلمام بالعربية، وطلب منهم نقل كتب الصنعة (الكيمياء) من اليونانية والقبطية الى العربية،فكان هذا أول نقل الى العربية فى الاسلام. كما طلب منهم أن يترجموا له كتب جالينوس فى الطب، فوضع بذلك أساس التعاليم الطبية.

أما عمر بن عبد العزيز فقد اهتم بالدراسات اليونانية أثناء وجوده فى مصر أثناء خلافة سليمان بن عبد الملك، وفى مصر تعرف بابن أبجر مدرس الفلسفة اليونانية فى الاسكندرية، وكان موجودا فى الاسكندرية منذ زمن الفتح.

وقد شجع عمر بن عبد العزيز تعريب كتب الطب، فأمر بنشر كتاب الطب الشرعى الذى نقله الى العربية طبيب البصرة ماسرجويه [٤٠] فى عهد الخليفة مروان بن الحكم وقد وجده فى خزائن الكتب بالشام.

---

(٤٠) ذكره ابن ابى أصيبعة باسم (ماسرجيس) وقال : كان ناقلا من السريانى الى العربى، ومشهورا بالطب، وله من الكتب : كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ـ كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها.

وما لبثت حركة الترجمة أن اتسعت فى العصر العباسى الأول فى خلافة المنصور(١٣٦ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ـ ٧٧٤م) الذى كان شغوفا بالطب والهندسة ويعتقد بالنجوم.وقد راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث اليه كتاب اقليدس (٤١)، وبعض كتب الطبيعيات، وجمع حوله العلماء، وشجعهم على ترجمة العلوم من اللغات الأخرى. فهو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية، ككتاب كليلة ودمنة واقليدس.

وقد زادت العناية بترجمة الكتب فى عهد هارون الرشيد(١٧٠ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ـ ٨٠٨م) بعد أن وقع فى حوزته بعض المدن الرومية الكبرى، فأمر بترجمة ما عثر عليه من كتب اليونان. كما نشطت حركة الترجمة فى عهده بفضل تشجيع البرامكة للمترجمين، وإدرار الأرزاق عليهم.

وفى عهد المأمون (١٩٨ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) قويت حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية، وخاصة من اليونانية والفارسية الى العربية. ولكى يتم هذا النقل على أكمل وجه أنشأ فى بغداد ما عرف بدار الحكمة أو دار العلم فى عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، جمع فيها عددا كبيرا من النساخ والمترجمين، الذين اتقنوا عدة لغات، وألحق بها مكتبة. ومن أغرب ما وصل الينا عن هذا الخليفة أنه ترك الجهاد، وتداخل مع ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا لقاء أن يرسلوا اليه بالمخطوطات، ممايدل على اهتمامه بنشر الثقافة. كما أخذ يضمن شروط الصلح مع ملوك الروم إرسال كتب الحكمة، فكان أحد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث أن ينزل للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة فى القسطنطينية، وكان من بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس فى الفلك، فأمر المأمون بتعريبه وسماه المجسطى (٤٢) .

كما روى ابن النديم أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، فكتب اليه يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم.

---

(٤١) وهو اقليدس بن نوقطرس بن برنيقس. كان من أبرز المهندسين، وهو أقدم من ارشميدس وغيره من الفلاسفة الرياضيين.

(٤٢) المجسطى : ومعناه الترتيب الكبير فى علم الفلك وكان المرجع المهم فى الفلك عند المسلمين وعند الأوروبيين فى القرون الوسطى.

فأجاب الى ذلك بعد امتناع. فأرسل المأمون لذلك جماعة، منهم : الحجاج بن مطر(٤٣) و ابن البطريق (٤٤) وسلماصاحب بيت الحكمة وغيرهم. فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه اليه، أمرهم بنقله، فنقل.

وكان قسطا بن لوقا(٤٥) يشرف على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية الى العربية، كما كان يحيى بن هارون يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة.

ولم تقتصر العناية بالترجمة على المأمون، بل عنى جماعة من ذوى اليسار فى عهده بنقل كثير من الكتب الى العربية، عرف منهم : محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم(٤٦)، فقد أنفذوا حنين بن اسحق(٤٧) وغيره الى بلد الروم ، فجاءوهم بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب، ويذكر ابن النديم أن بنى المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة، منهم حنين بن اسحق، وحبيش بن الحسن(٤٨) وثابت بن قرة(٤٩) وغيرهم ـ فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة.

---

(٤٣) الحجاج بن مطر واسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصى. يقول عنه ابن ابى أصيبعة : كان متوسط النقل، وهو الى الجودة أميل.

(٤٤) وهو يحيى بن البطريق وكان لا يعرف العربية حق معرفتها، ولا اليونانية، وانما كان يعرف لغة الروم، وكتابتها، وهى الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة.

(٤٥) قسطا بن لوقا البعلبكى، كان فى أيام المقتدر بالله، ويقول عنه ابن النديم : كان بارعا فى علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والأعداد والموسيقى. وكان جيد النقل، فصيحا باللسان اليونانى والسريانى والعربى. توفى بأرمينية، وله كتب كثيرة.

(٤٦) بنو شاكر. كان لهم الكثير من الكتب.

(٤٧) حنين بن اسحق، أبو زيد(ت عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) كان ماهرا فى صناعة الطب، فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية، وله كتب كثيرة.

(٤٨) حبيش بن الحسن الأعسم. كان نصرانيا، وهو ابن أخت حنين بن اسحق وأحد تلامذته، ومنه تعلم صنعة الطب. وكان حنين يقدمه ويعظمه ويرضى نقله.

(٤٩) ثابت بن قرة بن مروان، أبو الحسن ولد عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م وتوفى عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م.

وقد كان من أثر حركة النقل والترجمة، أن ظهر الى جانب العلماء المتخصصين فى العلوم الاسلامية والأدبية علماء آخرون متخصصون فى العلوم العقلية عن طريق اشتغالهم بدراسة الكتب التى ترجمت الى العربية.

ومن هؤلاء : ابن الداية الذى يقول عنه ياقوت : إنه كان أحد وجوه الكتاب الفصحاء، والحساب والمنجمين، مجسطى أوقليدسى، حسن المجالسة، حسن الشعر». وهو يشير فى كتابه الى انتفاعه بالثقافة اليونانية، وافادته منها، ويبين أنه مغرم بافلاطون بصفة خاصة ويقتبس من حكمه.

وسنعرض فيما يلى العلوم الفلسفية التى جرى الاهتمام بها فى مصر، وأهم علمائها واسهاماتهم فيها.

أولا : الطب :

كان الطب من العلوم الفلسفية التى إشتغل بها رجال مدرسة الاسكندرية، الا أن الذين عرفوا بمهارتهم فى هذا الفن قبيل الفتح هم جماعة السريان الذين نشطوا فى الاسكندرية وفى الأديرة الخاصة بهم، وكان لهم نشاط علمى ملحوظ، فقد كتب أهرن القس كتاب «الكناش» فى الطب، الذى ترجم الى اللغة العربية بأمر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز. وهذا الكتاب من أقوى الكتب الطبية التى اعتمد عليها المسلمون فى دراساتهم الطبية.

وقد استمرت دراسة الطب فى مصر بعد الفتح العربى، خاصة عند اليهود والنصارى، وذلك بتشجيع الخلفاء لهم، حتى إننا نلاحظ أنه فى الوقت الذى كانت تصدر فيه أوامر الخلفاء بعدم استخدام أهل الذمة فى الأعمال التى تخص الدولة، كان يستثنى منها ممارسة الطب، فيذكر أبو المحاسن أن الخليفة المقتدر وخاصة فى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م أثناء ولاية عيسى النوشرى على مصر ـ أمر الا يستخدم أحد من اليهود والنصارى الا فى الطب والجهبذة.

ومن الأطباء فى مصر :

الطبيب يحيى النحوى (يوحنا) : كان أسقفا فى بعض كنائس مصر، وقد شاهد فتح مصر وأكرمه عمروبن العاص. يقول عنه ابن أبى أصيبعة فى كتابه : إنه كان طبيباحكيما، وله مصنفات كثيرة فى الطب وغيره. وقد عرف بيحيى النحوى لأنه بدأ بدراسة علم النحو فنسب اليه واشتهر به، كما درس علم اللغة والمنطق.

الطبيب السريانى أريباسيوس :شاهد فتح العرب لمصر، وترك عدة أبحاث طبية، وعرفه الباحثون المسلمون باسم «صاحب الكنانيش»، وترجم له الى اللغة العربية سبع مقالات عن علل النساء.

الطبيب عبد الملك بن أبجر الكنانى : كان طبيبا عالما ماهرا، وكان فى أول أمره مقيما فى الاسكندرية لأنه كان المتولى فى التدريس بها، وقد أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز عندما كان أميرا، فلما أفضت اليه الخلافة، نقل تدريس الطب الى انطاكية وحران وتفرق فى البلاد. وكان عمربن عبد العزيز يعتمد على ابن أبجر فى صناعة الطب.

الطبيب بليطيان : كان طبيبا مشهورا بديار مصر، نصرانيا، وفى خلافة المنصور(١٣٦ ـ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤م) صير بطريركا على الاسكندرية. وفى أيام الخليفة الرشيد(١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م) اعتلت جاريته بعلة عظيمة، فعالجها الأطباء فلم تشف، فبعث الرشيد الى عبيد الله بن المهدى ليختار له من أحذق أطباء مصر، فأرسل اليه بليطيان فعالجها وشفيت. وتوفى بليطيان فى عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م.

الطب فى الدولة الطولونية :

عرف فى الدولة الطولونية نظام «الكونسلتو» الموجود فى الوقت الحاضر، والمقصود به ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف عن البلوى ـ أن الطبيب اذا رأى حالة مستعصية كان يرى من الأفضل أن يجتمع عدد من الأطباء

للوصول الى رأى، كما نفعل نحن اليوم. ويذكر البلوى أن كل طبيب كان له أعوان ومساعدون كان اسمهم (الشاكرية)، وكان وظيفتهم دق العقاقير وعجن الأدوية حسب أمر الأطباء، أو نفخ النار تحت الأدوية المطبوخة. وكان الأطباء يقومون بتركيب الأدوية اللازمة للمريض، كذلك كانت لهم وسائلهم فى الفحص والعلاج، كما كانوا يحددون للمريض أنواع الأطعمة التى يتناولها أثناء مرضه.

ومن الأطباء فى الدولة الطولونية :

الطبيب سعيد بن توفيل :

وقد اختلفت المصادر فى اسمه، فمنهم من قال سعيد بن نوفل، ومنهم من قال سعيد بن توفيل. على كل حال فقد كان طبيبا نصرانيا، وكان فى خدمة أحمد بن طولون من أطباء الخاص يصحبه فى السفر، وقد تغير عليه قبل موته، فدعا بالسياط فضربه مائتى سوطا وطاف به على جمل، ونودى عليه : هذا جزاء من ائتمُن فخان، ومات بعد يومين، وذلك فى سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م بمصر. وقيل فى عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.

الطبيب هاشم بن سعيد بن توفيل :

وهو ابن الطبيب سعيد بن توفيل ويقول عنه ابن أبى أصيبعة: إنه كان «حسن الصورة، زكى الروح، حسن المعرفة بالطب.فتقدم أحمد بن طولون الى سعيد أول ما صحبه أن يرتاد متطببا يكون لحرمه، ويكون مقيما بالحضرة فى غيبته، فقال له سعيد : لى ولد علمته وخرجته، قال : أرنيه . فأحضره، فرأى شابا رائقا، حسن الأسباب كلها، فقال له أحمد بن طولون: ليس يصلح هذا لخدمة الحرم، احتاج لهن حسن المعرفة، قبيح الصورة. فأشفق سعيد أن ينصب لهم غريبا فينبو عنه(٥٠) ويخالف عليه، فأخذ

---

(٥٠) ينبو عليه الأمر أو الصاحب .لم ينقد له.

هاشما وألبسه دراعة (وهى جبة مشقوقة المقدم) وخفين ونصبه للحرم». وقد تمكن هاشم من الحرم باصلاحه لهم ما يوافقهم من عمل أدوية الشحم والحبل، وما يحسن اللون ويغزر الشعر، حتى قدمه النساء على سعيد (٥١).

الطبيب سعيد بن البطريق :

وكان طبيبا نصرانيا من أطباء فسطاط مصر، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم. وقد عين بطريركا على الاسكندرية سنه٣٢١هـ/ ٩٣٣م وتوفى عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م وله كتب فى الطب.

الطبيب عيسى بن البطريق :

وكان عيسى أخا لسعيد بن البطريق، وكان طبيبا نصرانياعالما بصناعة الطب علمها وعملها، وكان مقامه بمدينة مصر القديمة، وظل بها الى أن توفى.

الطبيب على المطبب المعروف بالديدان :

ويذكرابن الداية فى كتاب المكافاة أنه صحب رجلا من المسلمين الذين اشتغلوا بالطب، واسمه على المطبب المعروف بالديدان وأن هذا الطبيب «كان حسن المعرفة بكتب افلاطون ورموزه، مبرزا فى الطب».

الطبيب الحسن بن زيرك :

وكان طبيبا فى مصر أيام أحمد بن طولون يصحبه فى الاقامة، وتوفى حوالى سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م. يذكر البلوى أنه اشترك فى علاج ابن طولون، وأنه كان يعمد فى تطبيبه، فضلا عن الدواء، الى اراحته وعلاجه نفسيا.

---

(٥١) يذكر البلوى أنه لم يكن طبيبا ماهرا، وأنه كان أحد أسباب موت أحمد بن طولون عندما عالجه خطأ.

الطبيب ابراهيم بن عيسى :

كان طبيبا فاضلا معروفا فى زمانه من أطباء بغداد، وقد خدم بصناعة الطب الأمير أحمد بن طولون، وتقدم عنده، وسافر معه الى الديار المصرية، واستمر فى خدمته، وقد أقام فى الفسطاط حتى توفى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م.

الأطباء فى الدولة الاخشيدية :

الطبيب نسطاس بن جريج :

كان نصرانيا عالما بصناعة الطب. وكان فى دولة الاخشيد بن طغج.

الطبيب أبو الفرج البالسى :

كان طبيبا فاضلا متميزا فى صناعة الأدوية المفردة وأفعالها، وله من الكتب كتاب «التكميل فى الأدوية المفردة» ألفه لكافور الاخشيدى. وقد ذكر ابن سعيد فى كتابه طبيبا يسمى «ابن البالسى» وان لم يذكر ترجمة له، فهل كان هو البالسى هذا أم كان ابنا له؟

ومن الأطباء الذين مروا على مصر :

الطبيب محمد بن عبدون الجبلى العذرى من الاندلس، وقد رحل الى المشرق سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م ودخل البصرة ولم يدخل بغداد، وأتى مدينة فسطاط مصر ودبر مارستانها، ومهر بالطب وأحكم كثيرا من أصوله، ورجع الى الاندلس سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م.

ثانيا : علم النجوم :

كانت الاسكندرية مشهورة بخدمتها لعلم الفلك، وكان فيها من لا يزال يمارس التنجيم، وكان الملوك وحكام البلاد يرسلون من كل أقطار العالم الى رهبان الصحارى لينبئوهم بما فى ضمير الغيب لهم، وكانوا فى ذلك يعتمدون على علم الرهبان بالكواكب أكثر من اعتمادهم على ربانيتهم. وقد ذكرت فى الفصل التمهيدى أن من أكبر علماء الفلك كان اسطفن الاسكندرى، ولا يزال كتابه فى الفلك باقيا.

وبعد الفتح العربى لمصر ظل التنجيم موجودا بها وكان له رجاله ويظهر ذلك بوضوح فى المصادر العربية خاصة عند تولية أمير البلاد.

فيذكر ابن سعيد عن الحسن بن رافع الكاتب أنه عند دخول أحمد بن طولون مصر كانت الناس مجتمعة، وكان من ضمنهم شاب مكفوف فسأله رجل عما يجده فى كتبهم له، فقال : هذا رجل صفته كذا وكذا وهو يتقلد هو وأولاده أربعين سنة. فقال الحسن بن رافع : «فوالله ما تم كلامه حتى مر بنا أحمد بن طولون، فو الله لقد كانت صفته وخلقه وقده وشمائله على ما حكى المكفوف ولم يغادر شيئا منه».

ويذكر ابن سعيد ذلك أيضا عند تولية الاخشيد، فيقول : «وسمعت بعض الشيوخ المصريين من أهل التنجيم يقولون إن الاخشيد دخل إلى مصر بالطالع الذى دخل به أحمد بن طولون».

ويقول الأبشيهى عن كافور إنه فى يوم عندما انتبه من نومه طلب جماعة، وقال : «امضواالساعة الى عقبة النجارين، واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك، فان كان حيا، فاحضروه، وان كان قد توفى فسألوا عن أولاده». فوجدوه قد مات، وترك بنتين، احداهما متزوجة والأخرى غير متزوجة. فعندما علم كافور بذلك، اشترى لكل واحدة منهما دارا، وأعطاهما مالا جزيلا، وكسوة فاخرة، وزوج الغير متزوجة. فلما فعل ذلك وبالغ فيه

ضحك وقال : «أتعلمون سبب هذا؟ قلنا : لا . فقال : اعلموا أنى مررت يوما بوالدهما المنجم، وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب، وأنا بحالة رثة، فوقفت عليه، فنظر إلى واستجلبنى. وقال : أنت تصير الى رجل جليل القدر، وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا، ثم طلب منى شيئا، فأعطيته درهمين كانا معى، ولم يكن معى غيرهما فرمى بهما إلىّ وقال : أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين، ثم قال : وأزيدك، أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه، فاذكرنى اذا صرت إلى الذى وعدتك به ولا تنسى. فقلت له : نعم، فقال : عاهدنى أنك تفى لى، ولا يشغلك ذلك عن افتقادى، فعاهدته، ولم يأخذ منى الدرهمين.

ثم إنى شغلت عنه بما تجدد لى من الأمور والأحوال وصرت الى هذه المنزلة، ونسيت ذلك. فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام، وقد دخل علىّ. وقال لى : أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك، واتمام وعدك؟ لا تغدر، فيُغدر بك. فاستيقظت، وفعلت ما رأيتم، ثم زاد فى احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده ».

وقد ذكرت المصادر العربية إسمين من المنجمين كانوا فى مصر وهما :

أبو الحسن على :

وهو إبنا لأبى سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر، ويذكر عنه ابن كثير أنه كان منجما يرجع اليه أصحاب هذا الفن، كما يرجع أصحاب الحديث إلى أقوال أبيه.

محمد بن إدريس الشافعى :

(ت عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) يذكر ابن الوردى فى تاريخه[1] أن الشافعى درس علم النجوم وتفوق فيه وكان يحسبه، إلا أنه بعد حادثة ذكرها، أخذ عهدا على نفسه أن لا ينظر فى هذا العلم، ودفن الكتب التى كانت عنده فى النجوم، وأنكر بعد ذلك على أهل الكلام وعلى من يشتغل فيه.

ثالثا : علم تعبير (تفسير) الرؤيا :

يقول عنه ابن خلدون : «هذا العلم من العلوم الشرعية، وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع، وكتب الناس فيها. وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف، وربما كان في الملوك والأمم من قبل، إلا أنه لم يصل الينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الاسلام، وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولابد من تعبيرها. فلقد كان يوسف الصديق، صلوات الله عليه، يعبّر الرؤيا - كما وقع في القرآن - (سورة يوسف) وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه. والرؤيا مُدْرَك في مدارك الغيب وقال صلى الله عليه وسلم : «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» وقال :« لم يبق من المُبَشِّرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له»

وقد وُجد في مصر المعبرون. فتذكر المصادر العربية أن أحمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع، إلا الجامع فإنه لم يقع عليه من النور شيء،فتألم وقال : والله ما بنيته إلا لله خالصا، ومن المال الحلال الذي لا شبهة فيه. فقال له معّبر حاذق: هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله، لأن الله تعالى قال : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا (٥٢) وقد صح تعبير هذه الرؤيا، فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا وبقي الجامع عامرا.

كما تذكر المصادر حلماآخر لأحمد بن طولون، فقد قيل إنه لما فرغ من بناء الجامع رأى في منامه كأن نارا أنزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله. فلما أصبح، قص رؤياه. فقيل له :أبشر بقبول الجامع، لأن النار كانت في الزمان الماضي اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته، ويليله قصة قابيل وهابيل.

---

(٥٢) سورة الاعراف آية رقم ١٤٣ .

وقد ذكر ابن سعيد اسما لأحد هؤلاء المعبرين فى الدولة الاخشيدية وهو محمد بن الحسين المكفوف المفسر، فيقول عنه إنه قال : قال لى الاخشيد: رأيت فى المنام كأنى سلمت الى غلام من غلمانى الكبار شيئا فلم يقم به، ثم نقلته إلى غيره فلم يقم به ، حتى سلمته الى جماعة منهم، ثم سلمته الى كافور، وانتبهت وهو فى يده، فقلت له : هذا الملك يعود الى كافور ويقوم به. فضحك وعجب. فلما نهضت أخذ بيدى غلام، فلما خرجت قال لى الغلام : رأيت مولاى يخاطبك، وينظر إلىّ ويضحك؟! فقلت له : من أنت؟ فقال: أنا كافور. فقلت له : أبقى الله عزك، إن هذا الملك ستملكه واذكرنى.

رابعا : علوم السحر :

وعنها يقول ابن خلدون: «هى علوم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات فى عالم العناصر، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية : والأول هو السحر، والثانى هو الطلسمات. ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر، ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره، كانت كتبها كالمفقود بين الناس ..... وكانت هذه العلوم فى أهل بابل من السريانيين والكلدانيين، وفى أهل مصر من القبط وغيرهم».

ويذكر ابن النديم أن السحر كان موجودا فى مصر، وأن الكتب المؤلفة فيه كثيرة.

ويقول المقريزى : «وبالصعيد بقايا سحر قديم».

وتذكر المصادر العربية، وخاصة الجغرافية منها، المدن المصرية فى الصعيد التى كان بها سحر من قديم الزمن وهى :

أنْصِنَا : بلدة بالصعيد الأوسط وهى المدينة المشهورة بمدينة السحرة ومنها جلبهم فرعون. ويقال إنها مطلسمة وأن بها بقية من السحر .

دَلاص : وهى بصعيد مصر من كورة البهنسا على غربى النيل، وهى كانت مجتمع سحرة مصر.

خامسا : علم الصنعة (الكيمياء) :

وصناعة الكيمياء فى هذا العصر كما يقول ابن النديم هى : صنعة الذهب والفضة من غير معادنها.

ويبدو أن صناعة الكيمياء كانت رائجة فى الاسكندرية، فقد ذكرت آنفا أن خالد بن يزيد دعا جماعة من اليونانيين المقيمين بالاسكندرية لينقلوا له كتب الصنعة من اليونانية والقبطية الى العربية.

ومن العلماء المصريين الذين تخصصوا فى علم الصنعة :

ذو النون المصرى :

وهو أبو الفيض ذو النون بن ابراهيم. وكان متصوفا، وله أثر فى الصنعة وكتب مصنفة، فمن كتبه : كتاب الركن الأكبر، وكتاب الثقة فى الصنعة.

عثمان بن سويد أبو حرى الاخميمى :

من اخميم قرية من قرى مصر. وكان مقدما فى صناعة الكيمياء ورأسا فيها. وله مع ابن وحشية الكلدانى مناظرات، وبينه مكاتبات. ومن كتبه : كتاب الكبريت الأحمر ـ كتاب الابانة ـ كتاب التصحيحات ـ كتاب صرف التوهم عن ذى النون المصرى ـ كتاب التعليقات ـ كتاب آلات القدماء ـ كتاب الحل والعقد ـ كتاب التدبير ـ كتاب التصعيد والتقطير ـ كتاب مناظرات العلماء ومفاوضاتهم.

أبو العباس، احمد بن محمد بن سليمان :

وقيل إنه من أهل مصر. ولم يتأتى الينا أنه صح له الصنعة .

سادسا : علم الهندسة :

ابو كامل شجاع بن أسلم بن محمد بن شجاع الحاسب :

من أهل مصر ، وكان فاضلا حاسبا عالما، وله من الكتب : كتاب الفلاح - كتاب مفتاح الفلاح - كتاب الجبروالمقابلة - كتاب العصير - كتاب الطير - كتاب الجمع والتفريق - كتاب الخطائين - كتاب المساحة والهندسة - كتاب الكفاية.

سعيد بن كاتب الفرغاني المهندس :

وهو الذى تولى فى عهد أحمد بن طولون بناء العين التى بالمعافر، وبناء مقياس النيل، وجامع ابن طولون - كماذكرت فى موضع سابق.

وقد وصفه البلوى بأنه «رجل نصرانى، حسن الهندسة، حاذق فيها»، ويرى الدكتور زكى محمد حسن أن هذا المهندس كان مسيحيا من العراق، لأنه لو كان من مصر لما اغفل البلوى أو المقريزى أن ينص على أنه قبطى، ولو كان بيزنطى الأصل لقيل إنه رومى. ولا يبعد أن يكون مهندس الجامع قد جاء الى مصر فى ركاب أحمد بن طولون، أو أن ابن طولون أرسل فى استدعائه عندما عقد العزم على تشييد الجامع وغيره من الأبنية.

ولاشك أن هندسة بناء الجامع وزخارفه الجصية تدل على أن المهندس الطولونى أتى من سامرا، أو كان خبيرا بما ازدهر فيها من العمارة والفنون.

الرحلات العلمية والتبادل الثقافى :

وقد كانت هناك حركة دائمة للعلماء، فمصرى يرحل الى المدينة، ومدنى الى الكوفة، وكوفى الى الشام، وشامى الى هنا وهناك وهكذا.

وكان السبب فى هذه الرحلات العلمية أن الصحابة العلماء الذين أخذ عنهم أهل الأمصار المختلفة كان بعضهم يزيد على الآخرين فى أشياء

وينقص فى أشياء أخرى، اذ كان بعض الصحابة يغيبون عن مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات التى يحضر فيها الآخرون وبالعكس، فيفوت كل واحد منهم ما غاب عنه. فلما فتحت البلدان وتفرق الصحابة فى الاقاليم، أصبح كل اقليم متأثرا بالصحابة الذين علّموا فيه، فلما جاء عهد التابعين وتابعيهم شعر كثير منهم بالحاجة الى التفقه على علماء الأقاليم الاسلامية الأخرى، فكثرت الرحلة الى الأمصار المختلفة وتقابل العلماء فى مختلف الجهات. فالرحلة ـ كما يقول ابن خلدون ـ لابد منها فى طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال.

وهكذا عملت هذه الرحلات العلمية على التبادل الثقافى وبالتالى توحيد الوطن العلمى .

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن هذه الرحلات العلمية كانت من أسباب عدم ظهور شخصية مصر فى كتب العلماء المصريين فى العلوم العربية، وبمعنى آخر أن هذه الرحلات الكثيرة كانت سببا فى ألا تتمايز العلوم العربية بتمايز الأقطار حتى أصبحنا لا نفرق بين كتب المشارقة وكتب المغاربةإلا عن طريق تاريخ المؤلفين أنفسهم.

ومن علماء مصر الذين رحلوا لطلب العلم :

ابو سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق :

ويقال إنه أول من رحل من أهل مصر الى العراق فى طلب الحديث، وقد توفى سنة١٨٤هـ/ ٨٠٠م.

زكريا أبو يحيى الوقار المصرى :

كان من موالى قريش، وقيل من موالى عبد الدار وروى عن ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم وكان مختصا بابن وهب. وقد ذهب الى افريقيةسنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م علّم فيها، ثم عاد الى مصر، وتوفى بها سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م وقيل ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م.

أحمد بن حازم المعافرى المصرى. توفى بالأندلس.

الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى :

(ت عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م) نزيل برقة. وثقه أبو حاتم وغيره، قال الليث : كان يصلى كل يوم ستمائة ركعة.

محمد بن بشير بن محمد المعافرى :

(ت عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م) أصله من جند باجه من عرب مصر، واستوطن قرطبة، فقد ولأه الحكم بن هشام (١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م) القضاء بقرطبة، وقد خرج حاجا فلقى مالك بن أنس فجالسه وسمع منه، وطلب العلم أيضا بمصر.

يزيد بن أحمد بن أبى عبد الرحمن :

من أهل مصر، كان فقيها فيها، وفد على عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ -٩٦١م) بقرطبة، فاكرم مثواه.

ومن علماء افريقية الذين تلقوا علمهم بمصر :

البهلول بن راشد :

(ت عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م وقيل عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م) وقد أخذ عنه الليث بن سعد.

محمد بن نظيف البراز الافريقى :

(ت عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)، فقد أقام بمصر فى طلب الحديث، ومذاكرة العلماء مثل أبى اسحق بن شعبان وغيره وتوفى بمصر.

ومن علماء الأندلس :

عيسى بن دينار :

وقد درس فى مصر وكان لا يتقدمه أحد من قرطبة فى الفتيا، وقد نشر مذهب مالك فى الاندلس وتوفى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

قاسم بن محمد بن قاسم الأموى :

بالولاء القرطبى الفقيه المحدث. وقد قيل إنه زار مصر مرتين وتفقه على الحارث بن مسكين وعبد الله بن الحكم.

عباس بن ناصح، أبو المعلى الجزيرى الاندلسى الثقفى :

(توفى بعد سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) كان من أهل العلم بالعربية واللغة والشعر المجوّدين. وكان قد رحل مع أبيه الى مصر.

محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد المعروف بالأفشين القرطبى :

(ت سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) كان متصرفا فى علم الأدب والخبر، رحل الى المشرق، ولقى بمصر أبا جعفر الدينورى، وأخذ عنه كتاب سيبويه رواية. وله كتب مؤلفة.

- ومن علماء المشرق :

عبدان أبو محمد بن محمد بن عيسى المروزى :

الفقية الحافظ مفتى مرو، وعالمها وزاهدها، وكان قد ارتحل الى مصر وأقام بها سنين، وقرأ على المزنى والربيع وبرع فى المذهب، ثم رحل الى خراسان ونشر بها مذهب الشافعى وتوفى سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م.

محمد بن نصر المروزى الامام ابو عبد الله :

أحد [illegible] ولد ببغداد ونشأ بنيسابور، وأقام بمصر مدة من الزمن، وأخذ الفقه فيها عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذى قال عنه: «كان محمد بن نصر عندنا إماما».

وقد قال فيه العلماء :« لم يكن للشافعية فى وقته مثله». وقد رجع من مصر واستوطن سمرقند وتوفى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م.

محمد بن عبد الله بن ابراهيم، أبو بكر الشافعى محدث العراق :

(ت سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) وقد ارتحل الى مصر للحديث.

الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي :

وقد ارتحل الى مصر وصنف التصانيف، توفى عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م.

ونلاحظ أن التبادل الثقافى بين الدول فى تلك الفترة لم يكن يقتصر على الرحلات العلمية التى كان يقوم بها العلماء للاستزادة، وانما كانت للتجارة أيضا دور فى هذا التبادل الثقافى ويظهر ذلك بوضوح من كتاب ابن الداية «المكافأة» فقد ورد فيه قصة تاجر عربى، سافر إلى الهند للتجارة فغرقت سفينته وسائر من معه، ووجد نفسه فى جزيرة من جزائر الهند، فوجده قوم الجزيرة وأحضروه إلى ملكهم الذى قال له: «لقد نفذت الموهبة الخارجة عنك، فما معك من الموهبة الثابتة عليك». فقال له: «معى الكتاب والحساب». فقال الملك: «ما بقى لك، أفضل من الذى ذهب منك، والصواب أن تعلم ابنى الكتاب بالعربية والحساب، فارجوأن نعوضك أكثر مما فقدته». وبالفعل علم ابنه العربية والحساب.

الفصل الثانى
الفنون

. التغير الذى طرأ على الفنون فى مصر بعد الفتح العربى.

مراحل الفن فى مصر :

. المرحلة الأولى من الفتح العربى الى العصر الطولونى.

. المرحلة الثانية من العصر الطولونى الى العصر الفاطمى.

. التغيرات التى طرأت على فنون بعض الصناعات :

. زخـارف النسـيج.

. زخـارف الخـشب.

.النـحت والتـصـوير.

. عمـارة المسـاجد.

الفصل الثانى

الفنون

كان تغير الفن فى مصر ضرورة تحتمها طبيعة النظام العربى الجديد الذى يدين بالديانة الاسلامية، فظهر ما يعرف بالفن الاسلامى فيها.

غير أن هذا الفن الجديد لم يكن فنا عربيا، بقدر ما كان فنا مصبوغا بالصبغة الاسلامية، فالعرب لم يكن لهم ـ كما يقول الدكتور زكى محمد حسن ـ قبل الاسلام أساليب فنية ناضجة، اللهم إلا فى أطراف شبه الجزيرة حيث قامت الممالك والامارات التى اتصلت بالأمم الأجنبية، وتأثرت بأساليبها الفنية تأثرا كبيرا، كما حدث فى اليمن والحيرة وبلاد النبط والغساسنة، فكان طبيعيا اذن أن يكون نصيب العرب فى قيام الفنون الاسلامية روحيا فحسب، وأن يصبح من العسير أن ننسب اليهم أى عنصر فنى فى العمائر والتحف فى بداية العصر الاسلامى، سواء أكان ذلك فى الشكل أم فى الزخرفة أم فى الأساليب الصناعية، وانما تنسب هذه العناصر إلى الشعوب الأخرى التى تألفت منها الامبراطورية الاسلامية عندما فتح بلادها العرب، والتى كانت لها قبل الاسلام أساليب فنية زاهرة، فكانت هذه الأمم أكبر عون للعرب على خلق فن اسلامى طبعه العرب بطابع دينهم، وظهرت فيه شخصيتهم البارزة، ولكن أساسه مدنيات فارس وبيزنطة وآشور ومصر.

والفن الاسلامى يدين بازدهاره للدولة، فالمثالون والمصورون والمهندسون وغيرهم من رجال الفن إنما كانوا يشتغلون بطلب الأمير وتحقيقا لرغبته، واشباعا لشهواته.ونحن ـ كما يقول الدكتور زكى محمد حسن ـ اذا استثنينا الحاكم فلن نجد للفنون الجميلة رعاة إلا من بلاطه وحاشيته، أو فى الأسر القليلة التى تسكن العاصمة وتعتمد فى معيشتها على الحاكم وبيت ماله، لذلك تنسب فنون المراحل المختلفة فى التاريخ الاسلامى الى الأسرات الحاكمة فيقال : فن أموى، وفن عباسى، وفن طولونى، وفن فاطمى، وغيرذلك.

وعندما فتح العرب مصر كان الفن القبطى بها مزدهرا بما فيه من تقاليد بيزنطية وفرعونية وآشورية وفارسية، فنما الفن الاسلامى وتطورفى مصر من التقاليد القديمة، وباشتراك العمال المصريين، واستمر هذا التعاون بين الفاتحين والمحكومين نحو ثلاثة قرون، ولم يقلل من أهميته قدوم أحمد بن طولون ومعه فريق من الصناع والفنانين العراقيين، فان أثر هؤلاء لم يظهر جليا إلا فى نواح خاصة كالعمارة وزخرفة المبانى، ولم يستطع العرب الاستغناء عن معونة الأقباط إلا حوالى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى حين عم الاسلام مصر، وبعد أن تتلمذ المسلمون مدة طويلة فى مدرسة الصناع الوطنيين، تلقوا عنهم فيها أسرار الصناعة وأصول المهنة.

ويمكن تقسيم الفن فى مصرمنذ الفتح العربى حتى مجىء الفاطميين إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : من الفتح العربى إلى العصر الطولونى. والمرحلة الثانية : من العصر الطولونى إلى العصر الفاطمى.

وتعتبر المرحلة الأولى هى مرحلة تطور الفن فى مصر من الفن القبطى الى الفن الاسلامى، ويطلق عليها مرحلة الانتقال، ويتصف انتاجها بالجمع بين العناصر الفنية القديمة، والميول الاسلامية.ويرى الدكتور زكى محمد حسن أن مصر فى هذه المرحلة كانت تابعة للخلافة الاسلامية فى الفن، بقدر ما كانت تتبعها فى السياسة. إلا أن نشأة الفن الاسلامى فى هذه المرحلةكان يحيط بها شىء من الغموض.

أما المرحلة الثانية وهى التى تشمل فترة الدولة الطولونية، فقد ظهر فيها ما عرف بالفن الطولونى، الذى يعتبر أول مرحلة واضحة فى تاريخ الفن الاسلامى بمصر.

والفن الطولونى لم يكن مستقلا كل الاستقلال عن فن الخلافة العباسية فى ذلك العهد، ولكنه ــ على تبعيته له واشتقاقه منه ــ كان منافسا له، فقد

استطاع بنو طولون أن يتخذوا لأنفسهم بلاطا كبلاط الخليفة فى سامرا وبغداد إن لم يفقه أبهة وعظمة.

والفن الطولونى فن له صفاته ومميزاته المستقلة فى التاريخ الفنى لمصر، فقد أخذ أصوله عن الفن العراقى الذى ترعرع فى سامرا عاصمة الخلافة.

والزخارف الطولونية كبقية الزخارف الاسلامية تستمد أكثر عناصرها من الأشكال الهندسية، ومن الرسوم النباتية التقليدية حينا، أو التى تقرب من الطبيعة حينا آخر. أما تصوير المخلوقات الحية فقليل الظهور، أما الكتابة فلا تلعب فى الزخرفة الطولونية دورا يستحق الذكر، كما وجدت فى الزخرفة الطولونية عناصر قديمة أو قبطية، اذ لا شك فى أن الفنون القديمة والبيزنطية هى المصدر الذى نقل عنه القبط كثيرا من أصول زخرفتهم.

على أيه حال، سنحاول أن نعرض فى الصفحات القادمة التغييرات التى طرأت على الفنون وزخارف بعض الصناعات كنتيجة طبيعية لطبيعة الحكم العربى الذى يدين بالديانة الاسلامية.

بالنسبة لزخارف النسيج:

فقد حذفت منها الشارات والرموز المسيحية مثل الصليب وغيره، وإن ظلت الزخارف القبطية غالبة على المنسوجات المصرية فى القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة ـ أى من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادى ـ وخير دليل على ذلك قطع المنسوجات التى عثر عليها فى بعض المدن بالوجه القبلى وفى الفسطاط وهى من الصوف أو الكتان، وزخارفها متعددة الألوان، وأكثرها رسوم طيور أو حيوان أو أشكال آدمية صغيرة، وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة. فلم تطبع صناعة النسج فى مصر بطابع اسلامى ظاهر إلا فى العصر الفاطمى (أى ابتداء من أواخر القرن العاشر الميلادى).

وكان العرب منذ الفتح يميلون فى الزخرفة الى العناصر الهندسية والنباتية لكرههم تصوير الانسان والحيوان، وكان هذا الميل نفسه قد بدأ فى الفنون القبطية منذ منتصف القرن الخامس الميلادى، فلم يجد المصريون صعوبة كبيرة فى إرضاء الفاتحين، وانتاج التحف الفنية التى تتفق ومزاجهم.

على أن النساجين القبط احتفظوا مدة طويلة فى العصر الاسلامى ببعض الموضوعات الزخرفية التى كان الروم قد نقلوها عن الفرس، كالدوائر المتماسة، أو المنعزلة، وكالحيوانين المتقابلين، أو اللذين يولى كل منهما الآخر ظهره، وتفصلهما شجرة الحياة المقدسة أو شجرة الخلد (Homa) ، التى نجدها فى كثير من الزخارف الايرانية.

وقد كان لحركة التعريب (التى تناولتها فى موضع سابق) دور هام فى تمييزالنسيج الاسلامى عن القبطى، عندما ظهرت الكتابة العربية على المنسوجات منذ القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى.

وقد كانت الكتابة على النسيج بلحمة من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان، وكان الغرض من هذه الكتابات على الأقمشة الملكية بيان الأمير الذى عملت باسمه، أو الشخص الذى خلعت عليه، اظهارا لرضاء الأمير، أو علامة على تولى احدى الوظائف الكبرى فى الدولة. وقد كانت الكتابات على الطراز تشمل اسم الخليفة وألقابه، وبعض عبارات الأدعية، وكثيرا ما كان يذكر فيها اسم المدينة التى فيها الطراز، واسم الوزير، وصاحب الخراج، وناظر الطراز.

ومن أمثلة ذلك قطعة من النسيج ـ فى مجموعة الأقمشة النفيسة بدار الآثار العربية ـ وجدت فى الفسطاط باسم الخليفة الأمين وعليها الكتابة الآتية: « بسم الله بركة من الله لعبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعته فى طراز العامة بمصر على يد الفضل بن ربيع مولى أمير المؤمنين ».

وفى دار الآثار العربية أيضا قطعة من الكتان الأبيض تشبه كثيرا الأقمشة القبطية، وعليها شريط من زخارف به جامات فيها طيور تقليدية ومنسوج على هذه القطعة بالخط الكوفى البسيط سطر بالحرير الأحمر نصه: « هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت فى شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثمانين ».

ومن العلامات كذلك التى ميزت النسيج الاسلامى عن القبطى، ظهور الشريط الزخرفى فى وضع أفقى بدلا من الوضع الرأسى.

ومن الملاحظ بوجه عام أن قوام التصميم فى الزخرفة كان شريطا أفقيا أو أشرطة أفقية من الرسوم، توازيه أو توازيها أشرطة من الكتابة فى بعض الأحيان.

والخلاصة أن العرب فى هذه المرحلة، لم يغيروا شيئا فى الموضوعات الزخرفية التى كانت تزدان بها الأقمشة، إلا فيما يتعلق بالموضوعات الدينية المسيحية، فقد منعوها، كما أنهم حرصوا على أن يضيفوا الكتابة العربية الى العناصر الزخرفية القديمة. فزخرفة المنسوجات التى ترجع الى هذا العصر قبطية بحتة لا يفرقها شىء عن تلك التى نسجت قبل الاسلام، ولولا وجود الكتابة العربية عليها، لما تردد الانسان فى نسبتها الى العصر القبطى.

وفى العصر الطولونى كانت التقاليد الزخرفية القديمة والقبطية لاتزال تسود صناعة النسج، على أن هناك بعض قطع من النسيج عليها زخارف طولونية أوعراقية ظاهرة. وفى دار الآثار العربية قطع عديدة أغلبها سميك ومنسوج فيه رسوم طولونية المسحة. ويوجد فى المتاحف الكبيرة والمجموعات الأثرية فى مصر وفى البلدان الأجنبية قطع عديدة ترجع زخرفتها الى عصر الانتقال من الطراز القبطى الى الطراز الفاطمى، ويصعب فى بعض الأحيان تمييزها من القطع القبطية، بينما يندر وجود القطع التى عليها زخارف طولونية بحتة تجعل من اليقين نسبتها الى العصر الطولونى.

أما صناعة الخشب، فقد ورث الفن القبطى مهارة قدماء المصريين فى صناعة الخشب، ونقش الزخارف عليه. وتطورت هذه الصناعة على يد النجارين القبط الذين تأثروا بالفن البيزنطى، فزادت الزخارف فى مصنوعاتهم الخشبية زيادة أكسبتها رونقا وجمالا.على أن التقاليد القبطية فى صناعة الخشب أخذت تتطور شيئا فشيئا بعد الفتح الاسلامى حتى أصبحت فى العصر الفاطمى صناعة اسلامية حقة.

وقد وصلت الينا قطع خشبية ترجع الى عصر الانتقال بين الصناعة القبطية البحتة فى القرن السابع والصناعة الاسلامية فى القرن التاسع الميلادى، ونقوش هذه القطع مكونة من أوراق وعناقيد عنب وزخارف نباتية، وغير ذلك من النقوش التى امتاز بها الشرق الأدنى فى العصر المسيحى، وبعض القطع المذكورة لا نكاد نميزه عن القطع القبطية إلا بما عليه من كتابات عربية.

وفضلا عن ذلك، فلا يبعد أن يكون العرب فى مصر قد اتخذوا لأنفسهم شكل كثير من قطع الأثاث القبطية كالدواليب والموائد، ولعلهم أخذوا عنهم أيضا الكرسى الذى يحمل عليه المصحف، والذى يعرفه القبط باسم منجليه(أى محل الانجيل).

أما بالنسبة للتصوير، فقد أجمع المسلمون من سنيين وشيعيين على كراهية النحت وتصوير الأحياء، لما فيهما من تقليد الخالق عز وجل، ولما ورد فى الحديث من أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا تصوير، ومن أن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون، ومن أن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم.

ويذكر الدكتور زكى محمد حسن أن القرآن الكريم لم يأت فيه ما يحرم تصوير المخلوقات الحية أو عمل التماثيل لها، والآية التى كان يفهم منها خطأ أن التصوير محرم فى الاسلام هى قوله تعالى فى سورة المائدة: «ياأيُّهَا

الَّذِينَ آمنُوا إِنما الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأنصَابُ والأزلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». ولكن الواقع أن المقصود بكلمة «أنصاب» في رأى المفسرين هو الأحجار الكبيرة أو الاصنام التي كان العرب يعبدونها ويقدمون لها القرابين، فليس في هذه الآية اذن أي تحريم للتصوير أو عمل التماثيل.

أما بالنسبة للأحاديث التي نسبت الى النبي صلى الله عليه وسلم تحرم تصوير المخلوقات الحية أو عمل تماثيل لها، فان بعض العلماء في العصر الحديث يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في النهي عن التصوير، وأن التصويركان مباحا في فجر الاسلام، وأن الاحاديث المنسوبة اليه في هذا الشأن غير صحيحة، وأنها في الحق لا تمثل إلا الرأى الذي كان سائدا بين علماء الدين في بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وهو العصر الذي كتب فيه صفوة العلماء الذين اشتغلوا بجمع الحديث.

ويرى الدكتور زكي محمد حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، ثم المتمسكين بالدين من الأمويين والعباسيين، نهوا عن تصوير الكائنات الحية ليحموا المسلمين من الأصنام والتماثيل والصور التي قد تقود البسطاء الى نسيان الخالق، أو الى اتخاذها وساطة يتوسل بها الى الله، أو الى عبادتها لذاتها. فقد أبعدوهم عن كل ما من شأنه أن يقربهم الى عبادة الأوثان، فضلا عن أن الفقهاء كانوا يعتبرون عمل الصور والتماثيل محاولة غير لائقة لتقليد الخالق عز وجل. ولكن بعد أن بَعُد عهد العرب بالوثنية وزوال خطرها، فقد أفتى كثير من العلماء المحدثين ـ كالشيخ محمد عبده والشيخ عبد العزيز جاويش ـ بأن التصوير العلمي والفني لايتعارض مع تعاليم الدين الحنيف. وعلى كل حال، فان الأحاديث المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم التصوير كان لها أثر لا سبيل الى انكاره، سواء أكانت صحيحة أم غير صحيحة.

وهكذا فان الفن الاسلامي، بسبب خضوعه لتحريم التصوير، تخلى عن ميدانين عظيمين من ميادين العبقرية الفنية التي امتازت بها الفنون الأخرى،

لاسيما فنون الغرب التى ورثت الأساليب الفنية الاغريقية، وهذان الميدانان هما : النحت، وتصوير اللوحات الفنية على النحو الذى نعرفه فى الفنون الأوربية وفنون الشرق الأقصى.

ومن هنا فان المساجد والأضرحة والعمائر الدينية عموما، وكل مايتصل بها من أثاث، وكذلك المصاحف، خلت فى زخارفها من رسوم الكائنات الحية، ولم تكن فيها صور أو تماثيل يستعان بها فى توضيح تاريخ الاسلام وشرح العقائد الدينية وسيرة أبطال الملة، كما كان الحال فى الدين المسيحى.

على أن الأمر لم يخل من ظهور بعض الصور الاسلامية التى ترجع الى القرن التاسع والعاشر والحادى عشر الميلادى (الثالث والرابع والخامس الهجرى)، وهى محفوظة الآن فى المكتبة الأهلية بفينا، وهى متأثرة بفن التصوير القبطى، وقد كتب عنها الدكتور جرومان وعلق عليها تعليقا علميا وافيا، وذكر ما فيها من شبه بالتصوير القبطى والحبشى.

كما لم يخل من ظهور بعض التماثيل التى اتخذت للزينة فى القصور والبِرك وتفننوا فى عملها من الحجر والجص والذهب والفضة وغيرها.

ففى ترجمة عبد الله بن عبد السلام الشهير بابن أبى الرداد ـ المتولى مقياس النيل بمصر ـ أن الخليفة المتوكل على الله أمر أحمد بن محمد الحاسب بعمارة المقياس بالجزيرة، فحكى ما عمله فى ذلك، وما كتبه من الآيات الكريمة واسم الخليفة على مواضع من المقياس، وكان مما عمله تمثال سَبْع أقامه على أحد الحيطان فيقول : « واتخذت مثال سَبْع من رخام ركبته فى وجه الحائط، فويقة القناة المطل على النيل، على المقدار الذى اذا بلغ الماء ست عشرة ذراعا دخل الماء فى فيه» .

وقد ذكر المقريزى أن باب الصلاة الذى كان يخرج منه أحمد بن طولون من قصره الى مسجده، كان يسمى أيضا باب السباع، لوجود أسدين من جبس عليه.

وبالنسبة لعمارة المساجد :

فقد كانت المساجد الأولى فى الاسلام بسيطة فى تخطيطها، تناسب شعائر الدين الجديد، فكانت قطعة الأرض تحاط بجدران أربعة، وكان السقف يقام على أعمدة مصنوعة من جذوع النخل، أو مأخوذة من الأعمدة الحجرية فى المعابد والكنائس القديمة والمهجورة فى الأقطار التى فتحها العرب.

على أن عمارة المساجد لم تلبث أن دخلتها زيادات ثانوية قد يكون حدوثها تأثيرا مسيحيا. فكثيرون من العلماء يظنون أن المحراب مأخوذ عن الحنيَّة التى توجد فى صدر الكنيسة، وغالبا الى جهة الشرق.

ويؤيد هذا الرأى الدكتور زكى محمد حسن، على اعتبار أن مؤلفى العرب أنفسهم فطنوا الى أن المحراب متخذ من حنية الكنيسة. وكتب بعض علمائهم فى ذلك، فقد ألف السيوطى رسالة سماها «إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب».

كذلك يظن بعض العلماء أن مآذن الجوامع الاسلامية مأخوذة عن أبراج الكنائس. وليس هذا الظن غريبا فى شىء ـ كما يقول الدكتور زكى محمد حسن ـ وإن كان الواقع أن المؤرخين وعلماء الآثار اختلفوا فى تحديدالتاريخ الذى أدخلت فيه المنارات أو المآذن فى المساجد الاسلامية.

الباب الخامس

حركة البناء والتشييد فى المجتمع المصرى

ـ طبقة البنائين.

الفصل الأول : العمائر المدنية .

الفصل الثانى : العمائر الدينية.

الفصل الثالث : العمائر التجارية

طبقة البنائين

كان كل الذين يقومون ببناء العمارة الاسلامية فى مصر من معماريين وبنائين من أهالى البلاد، وهم الأقباط، فلم يشتغل العرب بالعمل بالبناء بعد فتحهم لمصر.

ولقد اشتهرت مهارة المصريين فى صناعة البناء حتى إن العرب لم يقتصروا على استخدامهم فى بناء أبنيتهم فى مصر، بل كثيرا ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ ما استخدموهم فى الأبنية التى أنشئت فى خارج مصر. ففى كتاب قرة بن شريك الى صاحب كورة أشقوة نراه يحدد أجر أحد العمال الذى سيرسل للعمل بجامع دمشق لمدة ستة أشهر. وفى كتاب آخر منه نراه يطلب عدة رجال من أماكن مختلفة للعمل فى بناء قصر الخليفة الوليد بن عبد الملك. وفى كتاب ثالث يطلب أحد العمال، ويحدد أجره للعمل لمدة ستة أشهر فى جامع بيت المقدس. ونجد كتابا آخر من قرة يختص بالنفقة على أربعين من مهرة العمال الذين استخدموا فى بناء جامع دمشق. ونجد كتابا آخر يختص بالنفقة على الفعلة والعمال المهرة الذين يعملون فى جامع بيت المقدس وفى قصر أمير المؤمنين . وهناك كتب أخرى تختص بالصرف على العمال الذين يعملون فى بيت المقدس أو دمشق أو قصر أمير المؤمنين.

ويذكر البلاذرى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز، عامله على المدينة، يأمره بهدم المسجد وبنائه، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقبط من أهل الشام ومصر، فبناه عمر بن عبد العزيز وزاد فيه، وكان ذلك فى سنة ٨٧ هـ/ ٧٠٥م، ويقال فى سنة ٨٨ هـ/ ٧٠٦م.

ويبدو أنه كان من العرف أن يعمل الصانع فى البناء طوال اليوم بلا انقطاع، وقد استمر هذا النظام سائدا حتى زمن أحمد بن طولون الذى حدد

ساعة انتهاء عمل صانع البناء بوقت العصر. واستمر هذا النظام، فيقول المقريزى : «ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون فى الجامع عند العشاء، وكان فى شهر رمضان، فقال : متى يشترى هؤلاء الضعفاء إفطارا لعيالهم وأولادهم؟ اصرفوهم العصر. فصارت سنة الى اليوم بمصر. فلما فرغ شهر رمضان قيل له : قد انقضى شهر رمضان، فيعودون الى رسمهم، فقال : قد بلغنى دعاؤهم، وقد تبركت به، وليس هذا مما يوفر العمل علينا».

الفصل الأول

العمائر المدنية

. العواصم والمدن .

. الجواسق (القصور) .

. المارستانات.

. الحمامات .

. مصانع الماء - الفسقيات - العيون - القناطر.

الفصل الأول :

العمائر المدنية

العواصم والمدن

كان من الطبيعى بعد فتح العرب لمصر أن يصطبغ كل شىء فيها بالصبغة العربية، وأن تتحول مصر من ولاية بيزنطية الى ولاية اسلامية فى مظهرها وجوهرها، وتتغير تبعا لذلك أهمية الحواضر والمدن، مع انتقال السيطرة من القسطنطينية فى أوربا الى المدينة فى شبه جزيرة العرب، فبعد أن كانت عاصمة مصر هى الاسكندرية، أصبحت هى الفسطاط.

وقد كان من أهم مظاهر هذا التغيير، هو الذى طرأ على بناء وتشييد المدن، وهو تغيير كان يواكب التغيير الذى طرأ على المجتمع المصرى، وتحول فيه تدريجيا من مجتمع يسكن فى مدن قبطية ويتعبد فى كنائس، إلى مجتمع اسلامى عربى يسكن فى مدن عربية، ويتعبد فى مساجد.

كان أول تغيير فى هذا الشأن هو الذى حدث ببناء الفسطاط على يد عمرو بن العاص فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، وانتقل به كرسى الحكم من مدينة الاسكندرية التى كانت حاضرة مصر لمدة تزيد على تسعمائة عام، ودار إمارة ينزل بها الأمراء والحكام، الى الفسطاط التى احتلت هذا المركز. ولم تزل على ذلك حتى بنُى العسكر بظاهر الفسطاط، فنزل فيه أمراء مصر وسكنوه، وربما سكن بعضهم الفسطاط، فلما أنشأ أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها، واتخذها الأمراء من بعده منزلا، إلى أن انقرضت دولة بنى طولون فصار أمراء مصر بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط، واستمر ذلك حتى بنيت القاهرة فى عهد الدولة الفاطمية.

على أن الفسطاط ظلت المركز الأعظم للحياة المصرية، ولم تكن القطائع والعسكر فى الحقيقة سوى ضاحيتين أو امتدادا لها، مع أن الناس حينئذ كانوا يعتبرون العسكر مدينة قائمة بذاتها، كما اعتبروا القطائع بعد ذلك.

وسنتناول فى الصفحات القادمة اختطاط كل من الفسطاط والعسكر والقطائع، ثم الجيزة وحلوان والعباسة.

أولا : الفسطاط :

عن سبب بناء الفسطاط يقول ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب : إن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها، همّ أن يسكنها، وقال : مساكن قد كَفيناها. فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك، فسأل عمر الرسول : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء. قال : نعم ياأمير المؤمنين إذا جرى النيل. فكتب عمر الى عمرو بن العاص : إنى لا أحب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف. فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط.

وفى رواية أخرى يقول ابن عبد الحكم إن عمر بن الخطاب كتب الى سعد ابن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى، والى عامله بالبصرة، والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية - أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء، متى أردت أن أركب اليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت. فتحول سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة، وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط.

ويرى الدكتور حسن ابراهيم حسن أن تغير عاصمة مصر تحت الحكم العربى كان أمرا طبيعيا، لأن مدينة الاسكندرية لم تعد صالحة لأن تكون حاضرة مصر كما كانت منذ أيام الاسكندر، فلم يكن بد من أن تكون الحاضرة - على أثر انتقال مركز السيادة على مصر إلى بلاد العرب - إما على البحر الأحمر، وإما على نقطة تسهل منها المواصلات البرية، ولما لم تكن العرب أمة بحرية، لم يكن بد من أن يتخذوا حاضرتهم الجديدة فى نقطة برية سهلة الاتصال ببلاد العرب، أضف الى ذلك حكمة عمرو فى اختيار موقع الفسطاط، لأنه كان يستطيع من هذا الموقع أن يشرف على قسمى الديار المصرية شمالا وجنوبا، ثم لقربه من الطريق الى بلاد العرب.

هذا بالاضافة ـ كما يقول ستانلى لينبول ـ الى أن الخليفة عمر بن الخطاب ـ الذى لم يكن يحلم فى ذلك الوقت بتأسيس امبراطورية إسلامية شاسعة الأرجاء ـ كان مولعا بأن يكون على اتصال دائم بجيشه فى مصر، إذ كان ينظر إلى البلد التى تم له فتحها على أنها بمثابة ثكنات للجيش أكثر مما كان ينظر إليها على أنها مستعمرة.

وعن اختيار موقع الفسطاط وسبب تسميتها بالفسطاط يقول ابن عبد الحكم: إن عمرو بن العاص عندما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم، أمر بنزع فسطاطه(خيمته)، فاذا فيه يمام قد فرّخ، فقال : لقد تحرم منا بمتحرّم، فأمر به، فأقره كما هو، وأوصى به صاحب القصر، فلما قفل المسلمون من الاسكندرية، وقالوا : أين ننزل؟ قال : الفسطاط ـ لفسطاطه الذى كان خلفه بدار الحصى (الحصار كما يقول المقريزى)، عند دار عمرو الصغيرة اليوم.

وعن سبب تسميتها بالفسطاط يقول السيوطى عن ابن قتيبة : إن العرب تقول لكل مدينة : فسطاط ! ولذلك قيل لمصر : فسطاط. وذكر حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : عليكم بالجماعة، فان يد الله على الفسطاط. قال ابن قتيبة : الفسطاط المدينة.

أما بتلر فيرى أن الفسطاط مشتقة من لفظ «فساط»، وهو لفظ رومانى «fossatum» كان شائعا فى وقت الفتح على العسكر، وكان الرومانيون فى حصن بابليون اذا ذكروا موضع عسكر العرب سموه الفساطوم، فأخذ عنهم العرب ذلك اللفظ .

وعن موقع الفسطاط يقول المقريزى : إعلم أن موضع الفسطاط، الذى يقال له اليوم مدينة مصر، كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة، ينزل به المتولى على مصر من قبل القياصرة

ملوك الروم، عند مسيره من مدينة الاسكندرية، ويقيم فيه ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية.

ويقول ابن دقماق عن الفسطاط : هى مدينة مستطيلة على ضفة النيل الشرقية، تحط فى ساحلها المراكب، والفسطاط فى الاقليم الثالث، وبينها وبين مدينة القاهرة قدر ميلين.

وتدل أوصاف الخطط وتقدير الأبعاد ـ كما يقول عبد الله عنان ـ على أن موقع الفسطاط القديمة، كان يشغل مسطحا طوله نحو خمسة آلاف متر، حده من الشمال جبل يَشْكُر الذى يقع عليه جامع ابن طولون الآن، ومن الجنوب دير الطين (أو دير مار يوحنا)، وفى وسطه جامع عمرو، ممتدا على ضفة النيل مقابل الجزيرة التى تعرف الآن بجزيرة الروضة، وأن عرض هذا المسطح لم يكن يزيد على ألف متر لأن النيل حدّه الغربى. وكان مجرى النيل يومئذعلى ما يظهر أقرب الى الفسطاط من موضعه الحالى.

وعن اختطاط الفسطاط تذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص قد اختط موضع الفسطاط داره وأمر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه، ففعلوا، واتصلت العمارة بعضها ببعض. وعندما تنافست القبائل بعضها الى بعض فى المواضع، ولى عمرو بن العاص على الخطط ـ كما ذكرت فى فصل سابق ـ معاوية بن حديج التجيبى، وشريك بن سمى الغطيفى بن مراد، وعمرو بن قحزم الخولانى وحيويل بن ناشرة المعافرى، فكانوا هم الذين أنزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل، وذلك فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م.

ويرى محمد عبد الله عنان أنه بتوزيع «الخطط» بين قبائل العرب يبدأ قيام الفسطاط كقاعدة ومدينة اسلامية. وقد نسبت المدينة الى عمرو بن العاص، فقيل : فسطاط عمرو، وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر، فاتخذوها سرير السلطنة.

ويرى محمد عبد الله عنان أنه لم يتح للفسطاط فى عصورها الأولى، ما أتيح لغيرها من قواعد الاسلام من الضخامة والبهاء، لأنها لبثت خلال القرنين الأولين للهجرة، عاصمة لاقليم فقط من أقاليم الخلافة، ومنزلا للحكام المحليين، وقاعدة عسكرية لفتوح أخرى فى الغرب والجنوب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان السبب يرجع أيضا ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ الى عيشة الخشونة التى كانت تغلب عليهم فى أول الأمر، ثم مالبث الرخاء أن طغا عليهم، وتدفقت الثروة إليهم من كل جانب فبدأوا ينزعون عنهم عيشة البساطة، وينعمون فى حياتهم ومساكنهم.

وسنعرض الآن وصف الرحالة والمؤرخون العرب للفسطاط لنتبين مدى عظمتها. يقول ابن حوقل :«والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد، ومقدارها نحو فرسخ، على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة، ذات رحاب فى محالّها، وأسواق عظام ومتاجر فخام، وممالك جسام الى ظاهر أنيق، وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الأيام خضرة ».

ويقول أيضا : «والدار تكون بها طبقات سبعا وستا وخمس طبقات، وربما سكن فى الدارالواحد المائتان من الناس».

وقبل أن نعرض لأسماء بعض الدور فى الفسطاط وموقعها وأسماء الأزقة والشوارع، نقول :إن معظم الدور فى الفسطاط فى بادىء الأمر، كانت ذات طابق واحد، اذ لم يكن هناك داع للارتفاع بالمسكن رأسيا، لتوافر المساحة الأفقية، كما أن عدم موافقة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على بناء غرفة، أرادها خارجة بن حذافة فوق داره، تؤكد لنا هذا الأمر.

كانت أول دار بنيت فى الفسطاط هى **دار عمرو بن العاص** : مكان فسطاطه، وهى اليوم عند باب المسجد.

دار عبد الله بن عمرو بن العاص : عند المسجد الجامع، وهى دار كبيرة بناها بنفسه وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الأولى. وهذا الوصف

يدل على مدى اتساعها بحيث كان يسمح ببناء قصر بداخلها، كما يدل على بساطة تخطيطها على نسق الكعبة فى بداية أمر بنائها.

دار القَنْد : وهى خطة خارجة بن حذافة بن غانم العدوى من الصحابة، وتقع فى غربى دار البركة مع زقاق الأقفال. وكان خارجة أول من ابتنى غرفة بالفسطاط، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إلى عمرو أن أدخل غرفة خارجة، وأنصب سريرا، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن أطّلع من كُوَاها فاهدمها، ففعل ذلك عمرو، فلم يبلغ الكوى، فأقرها.

وفى رواية ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص: «سلام، أما بعد، فانه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة، ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه فاذا أتاك كتابى هذا فاهدمها إن شاء الله. والسلام».

دار البِرْكة : وهى دار بناها عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب عند المسجد الجامع، إلا أن عمر بن الخطاب رفض وأرسل اليه يقول : «أنّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر؟ وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين». فجعلت سوقا يباع فيها الرقيق ـ كما ذكرت فى موضوع الأسواق.

دار العُمُد : التى اختطها أبو ذَرّ الغِفارى[1]، وكان لها بابان : فى زقاق القناديل، والباب الآخر مما يلى دار بركة.

دار النَّخْلة : وهى كانت لكعب بن يسار بن ضِنّه العبسى.

دار السلسلة : فى غربى المسجد، وقد بناها عمروبن العاص حين قدم عليه من بنى سهم مَن لم يكن شهد الفتح.

(١) أبو ذر الغفارى واسمه جُندب بن جُنادة. أسلم قديما بمكة، وكان من فضلاء الصحابة ونبلائهم وقرائهم. شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه عشرون حديثا، وقد سكن مصر مدة، ثم خرج منها. توفى بالرَّبذة عام ٣٢هـ/ ٦٥٢م.

دار بنى جُمح : وكان مكانها بركة يجتمع فيها الماء، فقال عمرو بن العاص، خطوا لابن عمى الى جانبى يُريد وهب بن عُمير الجمحى، وهو ممن شهد الفتح فردمت وخطت له.

دار الحَنِية ودار الموز: وهما لعبد الله بن سعد بن أبى سرح، أما قصره الكبير المعروف بقصر الجن فقد بناه بعد ذلك فى خلافة عثمان بن عفان(٢٤ ـ ٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٥م) وقد أمر ببنائه حين خرج إلى المغرب لغزو افريقية.

دار الفلفل : وهى فى قبلة المسجد الجامع، وقد اختلف المؤرخون فى مالكها، فمنهم من قال : إنه قيس بن سعد بن عبادة عندما ولى البلد من قبل على بن أبى طالب، ومنهم من قال : إنها لنافع بن عبد القيس، ومنهم من قال : إنها لعقبة بن نافع فأخذها قيس بن سعد منه، ومنهم من قال : إنها لسعد ابن أبى وقاص.

على أية حال، فقد سميت بدار الفلفل، لأن أسامة بن زيد التنوخى عندما كان على خراج مصر، إبتاع من موسى بن وردان فلفلابعشرين ألف دينار بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك، ليهديه الى صاحب الروم، فخزنه فى هذه الدار.

دار الرمل : ويقول عنها ابن عبد الحكم إن عقبة بن عامر قد بناها لرَمْلة بنت معاوية،فكتب اليه معاوية يقول : لا حاجة لنا بها، فاجعلها للمسلمين. وبرملة سميت دار الرمل، لأنهم كانوا يقولون : دار رَمْلَة فحرفت العامة ذلك، وقالوا دار الرمل. وهناك رأى آخر يقول : إنما سميت دار الرمل لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب.

الدار البيضاء : وقد اختطها عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوى، ويقال : بل كانت الدار البيضاء صَحنًا بين يدى المسجد ودار عمرو بن العاص، موقفا لخيل المسلمين على باب المسجد، حتى قدم مروان بن الحكم مصر فى سنة

٦٥هـ/ ٦٨٤م، فبناها لنفسه دارا، وقال : «ما ينبغى للخليفة أن يكون ببلد ليس له بها دار». فبنيت له فى شهرين.

الدار المذهبة : وهى غربى المسجد الجامع بسوق الحمام، وقد أمر ببنائها عبد العزيز بن مروان سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م عندما كان واليا على مصر، ويبدو أنها عرفت بدار الذهب لأنه جُعل لها قبة مذهبة، يقول عنها القلقشندى : اذا طلعت عليها الشمس لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره. كما كانت تعرف «بالمدينة»، لسعتها وعظمتها، فقد كان يصب لمن فيها فى كل يوم أربعمائة راوية ماء، وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة أفران يخبز بها عجين أهلها.

دار ابن رمانة : وقد بناها عبد العزيز بن مروان لابن رمانة» فيقول ابن عبد الحكم : كان ابن رمانة مع عبد العزيز بن مروان فى الكتّاب» وكان عبد العزيز قد وهب لابن رمانة خاتما كان له، فلما صار عبد العزيز الى ما صار اليه قدم عليه ابن رمانة من الحجاز، وأخرج له الخاتم فعرفه، وبنى له هذه الدار.

دار بدر الخفيفى : غلام ابن طولون وكانت بالفسطاط، ويقال إن أحمد ابن طولون هو الذى بناها، وقيل اشتراها له، ثم سخط عليه واتهمه بمكاتبة الموفق فقتله بالسياط.

دار المرصدى : وهى التى عند البزازين، وتعرف بدار تحرير الخاصة، كان كافور أمير مصر يسكنها قبل انتقاله الى دار الحرم. ويقال إن بانيها هو محمد بن أحمد الأعور الماذرائى المتوفى سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م.

دار الفيل : هى الدار التى على بركة قارون، وكان كافور أمير مصر قد اشتراها، وبنى فيها دارا، ذُكر أنه أنفق فيها مائة الف دينار، وقد سكنها فى رجب عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م الى أن مات ودفن بها. وقيل إنه لم يسكن فيها إلا عدة أيام، حتى عمّروا له دار خمارويه المعروفة بدار الحرم فانتقل اليها

وسكنها عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م وأقام فيها عشر سنين الى أن توفى عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م. وقيل إن سبب انتقاله من دار الفيل بخار البْركة، وقيل وباء وقع فى غلمانه، وقيل ظهر له بها جان.

دار الضيافة : يذكر المقريزى أن أول من بنى دارا للضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمى أحد من شهد فتح مصر من الصحابة. وكان ميدان القصر الغربى الذى هو الآن الخرنشف، دار الضيافة بحارة برجوان. وكان أول من اتخذ دار ضيافة فى الاسلام عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره.

هذه أسماء بعض الدور التى بناها العرب بالفسطاط، ومنها يتضح أن الفسطاط كانت مدينة عربية يسكنها العرب فقط.

يقول المقريزى فى كتابه : إن الفسطاط كان به ثمانية آلاف شارع مسلوك، وعند وصف أزقة الفسطاط وشوارعها يقول:«وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة».

وعن الدروب التى بالفسطاط يذكر ابن دقماق أنه كان بالفسطاط درب يعرف «بدرب المعاصر»،وموقعه بالمصاصة على يسرة من سلك من سويقة اليهود الى «درب محرس بنانه»، وكان هذا الدرب (أى درب المعاصر) يسكن به «أكابر أعيان المصريين»، مما يشير الى أنه كان من الأحياء الراقية.ومن الدروب أيضا «درب السراجين»، و«درب دار حوى» و«درب الزجاج».

ومن الأزقة التى كانت بالفسطاط «زقاق القناديل»(٢)، ويذكر ابن عبد الحكم أن زقاق القناديل كان يقال له «زقاق الأشراف» لأن عمرا بن العاص كان على طرفه مما يلى المسجد الجامع .وكان يوجد بالفسطاط أيضا «زقاق

---

(٢) عرف بهذا الاسم لأنه كان به منازل الأشراف، وعلى أبوابهم قناديل، وقيل: إنما قيل له زقاق القناديل، لأنه كان برسمه قنديل يوقد على باب عمرو بن العاص .

البلاط»، و«زقاق عبد الملك بن مَسْلمة »و« زقاق السمى»، و«زقاق المكى»، و «زقاق ابن رفاعة»، و«زقاق أبى حكيم»، و«زقاق وردان»و«زقاق أشهب» ،و «زقاق حَمْد بن غافق»و «زقاق الموزة»، و «زقاق الأقفال»، و «زقاق ابن لؤلؤ» وكان لؤلؤ من قواد الاخشيد، وكان هذا الزقاق يقابل «زقاق الكلبى»، «وزقاق الروّاسين».

ثانيا : العسكر :

لما سقطت الدولة الأموية وجاءت دولة بنى العباس، اختط العباسيون مدينة العسكر.فقد فر بنو أمية الى مصر وعلى رأسهم مروان بن محمد آخر خلفائهم، فتتبعتهم جيوش بنى العباس الى مصر بقيادة صالح بن على بن عبد الله عباس، وأبى عون عبد الملك بن يزيد، فظفرت به. وقد بنوا فى الموضع الذى عسكروا فيه مدينة، فسميت لذلك بالعسكر، وكان ذلك عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م. ويذكر المقريزى أن هذا الموضع كان فى صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى، وهى كما تقدُم : خطة بنى الأزرق، وخطة روبيل، وخطة بنى يشكر بن جزيلة من لخم، ثم دثرت هذه الحمراء وصارت صحراء، وعندما جاءت جيوش العباسيين عسكروا فيها، وبنوا فيها مدينة سميت بالعسكر.

وكان اختاط العسكر ـ كما تقول الدكتورة سيدة كاشف ـ إما لرغبة العباسيين فى أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق اليه غيرهم، وإما لأن مروان ابن محمد كان قد أضرم حريقا خرب جانبا كبيرا من الفسطاط، كما يقال فى بعض الروايات.

وقد بنى أبو عون فيها دارا للامارة، كما بنى مسجدا عرف بجامع العسكر، كما كانت مقرا للشرطة، وقيل لها الشرطة العليا.

وكانت العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة، وفيها بنى أحمد بن طولون بيمار ستانه، كما بنى الجامع المعروف باسمه على جبل يشكر. ولما

بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر، وكانت عمارة عظيمة كما يقول المقريزى.

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر الى جانب دار الامارة :

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون، وقد أنفق عليها مائة ألف دينار، وسكنها فى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة.

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة أحد ولاة مصر(١٩٤ ـ ١٩٥هـ/ ٨٠٩ ـ ٨١٠م) من قبل الخليفة الأمين محمد ـ على جبل المقطم، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين. وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء.

ثالثا : القطائع :

استمر أحمد بن طولون بدار الامارة التى بالعسكر حتى كثرت عساكره وعبيده، وضاقت بهم مدينة الفسطاط، فأمر بحرث قبور اليهود والنصارى التى كانت فى سفح جبل يشكر، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط وسماها «القطائع» وذلك فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م. وقد سميت كل قطيعة باسم من سكنها، سواء ممن تجمعهم رابطة الجنسية أو رابطة العمل. «فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم، وبنى القواد مواضع متفرقة».

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن أحمد بن طولون كان حكيما فى إنشاء القطائع، فقد أمكنه بذلك ابعاد جيشه غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية، وتجنب بذلك ما كان ممكنا حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من سواد الشعب، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم فى بغداد، وكان سببا فى انشاء سامرا.

كما يرى الدكتور زكى محمد حسن أن تخطيط مدينة القطائع أو اسمها لم يكن غريبا، اذ كان يشبه الى حد كبير تخطيط سامرا، كما كان يطلق اسم القطائع على مدينة سامرا التى بناها المعتصم، اللهم إلا القصور الملكية.

وعن موقع القطائع ومساحتها يقول أبو المحاسن : وكان موضعها من قبة الهواء، التى صار مكانها الآن قلعة الجبل، الى جامع ابن طولون وهذا طول القطائع، وأما عرضها فانه كان من أول الرُمَيْلة من تحت القلعة الى الموضع الذى يعرف الآن (أى فى زمان أبى المحاسن) بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين، وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل. وكان تحت قبة الهواء قصر ابن طولون، وموضع هذا القصر الميدان السلطانى الآن تحت قلعة الجبل بالرميلة. وكان موضع سوق الخيل والحمير والبغال والجمال بستانا . ويجاوره الميدان الذى يُعرف اليوم بالْقَبَيْنان، فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى أنشأه أحمد بن طولون المعروف به، ويجوار الجامع دار الامارة فى جهته القبلية، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمُصَلّى الأمير الى جوار المحراب. وهناك دار الحرم.

وقد عمرت القطائع «عمارة حسنة» كما يقول البلوى، وتفرقت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد الحسان، والطواحين. والحمامات والأفران، وسميت أسواقها، فسمى منها : سوق العيارين، يجمع فيه البزازين والعطارين، وسوق الفاميين، يجمع فيه الجزارين والبقالين والشوائين. وكان فى دكاكين الفاميين جميع ما فى دكاكين نظرائهم فى المدينة وأكثر وأحسن،وسوق الطباخين، يجمع فيه الصيارفة والخبازين وأصحاب الحلواء. ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوق حسن عامر. «فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن».

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية على النحو الآتى :

قصر أحمد بن طولون :

وعن وصف قصر أحمد بن طولون تقول المصادر العربية : وبنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه، وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة، فسمى القصر كله الميدان من أجل الميدان، فكان كل من أراد الخروج من صغيرأو كبير اذا سئل عن ذهابه يقول: الى الميدان، وقد عمل للميدان أبوابا وسمى كل باب منها باسم وهى: باب الميدان، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وقد ذكر البلوى فى كتابه أن باب الميدان كان يسمى أيضا باب الصوالجة، فى حين أن المقريزى عد باب الصوالجة من ضمن أبواب القصر، على أية حال فقد كان يوجد أيضا باب الخاصة، لا يدخل منه إلا خاصته. وباب الجبل لأنه كان مما يلى المقطم. وباب الحرم لا يدخل منه الا خادم خصى أو حرمه. و باب الدرمون سمى باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرمون لأنه كان رجلا أسود، عظيم الخلقة، يتقلد النظر فى جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط .

وباب دعناج سمى باسم حاجب كان عليه يقال له دعناج. وباب الساج عرف بذلك لأنه كان مصنوعا من خشب الساج. وباب الصلاة فى الشارع الأعظم، كان يخرج منه الى الجامع الذى بناه، وهو يعرف أيضا بباب السباع لأنه صور عليه سبعين من جبس. وكان الطريق الذى يخرج منه أحمد بن طولون، وهو الذى يعرج منه الى القصر، طريقا طويلا، فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة أبواب كأكبر مايكون من الأبواب، وكانت متصلة بعضها ببعض، واحد بجانب الآخر. وكان أحمد بن طولون اذا ركب لعيد أو لغيره يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة، ويخرج ابن طولون من الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة، لا يختلط به أحد، فتلك السكة الى اليوم تسمى ثلاثة أبواب، ومن هذه الأبواب واحد قائم الى اليوم، ودخل البابان الاخران فى بناء الناس لما خربت القطائع.

وكانت أبواب قصره التى ذكرناها، تفتح يوم عرض الجيش، أو يوم عيد، أو يوم صدقة، أما سائر الأيام فانها تفتح فى وقت وتغلق فى وقت .

وكان لأحمد بن طولون فى قصره مجلس يشرف منه يوم العرض ويوم الصدقة، لينظر من أعلاه من يدخل ويخرج، وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع .

وقد بَنى على باب السباع مجلسا يشرف منه ليلة العيد على القطائع، ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم، فاذا رأى فى حال احد منهم نقصا أو خللا أمر له فى الوقت بما يتسع له ويزيد فى تجمله، وكان يشرف منه أيضا على البحر وعلى باب مدينة الفسطاط.

بيت الذهب

بُنى فى زمن خمارويه بن أحمد بن طولون، ويحدثنا المقريزى عن جدرانه أنها كانت مطلية بطبقة من الذهب، فيها نقوش اللازود، وجعل فيه، على مقدار قامة ونصف، صورا فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه بأحسن تصوير، وأبهج تزويق، وجعل على رؤسهن الأكاليل من الذهب الخالص، والكوادن(٣) المرصعة بأصناف الجواهر، وفى آذانها الأجراس الثقال الوزن، المحكمة الصنعة، وهى مسمرة فى الحيطان ولونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الاصباغ العجيبة. فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا.

---

(٣) الكودن جمع كوادن: البرذون الهجين .

بركة الزئبق:

وجاءت فى وسط بيت الذهب، وكان خماريه قد شكا الى طبيبه كثرة السهر، فقال له تأمر بعمل بركة من الزئبق! فعملت بركة ـ كما يقول المقريزى ـ يقال إنها خمسون زراعا طولا فى خمسين زراعا عرضا، وملأها من الزئبق! فأنفق فى ذلك أموالا عظيمة، وجعل فى أركان البركة سككا من الفضة الخالصة، وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة، وعمل فرشا من أدم يحشى بالهواء حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدّه، ويلقى على تلك البركة الزئبق، وتشد زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة، وينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يتحرك بحركة الزئبق مادام عليه، وكانت هذه البركة من أعظم ما سمع به، فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تآلف نور القمر بنور الزئبق، وقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لاخذ الزئبق من شقوق البركة.

الدكة:

وقد بنى خمارويه فى القصرأيضا قبة تضاهى قبة الهواء سماها «الدكة» فكانت أحسن شىء بنُى كما يقول المقريزى ـ وجعل لها الستر التى تقى الحرور البرد، فتسبل اذا شاء وترفع اذا أحب، وفرش أرضها بالفرش، وعمل لكل فصل فرشا يليق به، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره، ويرى الصحراء والجبل وجميع المدينة .

دار الحرم:

وبنى خمارويه أيضا دار الحرم، ونقل اليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن، وجعل معهن المعزولات من أمهات أولاده، وأفراد لكل واحدة حجرة واسعة، وقد تكلف بناوءها وأجرة الصناع سبعمائة ألف دينار.

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب، فى أيام الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥هـ/ ٩٠١ - ٩٠٧م)، حنقا على بنى طولون عام ٢٩٢هـ / ٩٠٤م، وأبقى الجامع .

وسنتناول الآن بناء كل من مدينة الجيزة وحلوان والعباسة.

أولا: الجيزة.

وهى مدينة اسلامية بنيت فى سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، وقيل فرغ من بنائها سنة ٢٢هـ/ ٦٤١م، وعن سبب بنائها والقبائل التى سكنتها أنظر الموضوع الخاص بالقبائل العربية .

ثانيا : حلوان .(٤)

وعن سبب بنائها تذكر المصادر العربية أنه عندما وقع بمصر طاعون فى سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م خرج والى مصر عبد العزيز بن مروان من مصر، ونزل بحلوان، فأعجبته، فاتخذها سكنا ، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط، وبنى بها الدور والمساجد، وعمرها أحسن عمارة، وبنى بها دارا للامارة وكان عبد العزيز بن مروان قد اشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار.

ثالثا: العباسة .

وهى تقع شمالى بلبيس على نحو مرحلة منها، وهى محدثة سميت باسم عباسة بنت أحمد بن طولون، عندما خرجت مودعة بنت أخيها قطرالندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لتتزوج المعتضد، فضربت عباسة فساطيطها بهذا الموضع، ثم بنيت به قرية وسميت عباسة باسمها.

---

(٤) تعرف الان باسم حلوان البلد، وهى تابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة. وهى من أقدم القرى التى انشأها العرب فى مصر، واقعة على الشاطىء الشرقى للنيل، غربى مدينة حلوان الحمامات بمقدار ثلاثة كيلو مترات وجنوبى القاهرة على بعد عشرين كيلو مترا من مصر القديمة.

دار الامارة:

يجدر بنا بعدما تعرضنا لنشأة المدن الاسلامية الجديدة فى مصر الاسلامية تحت الحكم العربى، أن نشير الى دار الامارة التى كانت مقرا للأمراء ينزلونها فى هذه المدن، سواء كانت بالفسطاط أو العسكر أو القطائع أو حلوان.

تذكر المصادر العربية أن الامراء لم يكن لهم فى بادىء الأمر بالفسطاط مقر معين، أو دار للامارة مخصوصة، فنزل عمرو بن العاص، أول أمراء مصر، بداره التى بالقرب من الجامع، وظل الأمراء من بعده ينزلون بداره الى آخر الدولة الأموية عندما تولى عبد العزيز بن مروان ولاية مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مروان، فقد بنى دارا عظيمة بالفسطاط عام ٧٧هـ/ ٦٩٦م وسماها دار الذهب ـ كما ذكرنا ـ فكان عبد العزيز ينزلها، ثم نزلها بنوه بعده. غير أن المصادر العربية تشير الى أنه فى ولاية عبد العزيز بن مروان تعرضت مصر لطاعون وقع بها سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م ـ كما ذكرت سابقا ـ كان من أثره أن رحل الى حلوان وبنى فيها دار للامارة سكنها. على أيه حال فيبدو لنا أن هذه الدار كانت مؤقته حتى انتهاء الطاعون أو انتهاء مدة ولايته.

وعندما بنيت العسكر فى ولاية على بن صالح بن على الهاشمى فى خلافة السفاح أول خلفاء بنى العباس، ابتنى فيها دارا للامارة ونزلها. وكان لهذه الدار بابان ـ كما يذكر البلو ى ـ أحدهما بالحارة المعروفة بحوض أبى قديرة (أو ابن قديد كما يقول ابن دقماق) والمعروف الى اليوم بباب الخاصة، وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانية، وكان باب الشرطة أيضا أحد أبوابها، وكانت كلها دارا واحدة، ولها باب الى المسجد الملاصق للشرطة .

وقد صارت هذه الدار منزله للأمراء بعده حتى ولاية يزيد بن حاتم لمصر، فقد كتب اليه الخليفة أبو جعفر المنصور يأمره بأن يتحول من العسكر الى الفسطاط، وكان ذلك فى عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، وقد استمر هذا الوضع حتى قدم أحمد بن طولون أميرا على مصر، فنزل بدار الامارة التى بالعسكر،

والتى بناها صالح بن على بعد هزيمة مروان بن محمد وقتله، ثم تحول منها الى قصره بالقطائع عندما بنى وذلك فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.

وكانت دار الامارة التى بناها أحمد بن طولون بجوار جامعه ـ كما يقول المقريزى ـ فى الجهة القبلية منه، وكان لها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر. وقد جعل فى هذه الدار جميع ما يحتاج اليه من الفرش والستور والالات ، فكان ينزل بها اذا ذهب الى صلاة الجمعة، فانها كانت تجاه القصر والميدان، فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه .

وترى الدكتورة سيدة كاشف أن تفكير أحمد بن طولون فى ترك دار الامارة التى بمدينة العسكر، أو التى فى الفسطاط، يمثل اتجاهه الجديد فى الاستقلال بمصر، وفى رغبته فى منافسة بلاط العباسيين.

وعندما تولى خمارويه بن أحمد بن طولون مصر بعد أبيه، حوّل دار الامارة التى بالعسكر ـ كما تذكر المصادر العربية ـ ديوانا للخراج.

وقد ظل أمراء الدولة الطولونية ينزلون بالقصر الذى بناه أحمد بن طولون، حتى سقطت الدولة الطولونية على يد محمد بن سليمان الكاتب، الذى هدم القصر، كما هدم أيضا دار الامارة التى بالعسكر ـ أو كما تقول المصادر العربية فرقت «حجرا حجرا» .

لذلك عندما تولى مصر محمد بن سليمان (٢٩٢ هـ / ٩٠٤م)، سكن دار بدر الخفيفى غلام أحمد بن طولون ، وكانت بالفسطاط ـ كما ذكرت سابقا ـ ثم سكنها عيسى النوشرى أمير مصر بعده (٢٩٢ ـ ٢٩٧هـ/ ٩٠٤ ـ ٩٠٩م)، فأصبحت منزلة للأمراء، إلى أن ولى الاخشيد مصر، فزاد فيها وعظمها، وعمل لها ميدانا، وجعل لها بابا من حديد وذلك فى عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م. وقد ظلت منزلة للأمراء إلى أن جاءت الدولة الفاطمية وبنيت القاهرة .

الجواسق (٥)

ومن الجواسق التى بالقرافة :

جوسق بنى عبد الحكم : كان جوسقا كبيرا له حوش ، وكان فى وسط القرافة بحضرة مسجد بنى سريع الذى يقال له الجامع العتيق، وهو أحد الجواسق الثلاثة. وهو جوسق عبد الله بن عبد الرحمن الفقيه الامام.

جوسق المادرائى : هذا الجوسق ـ كما يقول المقريزى ـ لم يبق من جواسق القرافة غيره، وهو جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان فى بحريه، على جانبه الممر من مقطع الحجارة. بناه أبو بكر محمد بن على المادرائى فى وسط قبورهم من الجبانة، وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الأعياد، ويوقد جميعه فى ليلة النصف من شعبان كل سنة وقودا عظيما ، ويتحلق القراء حوله لقراءة القرآن . فيمر للناس هنالك أوقات فى تلك الليلة وفى الأعياد بديعة حسنة .

---

(٥) الجَوْسَق جمع جواسق وجواسيق : وهى كلمة فارسية ، بمعنى القصر . قال ابن سيده: الجوسق الحصن، وقيل هو شبيه بالحصن، معرب. وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط: الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور.

المارستان (بيت المرضى)

تميزت المدن العربية فى مصر ببناء المارستانات، فلم تكن موجودة قبل الفتح العربى، وإنما استحدث بناؤها بعد الفتح، وهذا يدل على عناية الدولة الإسلامية بصحة رعاياها. وكان الوليد بن عبدالملك هو أول من بنى المارستان فى الإسلام فى عام ٨٨هـ/٧٠٦م - كما يقول المقريزى - وجعل فيه الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق.

وقد بُنى فى مصر عدد من المارستانات، وهذه المارستانات هى:

البيمارستان أو المارستان العتيق :

المارستان العتيق بمصر ويعرف بالأعلى، أنشأه أحمد بن طولون فى سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م وقيل فى سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م، وهو أول مارستان أنشىء بمصر. وعن موقعه يقول المقريزى: «وهذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر، وهى الكيمان والصحراء التى فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح، وفيما بين قنطرة السد التى على الخليج ظاهر مدينة مصر، وبين السور الذى يفصل بين القرافة وبين مصر، وقد دُثر هذا المارستان».

ويقول البلوى إن مبلغ ما انفق عليه وعلى مستغله ستون ألف دينار.

وقد كان لهذا المارستان أوقاف كثيرة، فقد حبس عليه دار الديوان والقيسارية وسوق الرقيق، حتى قيل كان له فى كل يوم من المصروف ألف دينار.

وقد شرط فى المارستان أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك.

وقد أدخل أحمد بن طولون فى هذا المارستان ضروبا من النظام جعلته فى مستوى أرقى المستشفيات فى الوقت الحاضر - كما تقول الدكتورة سيدة كاشف. فقد اشترط على أنه « إذا جىء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته،

وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثيابا ويفرش له، ويغْدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف، وأعطى ماله وثيابه»، كما عمل بالمارستان حمامين احداهما للرجال والآخر للنساء.

ويبدو أنه كان لهذا المارستان عيادة خارجية (كما فى الوقت الحاضر)، إلا أنها كانت فى يوم معين من الأسبوع، ومخصصة للفقراء فقط، فيقول ابن اياس: «وكان يجلس على باب المارستان فى كل يوم جمعة طبيبان برسم الفقراء».

وعن خزائن الأدوية يقول البلوى: ان المارستان كان يضم فى «خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة، والدرياقات المعروفة التى ليست إلا فى خزائن الملوك والخلفاء، فلم يكن يُعدم فى مارستانه شىء من الأدوية ولا العقاقير الرئيسية، مثل : دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله، واشترى له المستغلات النفيسة التى يفى بعضها بجميع حوائجه». وقد أقام أحمد بن طولون على هذه الخزائن خادما أسود خصيا.

وقد بلغ من عناية أحمد بن طولون بهذا المارستان وحرصه على راحة المرضى أنه كان يقوم بالاشراف عليه بنفسه، فيمر كل يوم جمعة عليه، يتفقد خزائنه وما فيها والأطباء، وينظر إلى المرضى والمحبوسين من المجانين. ويقال إنه لم يعاود الاشراف عليه مرة أخرى بعد تعرضه للموت على يد أحد المجانين، عندما أخبره أنه ليس مجنونا، وأنه يتمنى أن يأكل رمانة عريشية، فأمر له بها، فعندما أخذها غافله ورمى بها فى صدره، فنضحت على ثيابه، ولو كانت قد تمكنت منه لأتت عليه.

مارستان كافور :

ويعرف بالمارستان الأسفل، وقد بناه الخازن بأمر من كافور القائم بتدبير دولة الأمير أبى القاسم أنوجور بن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة

٣٤٦هـ/٩٥٧م. وقال القضاعي إن أمير مصر حبس جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت على هذا المارستان والميضأتين والسقايتين وأكفان الموتى.

وذكر شيوخ المصريين المؤرخين أن هذا المارستان كان فيه من الأزيار الصيني الكبار، والبراني، والقدور النحاس، والهواوين، والطشوت وغير ذلك ما يساوي ثلاثة آلاف دينار. وقد نقل إليه من المارستان الأعلى الذي بناه ابن طولون أضعاف ذلك.

مارستان في زقاق القناديل :

وقيل أنه كان في عصر الولاة مارستان في زقاق القناديل دار أبي زبيد.

مارستان المغافر :

وهذا المارستان كان في خطة المغافر التي موضعها ما بين العامر من مدينة مصر، وبين مصلى خولان التي بالقرافة. بناه الفتح بن خاقان في أيام المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/٨٤٦ ـ ٨٦١م) وقد باد أثره.

الحمامات

كانت المدن الإسلامية تزود بحمامات - مفردها حمام - وهى فى معناها اللغوى تعنى الماء الحار. وهى ليست من ابتكار المسلمين - كما يقول الدكتور عبد المنعم ماجد - ولكنها أخذت من الشعوب التى كانت قبلهم وبخاصة اليونان، فحينما دخل العرب الاسكندرية، وجدوا فيها آلاف الحمامات. وقد دخل الحمام ضمن نظام الإسلام منذ عهد مبكر لارتباطه على الخصوص بفريضة الوضوء، بحيث أن الفقهاء اعتبروه من الأماكن الدينية، فنص الإسلام على النظافة، واعتبرها من جوهر العقيدة.

وتذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص عندما فتح الاسكندرية وجد بها أربعة الاف حمام. وكان بالفسطاط كما يذكر المقريزى ألف ومائة وسبعون حماما. ويقول ابن اياس: إن مدينة تنيس كان بها ثلاثون حماما.

وقد كان يقوم بالخدمة فى هذه الحمامات عمال أو (بلان) كما يقول ابن دقماق، ويورد لنا ابن دقماق قصة عن دخول أحد الأشخاص أحد الحمامات فى زمن خمارويه بن أحمد بن طولون، يظهر منها أن عدد العمال المشتغلين فى أحد الحمامات فى مصر فى تلك الفترة، قد بلغ سبعين عاملا، كما يظهر لنا نظام الخدمة فى الحمامات والتى توضح ضغط العمل حتى إن العامل يضطر إلى خدمة اثنين أو ثلاثة معا فيقول:

كان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم، أدركتُها عاملة زمن أحمد بن طولون، وكانت ملكا لنجح الطولونى أحد قواد خمارويه، ثم توفى سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م فانتقلت لديوان خمارويه. قال: فدخلتها فى زمن خمارويه سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، وطلبت بها صانعا يخدمنى، أى بلانا، فلم أجد فيها صانعا متفرغا لخدمتى، وقيل لى إن كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة، فسألت: كم فيها من صانع؟ فأخبرت أن بها سبعين، أقل من معه ثلاثة. سوى من قضى حاجته وخرج، قال: فخرجت، ولم أدخلها لعدم من

يخدمنى بها، ثم طفت غيرها، فلم أقدر على من أجده فارغا إلا بعد أربعة حمامات، وكان الذى خدمنى معه ثان، وإنها ألف ومائة وسبعون حماما.

كما كان يقوم بالخدمة فى الحمامات إلى جانب هؤلاء العمال حراس للملابس، ويذكر الكندى أن أبا صالح يحيى بن داؤود الشهير بابن ممدود عندما تولى مصر من قبل المهدى (١٦٢ ـ ١٦٤هـ/٧٧٨ ـ ٧٨٠م) «منع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال: من ضاع له شيء فعلى أداؤه. فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه، ويقول: يا أبا صالح احفظها. فكانت الأمور على هذا مدة ولايته».

وقد انقسمت أنواع الحمامات فى مصر إلى:

حمامات عامة ـ حمامات خاصة ـ حمامات للسيدات.

وبالنسبة للحمامات العامة :

فقد كان أول حمام بنى فى مصر بعد الفتح العربى هو **حمام الفأر**، وقد اختطه عمرو بن العاص وهو بسويقة المغاربة، وقيل إنه سمى حمام الفأر لأن حمامات الروم كان حجمها كبيرا، فلما بنى هذا الحمام، ورأوا صغر حجمه، قالوا: من يدخل هذا؟ هذا حمام الفأر.

حمام بُسْر:

وهو بسر بن أبى أرطأة القرشى[٦]، وهذه الحمام من خطته، ولم يبق له أثر.

---

(٦) بسر بن أرطأة: كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد فتح مصر، واختط بها، وكان من شيعة معاوية، شهد صفين معه، وولى البحرين له. وقدأرسله معاوية والى الشام على رأس أسطول للاشتراك مع الاسطول المصرى فى صد الروم، وكان ذلك فى موقعة ذى الصوارى عام ٣٤هـ/ ٦٥٤م. ويقال إن بسر كان اذا ركب البحر قال: انت بحر وأنا بسر، على وعليك الطاعة لله، سيروا على بركة الله. وقد اختلفت الاراء فى تاريخ وفاته وفاته.

حمام ابن نصر السراج:

عند حبْس بنُانة، هي من خطة زياد بن ذهل من بنى سامد بن لؤي، ثم صارت إلى حويت بن جناد مولىَ بنى سمح، وقيل هو مولى عتبة بن أبى سفيان، بناها حمامين، ثم اشتراها عاصم بن أبى بكر بن عبدالعزيز. ثم بيعتا فى الصوافى سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م وانتقلتا إلى أبى نصر السراج فبناها حمامين: إحداهما تعرف الآن - كما يقول ابن دقماق - بحمام الكعكى، والثانية تعرف بحمام التكاررة.

حمام السوق الكبير:

وهي من خطة خولان الذى حازه الوليد بن عبدالملك، وتعرف الآن - كما يقول ابن دقماق - بحمام الصافى.

حمام القبو:

هو من فضاء الراية، وكان بشر بن مروان قد حازه فيما حازه، ثم أقطع ذلك كله المهدى لمنارة مولى أبى جعفر المنصور، ثم اشتراه الحكم، ثم تنقلت، وهى الآن فى حبس السرِّى، وتعرف بالكنيسة لقربها من كنائس أبى شنودة.

حماما الزياتين:

من الفضا لابن الجصاص ابتاعهما من الصوافى، وهما اليوم من جملة الأحباس.

حمام أبى مرة:

كان خطة لرجل من تَنُوخ هو جدّ ابن علقمة، فسأله إياه عبدالعزيز بن مروان، فوهبه له فبناه حماما لَزبّان بن عبدالعزيز. وأبو مرة هو اسم الصنم الذى على بابه، وكان هذا الصنم من رخام على خلقة المرأة، وقد كسر فى سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م عندما أمر يزيد بن عبدالملك بكسر الأصنام. وهو يعرف الان - كما يقول ابن دقماق - بحمام بثينة.

حمام نقاشى البلاط:

هذا الحمام يعرف بحمام أبى الفرج بن الكاتب، حبسه على أئمة الجامع العتيق.

حمام سوق وردان:

هو من الفضاء، وكان من إقطاع مسلمة بن مخلد الأنصارى من الصحابة، ثم صار هذا الحمام إلى بنى أبى بكر بن عبدالعزيز بن مروان من قبل أمهم، ثم قبض عنهم، فاشتراه ابن أبى خلف، ثم تنقل. وهو الآن - كما يقول ابن دقماق - جار فى ديوان أحباس الجامع العتيق بمصر.

حمام الخشابين:

وتعرف بحمام الجزرى، هى حمام عمر بن على بن أبى عبد الرحمن الفهرى، وقد خربت.

حمام جنادة:

بالقرافة. قال القاضى إنه ما كان يتوصل إليه إلا بعد عناء من الزحام، وإن قبالته فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم.

حمام الكَبْش:

وهو الحمام الذى يعرف اليوم - كما يقول ابن عبدالحكم - بحمام السوق.

أما بالنسبة للحمامات الخاصة: ويقصد بها حمامات البيوت:

فقد ذكرت سابقا عند الحديث على الدار المذهبة وهى الدار التى أمر ببنائها عبدالعزيز بن مروان انه كان بها حمامان.

ومن الدور أيضا التى امتازت بوجود حمام بها:

دار مسلمة بن مخلد:

يقول ابن عبدالحكم: «فلما ولى مسلمة بن مخلد سأله معاوية داره (دار الرمل وهى خطة مسلمة مع أبو رافع مولى رسول الله (ص) مع عقبة بن عامر) فأعطاه إياه، وخط له فى الفضاء داره ذات الحمام».

دار العُمُد:

يقول ابن عبد الحكم: «واختط أبو ذر الغفارى دار العُمُد ذات الحمام».

دار عبدالأعلى بن أبى عَمْرة:

وهو مولى لبنى شيبان، وكانت داره ذات حمام، يقال له حمام التبن.

دار السلسلة:

«قال عبدالملك بن مسلمة: أقطعها عبدالعزيز الفهرى مولى ابن رمانة حين قدم عليه، وبناها له يزيد بن رمانة، وهى الدار التى تعرف اليوم: بدار السلسلة».

أما بالنسبة للحمامات الخاصة بالسيدات:

فلم تذكر المصادر العربية منها ـ فى حدود علمى ـ سوى حمام سهل. وكان بعض الولاة يمنعون النساء من الخروج من بيوتهن، والتوجه إلى الحمامات، كما حدث فى ولاية أيوب بن شرحبيل (٩٩ ـ ١٠١هـ/٧١٧ ـ ٧١٩م) من قبل عمر بن عبدالعزيز، فقد منع النساء من دخول الحمامات. أيضا فى ولاية مزاحم بن خاقان من قبل المعتز (٢٥٣ ـ ٢٥٤هـ/٨٦٧ ـ ٨٦٨م) الذى منع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات.

مصانع الماء - الفسقيات - العيون - القناطر

أولا : بناء مصانع الماء:

المقصود بالمصانع حياض الماء، وهى أشبه بالأحواض التى تبنى فى الأرض لتخزين المياه وحفظها، ولجمع مياه المطر.

ومن البلاد التى بنيت بها المصانع وذكرتها المصادر:

الفسطاط:

وكان بها الكثير من المصانع منها:

المَصْنُعَة المعروفة بدكيلة (أو بدليلة كما يقول المقريزى): وكانت بحضرة العقبة التى يصار منها إلى يحصب.

المَصْنُعَة المعروفة بسمينة: وكانت فى وسط يحصب، وهى ذات عمد رخام.

المَصْنُعة ريا: وكانت بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة.

كما كان بالفسطاط مَصْنُعَة مقابلة للميدان من دار الامارة فى طريق المصلى القديم، ومَصْنُعَة تحت مسجد عمرو بن العاص المقابل لدار عبدالعزيز، ومَصْنُعَة مقابلة لمسجد التربة المجاورة للمسجد الأخضر.

تنيس:

ذكر ابن بسام أنه كان بتنيس - على أيامه - مصنعان عظيمان من مصانع المياه ينسبان إلى عمرو بن حفص، أحد من تولى أمرها، كذلك أشار إلى وجود مصنع فى وسط المدينة بناه عبدالعزيز الجروى، وكان يسع ثلاثة آلاف وستمائة جرة من الماء.

وكان أحمد بن طولون قد بنى بتنيس صهاريج لحفظ المياه، وذلك عندما دخلها عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م.

ثانيا : بناء الفسقيات:

فِسْقِّية المعافر :

وقد بناها يزيد بن حاتم فى أثناء ولايته على مصر من قبل أبى جعفر المنصور (١٤٤ - ١٥٢هـ/٧٦١ - ٧٦٩م) وأجرى إليها الماء من ساقية أبى عون، وذلك بعد شكوى قبيلة المعافر إليه من بُعد الماء عنهم.

وقد أنفق على بنائها «مالا عظيما». فقال له أبو جعفر المنصور: «لم انفقت مالى على قومك؟».

الفسقية المعروفة بزوف :

وهم بنو زوف بن زاهر بن عامر من مراد. وقد بناها أبو بكر محمد بن على الماذرائى فى سنتى ثلاث وأربع وثلاثمائة، على يد عمه الحسين بن أحمد ويعرف بأبى زُنبور. وقد اشتهرت بزوف لأنها فى خطتهم.

ثالثا : بناء العيون :

العين التى بالمعافر :

بناها أحمد بن طولون. وقد تولى بناءها المهندس النصرانى الذى بنى جامع أحمد بن طولون بعد ذلك، وهو سعيد بن كاتب الفرغانى. ويقال إنه عندما انتهى من بنائها، ركب أحمد بن طولون ليراها، فاستحسن جميع ما شاهده فيها، إلا أن قدم فرسه غاصت فى موضع، لرطوبة الجير، فوقع أحمد ابن طولون، وتصور أن النصرانى أراد به سوءا، فأمر بضربه خمسمائة سوط، ثم وُضع بالسجن، واستمر به حتى عرض على أحمد بن طولون بناء الجامع بلا عمد إلا عمودى القبلة. كما ذكرت عند الكلام على جامع ابن طولون.

ويذكر البلوى أنه أنفق على العين التى بالمعافر مائة ألف وأربعون ألف دينار.

وقد كانت هذه العين مفتوحة طول النهار - كما يقول البلوى - لمن كشف وجهه للأخذ منها، ولمن كان له غلام أو جارية، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات، فهى لهم حياة ومعونة، واتخذ لها المستغل الذى فيه فضل عن الكفاية. وقد حاول الماذرائيون تقليدها وعمل مثلها، فانفقوا الأموال الضخمة فى ذلك لكنهم فشلوا.

رابعا : بناء القناطر :

قنطرة عبدالعزيز بن مروان :

كانت فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى. وقد بناها عبدالعزيز بن مروان بن الحكم فى سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، وابتنى قناطر عليها. وقد كتب عليها: «هذه القنطرة أمر بها عبدالعزيز بن مروان الأمير، اللهم بارك له فى أمره كله، وثبت سلطانه على ما ترضى، وأقر عينه فى نفسه وحشمه. آمين. وقام ببنائها سعد أبو عثمان، وكتب عبدالرحمن فى صفر سنة تسع وستين».

ثم زاد فيها تكين أمير مصر فى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م ورفع سمكها، ثم زاد عليها الاخشيد فى سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، وموضعها الان - كما يقول المقريزى - خلف خط السبع سقايات.

قناطر أحمد بن طولون :

قال القضاعى: قناطر أحمد بن طولون بظاهر المعافر. وكان السبب فى بناء هذه القناطر أن أحمد بن طولون ركب فمر بمسجد الأقدام وحده، وتقدم عسكره، وقد كدّه العطش، وكان فى المسجد خياط. فقال: ياخياط أعندك ماء؟ فقال: نعم. فأخرج له كوزا فيه ماء، وقال: اشرب ولا تمد! يعنى لا تشرب كثيرا. فتبسم أحمد بن طولون، وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره، ثم ناوله

إياه، وقال: يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد! فقال: نعم أعزك الله، موضعنا ها هنا منقطع، وإنما أخيط جمعتى حتى أجمع ثمن راوية. فقال له: والماء عندكم ها هنا معوز. فقال: نعم. فمضى أحمد بن طولون فلما وصل داره. قال: جيئونى بخياط فى مسجد الأقدام، فجاءوا به. فلما رآه قال: سر مع المهندسين حتى يخطّوا عندك موضع سقاية، ويجروا الماء، وهذه ألف دينار خذها. وابتدأ فى الانفاق، وأجرى على الخياط فى كل شهر عشرة دنانير، وقال له: بشرنى ساعة يجرى الماء فيها. فجدوا فى العمل، فلما جرى الماء أتاه مبشرا، فخلع عليه وحمله، واشترى له دارا يسكنها، وأجرى عليه الرزق السنى الدار. وكان قد أشير عليه بأن يجرى الماء من عين أبى خليد المعروفة بالنعش. فقال: هذه العين لا تعرف أبدا إلا بأبى خليد، وانى أريد أن استنبط بئرا. فبنى عينه التى بالمعافر، وبنى عليها القناطر.

ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية - كما يقول المقريزى - بلغه أن قوما لا يستحلون شرب مائها، فدعا إليه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم الفقيه الذى يقول: «كنت ليلة فى دارى اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون، فقال لى: الأمير يدعوك. فركبت مذكورا مرعوبا، فعدل بى عن الطريق.

فقلت: أين تذهب بى؟ فقال: إلى الصحراء، والأمير فيها. فأيقنت بالهلاك، وقلت للخادم: الله الله فىّ، فانى شيخ كبير ضعيف مسن، فتدرى ما يراد منى، فارحمنى. فقال لى: احذر أن يكون لك فى السقاية قول! وسرت معه، وإذا بالمشاعل فى الصحراء، وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية، وبين يديه الشمع. فنزلت وسلمت عليه، فلم يرد علىّ. فقلت: أيها الأمير إن الرسول أعنتنى وكدنى، وقد عطشت فيأذن لى الأمير فى الشرب! فأراد الغلمان أن يسقونى. فقلت: انا آخذ لنفسى. فاستقيت وهو يرانى، وشربت، وازددت فى الشرب حتى كدت انشق، ثم قلت: أيها الأمير سقاك الله من أنهار الجنة، فلقد أرويت وأغنيت ولا أدرى ما أصف: أطيب الماء فى حلاوته وبرده؟ أم صفاته أم طيب ريح السقاية؟ قال: فنظر إلىّ وقال: أريدك لأمر، وليس هذا

وقته، فأصرفوه! فصرفت. فقال لى الخادم: أصبت. فقلت:: أحسن الله جزاءك، فلولاك لهلكت!

ويذكر المقريزى أن «مبلغ النفقة على هذه العين ومستغلها أربعين الف دينار». ويبدو أن المقصود بالعين هذه القناطر، خاصة وأننى ذكرت سابقا عن البلوى انه أنفق على العين مبلغ مائة الف وأربعين ألف دينار. فهل المائة ألف وأربعون ألف دينار - التى ذكرها البلوى - هى مجموع الانفاق على العين والقناطر؟ أم كل له مصروفه؟

الفصل الثانى

العمائر الدينية

- . الجوامع والمساجد
- . الكنائس.
- .المصليات.
- .الرباطات.

الفصل الثانى
العمائر الدينية

تمشيا مع السياسة الدينية للدولة الحاكمة، كان بناء أى عاصمة يقتضى بناء جامع أو مسجد لها، فانتشرت الجوامع والمساجد فى مصر تبعا لديانة العرب المسيطرين على الحكم وهى الديانة الاسلامية، وفى المقابل تعرضت الكنائس التى بنيت فى العهود السابقة للهدم، غير أننا نرى أن عملية هدم الكنائس أو بنائها كانت ترجع إلى سياسة كل من الوالى أو الخليفة، ولم تكن تبعا لعرف سائد.

وسنتناول فى الصفحات القادمة أهم الجوامع والمساجد التى بنيت، وفى الوقت نفسه القرارات التى اتخذت بشأن بناء أو هدم الكنائس، ثم آراء الفقهاء فى ذلك.

ولكن قبل الخوض فى موضوع بناء الجوامع والمساجد، يجدر بنا أولا أن نبين الفرق بين الجامع والمسجد فى ذلك العصر.

فالجامع ـ كما تقول المصادر العربية ـ هو الذى يقام فيه صلاة الجمعة، وذلك بعكس المسجد. يقول المقريزى : إن صلاة الجمعة كانت تقام فى جامع عمرو بن العاص، إلى أن بنُى جامع العسكر بالعسكر، فصارت الجمعة تقام فى جامع عمرو بن العاص وجامع العسكر، واستمر ذلك الوضع حتى بنى جامع احمد بن طولون، فصارت الجمعة تقام فى جامع عمرو وفى جامع ابن طولون، وتلاشى أمر جامع العسكر إلى أن قامت الدولة الطولونية.

ثم يقول فى موضع آخر : «لما افتتح عمر البلدان، كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فاذا كان يوم الجمعة، انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك.» كما يقول فى موضع آخر نقلا عن القضاعى : « ولم تكن الجمعة تقام فى زمن عمرو بن العاص بشئ من أرض مصر إلا فى هذا

الجامع، قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس : جاء نفر من غافق (١) إلى عمروبن العاص فقالوا : إنا نكون في الريف، أفنجمع في العيدين الفطر والأضحى ويؤمنا رجل منا ؟ قال : نعم.

قالوا : فالجمعة؟ قال : لا، ولا يصلي الجمعة بالناس إلا من أقام الحدود، وأخذ بالذنوب، وأعطى الحقوق».

وسنتناول الآن أهم الجوامع والمساجد بمصر:

أولا : الجوامع

١ ـ جامع عمرو بن العاص ـ المسجد الجامع ـ الجامع العتيق:

وهو أول جامع بني في مصر تحت الحكم العربي، وقد شرع عمرو بن العاص في بنائه بعدما فرغ من بناء مدينة الفسطاط، وكان ذلك في سنة ٢١هـ/ ٦٤١م.

ويذكر ابن دقماق أن مكان الجامع كان جنانا ملك قيسبة بن كلثوم التجيبي، ويكنى أبا عبد الرحمن، أحد بني سُوم، وأن عمرو بن العاص قد طلب منه أن يجعله مسجدا، فوافق قيسبة وتصدق به على المسلمين.

تذكر المصادر العربية أن عمرو بن العاص عندما وضع قبلة هذا الجامع، كان واقفا عليه نحو ثمانين رجلا من الصحابة، منهم : الزبير بن العوام، والمقداد بن الاسود، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وأبو بَصْرَة الغفاري ومحمية بن جزء الزبيدي، ونبيه بن صواب وغيرهم.

وعندما بنى عمرو بن العاص الجامع اتخذ فيه منبرا، وهو أول من اتخذ المنبر، فكتب إليه عمر بن الخطاب يقول : أما بعد، فانه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين، أمَا بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك؟ فعزمت عليك لما كسرته! فكسره عمرو.

---

(١) في الاصل : (بحافق)، وليس لها معنى في القاموس اللغوي، كما أنه لايوجد قبيلة دخلت مصر باسم بحافق، وإنما توجد قبيلة باسم غافق، ولذلك اوردناها بالمتن.

وعن وصف جامع عمرو بن العاص عندما بنى يقول المقريزى : «قال أبو سعيد الحميرى : أدركت مسجد عمرو بن العاص، طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا، وجعل الطريق يطيف به من كل جهه، وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص(فى شرقيه) وجعل له بابان فى بحريه وبابان في غربيه، وكان الخارج اذا خرج إلى زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقى محاذيا لركن دار عمرو بن العاص الغربى، وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ، وكان طوله من القبلة إلى البحرى مثل طول دار عمرو بن العاص، وكان سقفه مطأطأ جدا، ولا صحن له، فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية، وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع.» وكان سقفه من جريد، وأعمدته من جذوع النخل.

الزيادات فى جامع عمرو بن العاص:

زيادة مسلمة بن مخلد :

وأول من زاد فى جامع عمرو بن العاص مسلمة بن مخلد سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية. وكان سبب الزيادة أن الأهالى شكو اليه ضيق المسجد، فكتب إلى معاوية فى ذلك، فأرسل اليه يامره بالزيادة فيه، فزاد فيه من الجهة الشرقية مما يلى دار عمرو بن العاص، كما زاد فيه من الجهة البحرية، وجعل له رحبة فى الجهة البحرية منه، وبيّضه وزخرف جدرانه وسقوفه.

وقد أمر ببناء منار المسجد الذى بالفسطاط وهو أول من أحدث المنار بالمساجد. وقيل إن معاوية أمره ببناء الصوامع(٢) للأذان، فجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الأربعة وهو أول من جعلها فيه.

---

(٢) عرف المسلمون المكان الذى يلقي منه الاذان باسم المنارة أو الصومعة أو المئذنة. وكلمة منارة تعنى مئذنة مهما كان شكلها، اما الصومعة فتتفق والمنارة فى نفس هذا المعنى، ولكنها مئذنة يغلب عليها الشكل المربع، ولا تختلفان إلا فى درجة الارتفاع، وفى أن الصومعة يمكن أن تطلق على مئذنة المسجد كما يمكن أن تطلق على برج الكنيسة. اما اسم مئذنة فقد اطلق على برج المسجد فى وقت متأخر عندما أخذ شكل الصومعة الأولى فى التطور إلى الشكل المألوف للمئذنة.

كما فرشه بالحصر وهو أول من فعل ذلك أيضا، وكان قبل ذلك مفروشا بالحصباء.

زيادة عبد العزيز بن مروان :

وفى أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م)من قبل أخيه عبد الملك، زاد فى المسجد الجامع سنة ٧٩هـ/ ٦٩٨م من ناحيته الغربية، وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى جهته البحرية، ولم يجد فى جهته الشرقية موضعا يوسعه به، وذكر الكندى : أنه زاد فيه من جوانبه كلها، وأن ذلك كان فى سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م.

زيادة عبد الله بن عبد الملك:

وفى ولاية عبد الله بن عبد الملك من قبل أخيه الوليد، أمر برفع سقف المسجد الجامع، وكان مطأطأ وذلك فى سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م.

زيادة قرة بن شريك :

وقد ولى مصر من قبل الوليد بن عبد الملك فى سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، فلم يزل بها إلى أن مات فى سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وقد هدم المسجد فى مستهل سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م بأمر الوليد بن عبد الملك، وابتدأ فى بنائه فى شعبان من السنة المذكورة، وقد جعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى، فكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك فى شهر رمضان سنة ٩٣هـ/ ٧١١م.

وزيادة قرة كانت فى الجهة القبلية وفى الجهة الشرقية، فقد أخذ دار عمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو، فأدخله فى المسجد، وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما، وعوضهما بما هو فى أيديهم اليوم من الرباع التى فى زقاق مليح فى النحاسين والعداسين وغير ذلك.

وصار للجامع أربعة أبواب فى الجهة الشرقية آخرها باب إسرائيل وهو باب النحاسيين، وأربعة أبواب فى الجهة الغربية شارعة فى زقاق كان يعرف بزقاق البلاط، وثلاثة أبواب فى الجهة البحرية.

كما أنه نصب المنبر الجديد في سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، ونزع المنبر الذي كان في المسجد، وذكر أن عمرو بن العاص كان قد جعله فيه، فلعله بعد وفاة عمر بن الخطاب، وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان، وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر، وقيل إن زكريا بن مرقني (أو برقني) ملك النوبة أهداه إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وبعث معه نجاره حتى ركبه، واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة، فلم يزل هذا المنبر في المسجد حتى زاد فيه قرة ابن شريك، فنصب منبره الجديد كما ذكرت سابقا. ولم يكن يخطب في القرى إلا على العصى، إلى أن ولى عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي مصر من قبل مروان بن محمد، فأمر باتخاذ المنابر في القرى وذلك في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، وذكر أنه لايعرف منبرا أقدم من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م أمر المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بتقصير المنابر، فجُعلت على مقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أعيدت بعد ذلك.

وأمر قرة أيضا بعمل المحراب بعمل المجوف (٣)، وقيل إنه لم يكن للمسجد الذي بناه عمرو بن العاص محراب مجوف، فقد كان قرة بن شريك هو أول من جعل المحراب المجوف، وكان أول من أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ عامل الوليد بن عبد الملك.

كما أحدث فيه المقصورة، ويقول ابن دقماق :وأول ما علمت المقاصير بالجامع بمصر في زمن معاوية (٤٠ ـ ٦٠هـ / ٦٦٠ ـ ٦٧٩م)، ولعل قرة بن شريك لما بنى الجامع بمصر عمل المقصورة، وفي سنة ١٦١هـ / ٧٧٧م أمر المهدي بنزع المقاصير من مساجد الأمصار.

وعندما تولى موسى بن أبي العباس مصر من قبل أشناس (٢١٩ ـ ٢٢٤هـ/ ٨٣٤ ـ ٨٣٨م) أخرج المؤذنين خارج المقصورة، وهو أول من أخرجهم، وكانوا قبل ذلك يؤذنون بين يدي الامام يوم الجمعة من داخل المقصورة.

---

(٣) المحراب هو عادة ما يتوسط جدار القبلة، ويشير إلى اتجاه القبلة جهة الكعبة المشرفة، وقد تميز بتجويفه في جدار القبلة.

زيادة صالح بن على بن عبد الله بن عباس :

ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبى العباس السفاح - أربعة أساطين . ويقال إنه أدخل فى الجامع دار الزبير بن العوام وكانت غربى دار النحاس، وكان الزبير قد تخلى عنها ووهبها لمواليه، فأدخلها فى المسجد، وقد أدت هذه الزيادة إلى فتح باب خامس من الجهة الشرقية للجامع عرف باسم باب الكحل. كما عمر صالح ابن على أيضا مقدم المسجد الجامع عند الباب الأول موضع البلاطة الحمرا.

زيادة موسى بن عيسى الهاشمى :

ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمى عندما تولى مصر سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م من قبل الرشيد، فقد زاد فى المسجد الجامع الرحبة التى فى المؤخرة من حدّ شباك النحاسين إلى نهاية ثلاثة ابواب من الأبواب الشارعة من الشارع إلى هذه الزيادة وهى نصف الرحبة المعروفة برحبة أبى أيوب، ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى بن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهرى ووسع بها الطريق.

زيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين :

وقد تولى مصر من قبل المأمون سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م، وقد أمر بالزيادة فى المسجد الجامع فى نهاية عام٢١٢هـ/ ٨٢٧م، فزيد فيه من الجهة الغربية، وكانت زيادة ابن طاهر المحراب الكبير، وما فى الجهة الغربية إلى حد زيادة الخازن، فأدخل فيه الزقاق المعروف بزقاق البلاط، وقطعة كبيرة من دار الرمل، ورحبة كانت بين يدى دار الرمل ودور أخرى. وبهذه الزيادة أصبح مساحة طول الجامع ١٩٠ذراعا بذراع العمل، وعرضة ١٥٠ذراعا. كما نصب فيه اللوح الأخضر وهو أول من نصبه، فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح، فوضع أحمد بن محمد العجيفى لوحا أخضر بدلا منه فى نفس المكان، وذلك فى ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون.

زيادة أبى أيوب، احمد بن محمد بن شجاع :

وهو أحد عمال الخراج زمن أحمد بن طولون، وكانت زيادته فى بقية الرحبة المعروفة برحبة أبى أيوب والمحراب المنسوب اليه هو الغربى من هذه الزيادة عند شباك الحذائين، وكان بناؤها فى سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. وقد ادخل أبو أيوب فى هذه الزيادة بعض دار خارجة بن حذافة، وبعض دار أبان بنت الحارث بن مسكين. ويذكر ابن دقماق أن هذه الزيادة كانت بسبب حريق وقع فى مؤخر المسجد الجامع «فعمر وزيدت هذه الزيادة فى أيام أحمد بن طولون».

زيادة خمارويه بن احمد بن طولون :

وكان قد وقع حريق فى الجامع فى صفر سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، أخذ من بعد ثلاث حنايا من باب إسرائيل إلى رحبة الحارث بن مسكين، فهلك فيه أكثر زيادة عبد الله بن طاهر، والرواق الذى عليه اللوح الأخضر، فأمر خمارويه بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفى، فأعيد على ما كان، وكتب اسم خمارويه فى دائرة الرواق الذى عليه اللوح الأخضر، وكانت عمارته فى السنة المذكورة، وقد أنفق فى اصلاحه ستة آلاف وأربعمائة دينار.

زيادة أبى حفص عمر بن الحسن القاضى العباسى :

وكانت ولايته للقضاء فى سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، وكان إمام مصر والحرمين، واليه إمامة الحج، وقد ظل قاضيا بمصر خلافة عن أخيه إلى أن صرف الخصيبى وذلك فى ذى الحجة سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م، وقد زاد الغرفة التى يؤذن فيها المؤذنون فى السطح.

زيادة أبى بكر محمد بن عبد الله الخازن :

ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب، وهو الرواق ذو المحراب، والشباكين المتصل برحبة الحارث، ومقداره تسعة أذرع، وكان قد بدأ فى بنائه سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م، وتم الانتهاء منه سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م على يد ابنه على بن محمد.

٢ ـ جامع العسكر :

وهذا الجامع كان يقع بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مصر، وكان إلى جانب شرطة العسكر التى كان يقال لها الشرطة العليا، كما كان إلى جانب دار امارة العسكر، وكان يصل هذه الدار بالجامع باب. وكان يجمع فيه الجمعة، وفيه منبر ومقصورة. وقد بناه الفضل بن صالح بن على ابن عبد الله بن عباس فى ولايته على مصر عام (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) من قبل المهدى. وقد زاد فى عمارته عبد الله بن طاهر فى أثناء ولايته على مصر من قبل المأمون عام ٢١١هـ/ ٨٢٦ م. وقد ظل هذا الجامع يقام فيه شعائر الجمعة حتى بنى جامع أحمد بن طولون، كما استمر وجود هذا الجامع إلى ما بعد الخمسمائة من سنى الهجرة.

٣ ـ جامع أحمد بن طولون :

كان سبب بنائه أن أهل مصر شكوا إلى أحمد بن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه، فأمر ببناء هذا الجامع بجبل يشكر وهو يشكر بن جزيلة من لخم وكان يشكر، المنسوب اليه هذا الجبل، رجلا صالحا، وكان الصالحون يصلون على القطعة البارزة منه، الخالية من البناء، التى فى الحدّ القبلى منه، والمجاورة للباب، ويقال إن فى هذه البقعة قبر هارون عليه السلام، كما كان يقال إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات. لذلك فعندما أراد أحمد بن طولون بناء هذا الجامع أشار عليه جماعة من الصالحين بأن يبنيه على هذا الجبل، وذكروا له فضائله، فقبله منهم وبناه، وأدخل بيت يشكر العبد الصالح فيه.

وقد اختلف المؤرخين فى تاريخ بناء هذا الجامع فيذكر الكندى أنه بدأ فى بنائه سنه٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م وانتهى بناؤه سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩ م، أما ابن دقماق فيقول إنه بدأ فى بنائه سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢ م، ويذكر المقريزى أنه بدأ فى بنائه سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وفرغ منه سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م. وترى الدكتورة سيدة كاشف أن السنين التى ذكرها المؤرخون متقاربة، ولكنها تؤكد أن أحمد بن طولون لم يبدأ فى منشآته العامة ومشاريعه العمرانية، إلا بعد أن

أصبحت مصر كلها تحت سلطانه. ومع ذلك فان الصواب ـ كما يقول الدكتور زكى محمد حسن ـ أن الفراغ من بناء هذا الجامع كان فى سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م، وهذا التاريخ وارد فى الكتابة التاريخية التى وجدت فى الجامع منقوشة بالخط الكوفى على لوح من الرخام.

وقد طلب أحمد بن طولون أن يبنى هذا البناء إن احترقت مصر بقى، وإن غرقت بقى ـ كما تقول المصادر العربية ـ فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لا صبر لها على النار، فبناه هذا البناء.

ويعتقد بعض علماء الآثار أن سبب ذلك أن المهندس عراقى الأصل، وأن اللبن(الطوب النيئ) والآجر خاصة من خواص العمارة فى العراق لقلة الحجارة. وعلى أية حال فان اللبن والآجر كانا معروفين فى العمارة منذ عهد الفراعنة.

وتذكر المصادر العربية أنه عندما أراد بناء الجامع قدر له ثلاثمائة عمود، فقيل له ماتجدها، أو تنفذ إلى الكنائس فى الأرياف والضياع الخراب، فتحمل منها، فانكر ذلك. وبلغ ذلك (سعيد بن كاتب الفرغانى) المهندس النصرانى الذى تولى بناء العين له وكان بالسجن، فكتب إليه يقول : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد، إلا عمودى القبلة. وعندما حضر بين يديه، قال له : أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمودى القبلة، فأمر بأن تحضر له الجلود، فأحضرت، فصوره له، فأعجبه، وأطلق له للنفقة عليه مائة الف دينار وقال له : أنفق، وما احتجت اليه بعد ذلك أطلقناه لك. فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى فيه وهو جبل يشكر، فكان ينشر منه، ويعمل الجير، ويبنى، إلى أن فرغ من بنائه، فبيّضه، وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال، وفرش فيه الحصر، وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء.

وتذكر المصادر العربية أن هذا الجامع كان من المال الذى عثر عليه أحمد بن طولون فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون. وقد قدّرت نفقات بنائه ـ كما يذكر البلوى ـ بمائة وعشرين ألف دينار.

ويتكون جامع أحمد بن طولون من صحن مربع مكشوف طول كل ضلع فيه نحو اثنين وتسعين مترا، أى أن مساحته تبلغ نحو ٨٤٨٧ مترا مربعا،وتحيط به أروقة من جوانبه الأربعة، وتقع القبلة فى أكبر هذه الأروقة. وبين جدران الجامع وسوره الخارجي ثلاثة أروقة خارجية تسمى الزيادات، وقد أمر أحمد بن طولون ببنائها عندما ضاق المسجد بالمصلين.

وقد بناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة، كما عمل به منطقة بها عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية. ويقول ابن اياس : إنه علق بهذا الجامع عشرة آلاف قنديل من الزجاج المذهب، وكان فى صحنه قبة، على عشرة عمد من رخام أبيض، وهى مفروشة بالرخام الملون، كما كان على صحنه شبكة من جميع جوانبه لأجل العصافير. وكان تحت القبة التى فى الصحن قصعة رخام فَسْحَتها أربعة أذرع، فى وسطها فوارة تفور بالماء ليلا ونهارا برسم الضوء. كما عمل فى مؤخرة الجامع ميضأة [٤] وخزانة شراب فيها جميع الأشربة والأدوية، وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للمصلين.

ويذكر ابن دقماق أن المقصورة التى به، والتى تعرف بمقصورة فاطمة الزهراء، سميت بذلك لأن رجلا ـ على حسب قوله ـ رأى فى المنام كأن فاطمة الزهراء رضى الله عنها تصلى فى مكان من هذا الجامع، فأصبح، فاخبر الناس بذلك، فصلوا فيه، وعملوا عليه مقصورة عرفت بمقصورة فاطمة الزهراء.

---

(٤) الميضأة : من العناصر الضرورية للطهارة فى أداء شعائر الصلاة بالمنشآت الدينية. وللفقهاء آراء عديدة بشأنها من اهمها انه يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضئة منها. وكانت الميضأة تبنى خارج المسجد، وكان يراعى فى وضع بنائها أن تكون خاضعة لظاهره الرياح حسب الموقع الجغرافى، حتى لا يتأذى الناس داخل المساجد منها.

وتذكر المصادر العربية أنه عندما فرغ من بنائه، لم يصل فيه أحد من الناس، وقالوا : هذا بُنى من مال حرام، ولايجوز فيه الصلاة! فلما بلغ الأمير أحمد بن طولون ذلك، جمعهم فى يوم جمعة وطلع المنبر، فخطب خطبة أقسم فيها بالله العظيم أنه مابنى هذا الجامع من ماله، وانما بناه من كنز ظفربه عند الأهرام، فلما سمع الناس ذلك اجتمع خلق كثير، وصلوا الجمعة فيه. كما قيل إنه عندما بنى عاب بعض الناس على قبلته، وقالوا إنها ضيقة، خاصة وأنها مخالفة للمحاريب المجاورة لها! وقال آخر : مافيه عمود! وقال آخر : ليست له ميضأه! فاجتمع أحمد بن طولون بهم وخطب يقول : إنه عندما شرع فى عمارتها، اختلف المهندسون فى تحريرها، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام تلك الليلة وهو يقول : «ياأحمد، ابن قبلة الجامع على هذا الوضع، وخط فى الأرض صورة ما يعمل». فلما كان الفجر صليت، ومضيت مسرعا إلى الموضع الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بوضع القبلة فيه، فوجدت القبلة مصورة، وأن النمل قد طاف على ذلك الخط، فوضعت أساس المحراب عليه، لذلك فهو يسمى محراب النمل! وأما العمد والسوارى، فالسوارى لاتكون إلا من مسجد خراب أو كنيسة، وأنا بنيته من حلال من كنز وجدته، فكرهت أن أدخل فيه شائبة. أما عدم وجود الميضأه به فقد أردت تنزيهه عن النجاسة فطهرته منها، وسأبنيها خلفه، فبناها عند دار الفيل.

ويقول ابن دقماق : إنهم عندما خرجوا من عنده، أشاعوا ذلك، فعظُم شأن الجامع، وضاق على المصلين حتى زاد فيه أحمد بن طولون.

٤ ـ جامع الجيزة :

وقد بناه محمد بن عبد الله الخازن فى المحرم سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م بأمر الأمير على بن عبد الله بن الاخشيد، فتقدم كافور إلى الخازن ببنائه ـ وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد همدان ـ وقد أشرف على بناء هذا الجامع، مع أبى بكر الخازن، أبو الحسن بن أبى جعفر الطحاوى، ويقال : إنهم احتاجوا إلى عمد للجامع فمضى «الخازن» فى الليل إلى

كنيسة بأعمال الجيزة، فقلع عمدها، ونصب بدلها أركانا، وحمل العمد إلى الجامع، مما دفع أبا الحسن بن الطحاوى إلى ترك الصلاة فيه بسبب ذلك.

٥ ـ جامع الفيوم :

بناه قرة بن شريك عندما تولى مصر عام (٩٠ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٨ ـ ٧١٤م) من قبل الوليد بن عبد الملك.

ثانيا : المساجد

وهى التى بنتها القبائل العربية أو الأشخاص، ولا تقام بها صلاة الجمعة.

وسنتناول فى الصفحات القادمة أسماء المساجد التى بنيت فى الفترة التى يتناولها البحث.

مسجد الرحمة :[٥]

بالاسكندرية، وقد بناه عمرو بن العاص بعد هزيمته للروم فى الاسكندرية عندما نقضت الاسكندرية، فعندما أمر برفع السيف عنهم، بنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجدا. وقد عرف بمسجد الرحمة، وذلك لرفع عمرو السيف هناك.

مسجد عبد الله :

بالفسطاط، وقد بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى أثناء ولايته على مصر(٨٦ ـ ٩٠هـ/ ٧٠٥ ـ ٧٠٨م).

ومن المساجد التى بنيت بالفسطاط وذكرها ابن عبد الحكم :

مسجد القرون، **مسجد بنى عَوْف** وهم من قبيلة بلى، **مسجد العيثم** وقد بناه الحكم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان. **مسجد مهرة**. **مسجد حاء** وكان عند دار اسحق بن متوكل وهو ذو منارة.

---

(٥) ولعل مكانه الآن بحديقة الشلالات مكان ضريح سيدى عمرو بن يحيى .

مسجد العُتَقَاء. مسجد فَهْم. مسجد حُذْران وحذران بطن من غافق. مسجد أحْدُب. مسجد الزمام. مسجد ابو موسى الغافقى وكان فى زقاق حَمْد.

مسجد سيبان وسيبان من مهرة وهو المسجد ذو القبة الذى عند دار خالد بن عبد السلام الصدفى. مسجد الزنج. مسجد بادى. مسجد ابراهيم القراط. مسجد الزينة.

مسجد تجيب وخولان :

يقول ابن دقماق :

إنه فى ولاية موسى بن مخلد أمر ببناء المنار فى جميع المساجد، كان ذلك ما عدا مسجدين وهما : مسجد تجيب وخولان.

مسجد القلعة :

يقول ابن عبد الحكم عن سعيد بن عفير : إنه فى خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤م) أرسل اليه عماله : «أن بيوت الأموال قد ضاقت من مال الخمس، فكتب اليهم أن ابنوا المساجد. فأول مسجد بنى بفسطاط مصر، المسجد الذى فى أصل حصن الروم عند باب الريحان، قُبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس، يعرف بمسجد القلعة».

مسجد الأقدام :

يقول المقريزى : هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر، قال القضاعى : ذكر الكندى أن الجند بنوه وليس من الخطط.. وسمى بالأقدام لأن مروان بن الحكم لما دخل مصر، وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلاً من المغافر سوى غيرهم، وقالوا : لا ننكث بيعة ابن الزبير، فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر بالمغافر فى هذا الموضع. فسمى المسجد بهم لانه بنى على آثارهم، والآثار الأقدام، يقال جئت على قدم فلان، أى على أثره. وقيل بل أمرهم بالبراءة من على بن أبى طالب فلم يتبرؤوا منه فقتلهم هناك. وقيل إنما سمى مسجد الاقدام لأن قبيلتين اختلفتا فيه، كل تدعى أنه من خطتها، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام، وجعل لأقربهما منه!

والقديم من هذا المسجد هو محرابه والأروقة المحيطة به، وأما خارجه فزيادة الاخشيد، والزيادة الجديدة التى فى جهته البحرية تمت فى فترة متأخرة عن بحثنا.

جامع محمود بالقرافة :

وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السرى بن الحكم، فهو الذى بنى هذا المسجد. وذلك ـ كما يقول المقريزى ـ أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه، فالتفت عن يمينه، فرأى محمودا فأمر بضرب عنق الرجل ففعل، فلما رجع محمود إلى منزله تفكر وندم، وقال : رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدى، وأنا طائع غيره مكره على ذلك فهلا امتنعت. وكثر أسفه وبكاؤه، وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية، ولا يعود فيها، ولم ينم ليلته من الغم والندم، فلما أصبح غدا إلى السرى، فقال له : إنى لم أنم فى هذه الليلة على قتل الرجل، وأنا اشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود إلى الجندية، فأسقط اسمى منهم، وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود، وأقام فيه.

مسجد القبة :

وهو مسجد بَنى عبد الله بن مانع بن مورع، وكان موضعه عند فتح مصر بخطة المغافر.

مسجد الفارسيين بالجيزة.

مسجد التنور :

هذا المسجد فى أعلى جبل المقطم، بناه أحمد بن طولون فى صفر سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م وبنى فيه المنارة كما جعل فيه صهريجا فيه الماء، وجعل الانفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التى بالمغافر. وقد هدم هذا المسجد على يد قائد من قواد أحمد بن طولون يدعى وصيف قاطر ميز، وحفر تحته، متصورا أن تحته مالا فلم يجد فيه شيئا.

مسجد فائق :

مولى خمارويه بن أحمد بن طولون، كان فى سفح جبل المقطم، مما يلى طريق مسجد موسى، عليه السلام.

مسجد موسى : بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات فى سفح جبل المقطم.

مسجد الفقاعى : هو أبو الحسن علي بن عبد الله، وهو مسجد كبير بناه كافور الاخشيدى، وكان في وسط هذا المسجد محراب مبنى بطوب يقال إنه من بناء حاطب بن أبى بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، ويقال إنه أول محراب اختط فى مصر.

من المساجد أيضا **مسجد الريح، ومسجد الزمام، ومسجد ابن عمروس.**

المصليات

وكانت تبنى المصليات لتقام بها صلاة العيد. يقول المقريزى : وفى هذه المصلى مشهد الأعياد. ويؤم الناس ويخطب بها فى يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص.

وعندما فتح العرب مصر كان مصلى العيد، وهو مصلى عمرو بن العاص، مقابل اليحموم، وهو الجبل المطل على القاهرة، فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، أمر بتحويله فحوّل إلى موضعه المعروف بالمصلى القديم عند درب السباع، ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، ثم بناه أحمد بن طولون فى عام ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.

وفى امارة عنبسة بن اسحاق على مصر فى أيام المتوكل (٢٣٨ ـ ٢٤٢هـ/ ٨٥٢ ـ ٨٥٦م) ضاق المصلى القديم وهو مصلى عمرو بن العاص ـ بالناس، فأمر عنبسة بابتناء المصلى الجديد، فابتدئ فى بنائه فى العَشْر الأخير من شهر رمضان عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، وصلى فيه صلاة عيد الاضحى من هذه السنة، وهو المصلى الذى بالصحراء عند الجارودى، ثم جدده الحاكم وزاد فيه، وجعل له قبة وذلك عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.

وقد عرف المصلى الجديد بمصلى خولان، وهم من قبائل اليمن، وقد شهدوا فتح مصر.

تعرضنا فى الصفحات السابقة لأهم الجوامع والمساجد التى بنيت فى مصر كنتيجة طبيعية لانتشار الدين الاسلامى دين الدولة الحاكمة، وفى المقابل سنتناول سياسة الدولة الحاكمة بشأن بناء أو هدم الكنائس التابعة لديانة أهل البلد الأصليين وهم الاقباط وآراء الفقهاء فى مثل هذه القرارات.

بناء الكنائس فى مصر

تذكر المصادر العربية أن أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر، كانت هى الكنيسة التى خلف القنطرة وذلك فى ولاية مسلمة بن مخلد مصر (٤٧ ـ ٦٢هـ/ ٦٦٧ ـ ٦٨١م) من قبل الخليفة معاوية. ويذكر ابن عبد الحكم أن الجند أنكروا ذلك على مسلمة، وقالوا له : «أتُقر لهم أن يبنوا الكنائس؟ حتى كاد أن يقع بينهم وبينه شر، فاحتج عليهم مسلمة يومئذ فقال : إنها ليست فى قيروانكم، وانما هى خارجة فى أرضهم، فسكتوا عند ذلك».

وفى ولاية الوليد بن رفاعة (١٠٩ ـ ١١٧هـ/ ٧٢٧ ـ ٧٣٥م) من قبل هشام بن عبد الملك، أذن للنصارى عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م فى بناء «كنيسة يومنا» أو «أبو مينا» ـ كما يقول الكندى ـ بالحمراء، وتعرف الحمراء اليوم ـ كما يقول المقريزى ـ بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر. وقد كان السماح ببناء هذه الكنيسة سببا فى قيام ثورة يتزعمها «وهيب اليحصبى» ضد الوالى الوليد بن رفاعة، أدت إلى مقتل وهيب اليحصبى. ثم هدأت الثورة بعد ذلك.

وفى ولاية موسى بن عيسى الأولى(١٧١ ـ ١٧٢هـ/ ٧٨٧ ـ ٧٨٨م) من قبل الخليفة هارون الرشيد أذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى قد هدمها الوالى على بن سليمان، وتذكر المصادر العربية أن بناء هذه الكنائس كانت بعد مشورة الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة اللذين اعتبرا هذه الكنائس

«هى عمارة البلاد»، وقد احتجا بأن الكنائس التى بمصر لم تُبنَ إلا فى الاسلام فى زمان الصحابة والتابعين. ويعلق أبو المحاسن على ذلك بقوله «وهذا كلام يتأول»، كما أنه يعتبر تصرف موسى بن عيسى بشأن هذه الكنائس من الأمور الغير معقولة.

ويذكرساويرس أنه فى أثناء خلافة المعتز(٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ ـ٨٦٨م) ذهب وفد من الأقباط اليه، ليسألوه «فى أمر البيَع، وشرحوا له ما فعله ابن المدبر وما جرى منه». فكتب لهم سجلا يتضمن موافقته، والسماح لهم ببناء البيع « فى كل أرض مصر»، ثم يذكر ساويرس أن الخليفة المعتز توفى قبل أن يختم هذا السجل، فطلبوا من الخليفة الذى تولى بعده الاقرار بهذا السجل، فوافق وعندما وصل السجل إلى أرض مصر، طلب الأنبا شنودة من متولى أرض مصر فى ذلك الوقت، أن يتمم أمر الملك، فكتب له إلى جميع البلاد ببناء جميع البيعْ فى كل المواضع حسب ماورد به أمر الملك (٦) .

أما الاسكندرية، التى كان بها أعظم كنائس الروم حتى إن ملك الروم كان يخشى من استيلاء العرب عليها كما يقول ابن عبد الحكم، فنلاحظ أن المصادر العربية ـ فى حدود علمى ـ قد أغفلت ذكر القرارات التى تتعلق ببناء أو هدم كنائسها، اللهم إلا ماذكره المقريزى من بناء كنيسة مرقص بالاسكندرية فى ولاية عمرو بن العاص الثانية (٣٨ ـ ٤٣هـ/ ٦٥٨ـ ٦٦٣م)، وأنها ظلت قائمة حتى هدمت فى سلطنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦ ـ ٦١٥هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٨).

وعندما انشأ عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان سمح لكاتبه (أثناسيوس) ببناء كنيسة فى قصر الشمع، فلم يكتف اثناسيوس بواحدة بل شيد اثنتين هما : كنيسة مارجرجس، وكنيسة أبى قير.

---

(٦) أخطأ ساويرس فى ذكر اسم الخليفة الذى تولى الخلافةبعد المعتز فقد ذكر أنه المستعين بالله، ومن المعروف أن المستعين بالله تولى الخلافة عام(٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ/ ٨٦٢ ـ ٨٦٦م) وأنه قتل عام ٢٥٢هـ، وأن الخليفة الذى تولى بعد المعتز هو المهتدى بالله وكان ذلك عام (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩م).

أما بالنسبة لقرارات هدم الكنائس فى مصر :

يذكر ابن النقاش أن عمر بن عبد العزيز أرسل إلى حيان بن سريج عامله على مصر يأمره بهدم بيع النصارى المستجدة. ويذكر أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز قد أرسل كتابا إلى عماله يقول فيه :«لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولابيت نار، ولاتحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار.»

وفى سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م هدم أسامة بن زيد التنوخى الكنائس، والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك.

وعندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة كتب إلى والى مصر بأن يجرى النصارى على عوائدهم وما بأيديهم من العهد. فمضى البطريرك قزما kosmas إلى هشام، واستطاع بمعونة بعض العلماء أن يحمل الخليفة على أن يرد له الكنائس الملكانية بمصر، وهى الكنائس التى كان الأقباط قد استولوا عليها، فكتب هشام إلى واليه بمصر بأخذ هذه البيع من اليعاقبة.

كما تذكر المصادر العربية أنه فى ولاية على بن سليمان على مصر(١٦٩ ـ ١٧١هـ/ ٧٨٥ ـ ٧٨٧م) من قبل الهادى، أصدر قرارا بهدم الكنائس المحدثة بمصر، فهدم كنيسة مريم الملاصقة لكنيسة أبى شنودة، وهدم كنيسة مَحْرَس (محارس) قسطنطين، على الرغم من أن النصارى عرضوا عليه فى المقابل خمسين ألف دينار ليتركها، إلا أنه امتنع.

وفى عام ١٩١هـ/ ٨٠٦م أمر الخليفة الرشيد بهدم الكنائس والديور.

وفى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل أيضا بتخريب كنائس النصارى المحدثة فى الاسلام، وأكد هذا الأمر فى عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م.

كما يذكر ابن سعيد أنه فى عام سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م انهدمت قطعة من كنيسة أبى شنودة، فبذل النصارى للاخشيد مالا ليطلق عمارتها فقال لهم : خذوا فتيا الفقهاء. فافتى ابن حداد بالا تعمر، وبذلك افتى اصحاب مالك، وافتى محمد بن على بأن لهم أن يرموها ويعمروها، واشتهر ذلك عنه، فحملت الرعية إلى داره النار، وأرادوا قتله، فاستتر منهم وندم على فتُياه، وشغبت الرعية وأغلقت الدروب وأحاطت بالكنيسة، فأرسل الاخشيد

عساكره، ثم دعا بأبى بكر بن الحداد الفقيه وقال له : «اركب إلى الكنيسة فان كانت تبقى فاتركها على حالها، وان كانت مخوفة فاهدمها .«فذهب اليها ودخلها ثم قال : «تبقى كذا خمسة عشر سنةثم يسقط منها موضع، ثم تقيم إلى تمام أربعين سنة ويسقط جميعها». وعندما علم الاخشيد بذلك تركها ولم يعمرها.

هذا بالنسبة لقرارات بناء أو هدم الكنائس فى مصر تحت الحكم العربى، والسؤال الآن : هل كانت هذه القرارات تتفق مع الدين الاسلامى ؟ اتفق كل من الماوردى وأبى يوسف وأبى عبيد على عدم استحداث كنائس فى دار الاسلام، فيقول الماوردى :« ولا يجوز أن يحدثوا فى دار الاسلام بيعة ولاكنيسة، فان أحدثوها هدمت عليهم، ويجوز أن يبنوا ما استهدم من بيعهم وكنائسهم العتيقة».

ويقول أبو يوسف :« ويمنعوا من أن يحدثوا بناء بيعة أو كنيسة فى المدينة، إلا ما كانوا صولحوا عليه، وصاروا ذمة، وهى بيعة لهم أو كنيسة، فما كان كذلك تركت لهم ولم تهدم».

ويقول أبو عبيدة عن توبة بن النمر الحضرمى قاضى مصر عن غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«لاخصاء فى الاسلام ولاكنيسة». كما يقول هذا الحديث أيضا عن عمر بن الخطاب.

أما بالنسبة للمذاهب الأربعة، فيقول ترتون :

إن الأئمة يتفقون على عدم استحداث بيع أو كنائس فى دار الاسلام، ويرى مالك والشافعى وابن حنبل أنه لا يجوز إحداث كنيسة فيما قارب المدن والأمصار بدار الاسلام، أما أبو حنيفة فيقول بالمنع اذا كان المكان قريبا من المدينة ولا يبعد عنها بأكثر من ميل، فان زاد عن ذلك جاز للذميين البناء، أما اذا انهدم شئ من كنائسهم وبيعهم فى دار الاسلام وارادوا ترميمه أو تجديده جاز لهم ذلك فى رأى ابن حنبل والشافعى ومالك، أما أبو حنيفة فيجيزه لهم اذا كانت الكنيسة أو البيعة فى أرض فتحت صلحا، أما اذا كانت قد فتحت َعنْوَة فانه لا يجوز لهم ذلك، وقد ذهب بعض أصحاب أحمد

وجماعة من أعلام الشافعية كأبى سعيد الاصطخرى وأبى على بن أبى هريرة إلى أنه لايجوز للذميين ترميم ما تشعث، ولا تجديد بناء على الاطلاق، ولأحمد رواية ثانية أنه يجوز ترميم ما تشعث دون ما استولى عليه الخراب، أما الرواية الثالثة فهى تجيز ذلك لهم على الاطلاق.

واذا كان كتاب الأم للشافعى يورد آراء الشافعى وليس آراء تلاميذه - كما يقول تريتون - فقد كان المفهوم سنة ٢٠٠هـ عدم استحداث كنائس فى أمصار مصرها المسلمون، أما إن كانوا فى قرية يملكونها منفردين، فلم يكن هناك مايمنعهم من إحداث الكنائس.

وهكذا يظهر لنا أن قرارات بناء أو هدم الكنائس كانت تتوقف على طبيعة الفتح العربى للبلد لذلك يقول القلقشندى فى كتابه تحت عنوان :

(فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد الذمة).

«ومنها - أنهم لأيحدثون كنيسة ولا بيعة فيما أحدثه المسلمون من البلاد: كالبصرة، والكوفة، وبغداد، والقاهرة، ولا فى بلد اسهم أهلها عليها : كالمدينة واليمن. فان أحدثوا فيها شيئا من ذلك نُقض، نعم يترك ماوجد منها ولم يعلم حاله لاحتمال اتصال العمارات به.

وكذلك لا يجوز إحداث الكنائس والبيع فيما فُتح عنْوة، ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء. أما ما فتح صلحا بخراج على أن الرقبةلهم، فيجوز فيها إحداث الكنائس وابقاء القديمة منها، فان الأرض لهم. وان فتحت صلحا على أن تكون لنا : فان شرط إبقاء القديمة بقيت وكأنهم استثنوها، ويجوز لهم إعادة المتهدمة منها، وتَطْيين خارجها دون توسيعها».

وبالنسبة لمصر فقد اختلف المؤرخون فى طبيعة الفتح العربى لمصر، وبعد دراستنا لطبيعة الفتح العربى لمصر - وذلك فى فصل سابق - وجدنا أن مصر فتحت صلحا اذا نظرنا إلى العلاقة بين العرب والأقباط أهل البلاد، كما أنها فتحت عَنْوَة اذا نظرنا إلى العلاقة بين العرب والروم المسيطرين على الحكم. على أية حال، فقد نص الصلح الذى تم بين عمرو بن العاص والأقباط - كما ذكرنا سابقا - على الآتى : هذا ما أعطى عمرو بن العاص لأهل مصر

من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لايدخل عليهم شئ من ذلك ولاينتقض».

كما ذكرت سابقا أيضا أن شروط صلحهم كانت ستة شروط كما أشارت إليها المصادر العربية : لايخرجون منْ ديارهم، ولا تنزع نساؤهم ولا أبناؤهم، ولا كنوزهم، ولا ظأراضيهم، ولايزاد عليهم، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم. وهكذا نستطيع أن نقول تبعا لنص الصلح وللشروط الستة أن الأقباط فى مصر كان لهم الحق فى بناء كنائس جديدة لأن الأرض ملكهم.وقد ذكرنا سابقا أن الأقباط كانوا يملكون الأراضى، وقد ضربنا المثل بالمرأة القبطية التى كانت تملك أراضى شاسعة فى قرية طاء النمل، لذلك فعندما أنكر الجند على مسلمة موافقته على بناء كنيسة لهم، أخبرهم أنها فى أرضهم.

كما كان لهم الحق بالتالى فى الابقاء على الكنائس القديمة وترميمها، لأنهم أعطوا الأمان عليها.

وهكذا لم يكن هدم أو بناء الكنائس فى مصر تبعا للصلح الذى تم فى وقت الفتح بين عمرو بن العاص والأقباط، وانما يتوقف على سياسة الحاكم واليا كان أم خليفة، وهو ما يفسر لنا التناقض فى قرارات الولاة فى هذا الشأن، حيث كان بعضهم يبيح وبعضهم يمنع.

وفى ختام هذا الموضوع يجدر بنا أن نشيرإلى أن بناء المساجد، كان يستلزم نقل كثير من الأعمدة والتيجان من الكنائس، لاستخدامها فى بناء المساجد، وترى الدكتورة سيدة كاشف انه لا يجب أن يتطرق إلى أذهاننا أن الكنائس خربت عمدا لتسد حاجة البناء فى المساجد، وخاصة فى العهد الأول للاسلام، وانما كان من السهل أن يأخذ العرب بقايا ما خربه الفرس أثناء غزوهم لمصر قبيل الفتح العربى.

على أننا نلاحظ أنه على الرغم من أن نقل الأعمدة من الكنائس إلى المساجد كان أمرا شائعا، إلا أنه لم يكن موضع ترحيب دائما، فقد ذكرنا

سابقا أن أحمد بن طولون عندما أخبروه أن جامعه يحتاج إلى حوالى ٣٠٠ عمود لبنائه، وبالتالى يستلزم أخذها من الكنائس التى فى الأرياف والضياع الخراب، لم يتحمس للفكرة، حتى عرض عليه المهندس النصرانى بنائه بلا عمد إلا عمودى القبلة، وقد ذكر بعد ذلك فى خطبة له أنه رفض استخدام أعمدة الكنائس لانه لم يكن يحب أن يدخل فيه شائبة.

كما ذكرنا أن أبا الحسن بن الطحان ترك الصلاة فى جامع الجيزة، لأن محمد بن عبد الله الخازن أخذ عمده من كنيسة، وذلك على الرغم من أنه كان يصلى فى جامع عمرو بن العاص والذى كانت أكثر أعمدته من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر كما ذكر المقريزى .

الرباطات

يقصد بالرباطات بيوت المسنين فى العصر الحاضر، وهى خاصة بالسيدات المسنات، ويقول المقريزى: كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط، على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يكون فيها العجائز والأرامل العابدات، وكانت لها الجرايات والفتوحات، وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ ».

ومن الرباطات التى كانت بالقرافة:

رباط الأشراف:

كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء، وببنى عبد الله، وبمسجد القبة، وهو شرقى بستان ابن نصر. بناه أبو بكر محمد بن على الماذرائى ووقفه على نساء الأشراف

الفصل الثالث

العمائر التجارية

. القيساريات .

. الفنادق .

الفصل الثالث

العمائر التجارية

اقتضى النشاط التجارى فى مصر، بناء العمائر التجارية التى كانت ـ فى فترة بحثنا ـ تنقسم إلى القيساريات والفنادق.

أولا : القيساريات:

وكانت القيساريات تتكون عادة من مجموعة من المبانى العامة بها حوانيت ومصانع ومخازن وأحيانا مساكن وبها كذلك أروقة. والكلمة مشتقة من لفظ يونانى معناه السوق الامبراطورية، مما يدل بوضوح على أنها كانت من إنشاء الدولة، أما فى مصر الإسلامية فيبدو أنها كانت من إنشاء التجار وكبار رجال الدولة .

ومن القيساريات التى بنيت فى مصر فى فترة بحثنا، يذكر ابن عبد الحكم أن عبد العزيز بن مروان بنى قيسارية العسل، وقيسارية الحبال، وقيسارية الكباش، كما بنى قيسارية عبد العزيز التى كانت تختص ببيع البز، وقد سماها العامة قيسارية أبى مرة وهى خطة كعب بن عدى العبادى فاشتراها عبد العزيز منه وبنى بها حماما لابنه زبان كما ذكرت سابقا ، ويبدو أنه أطلق عليها قيسارية عبد العزيز نسبة له. كذلك يذكر ابن عبد الحكم أن هشام بن عبد الملك قد بنى قيسارية تعرف بقيسارية هشام، وكان يباع فيها البَزّ الفسطاطى، وكانت تقع فى الفضاء بين القصر وبين البحر. وعن سبب بناء هذه القيسارية يقول الكندى :« كتب الحر (أى الحرين يوسف) إلى هشام يعلمه أن النيل قد انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن بالبناء فيها، فان الناس مضطرون اليها . فأذن له فى بنائها قيسارية، فابتدأ فى بنائها فى رجب سنة سبع ومائة، وفرغ منها فى سنة ثمان ومائة، وهى قيسارية هشام التى عند الجسر ».

قيسارية ذكا. وربما كانت نسبة الى ذكا الأعور الذى تولى مصر من قبل المقتدر بالله عام ٣٠٣ - ٣٠٧ هـ/ ٩١٥ - ٩١٩م.

قيسارية ابن أبى الثريا. ويقول عنها ابن دقماق إنها كانت من خطة النضر بُشَير بن عمرو المزنى، ثم إلى ابنه بشير، وكان قاضيا بمصر زمن عبد العزيز بن مروان عام (٦٨ - ٦٩هـ/ ٦٨٧ - ٦٨٨م)، ثم صارت فى أيدى جماعة من مزينة، ثم صار بعضها لأبى الثريا أحد غلمان محمد بن تكين أمير مصر (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، وتوفى أبو الثريا فى عام٣٦٩هـ/ ٩٧٩م.

قيسارية الأنماط القديمة . وهى خطة عمرو بن أبى سحابة اليحصبى، وقد صارت إلى الشريف أبى عبد الله الحسن بن محمد طباطبا الحسينى فبناها، وسكنها أصحاب الأنماط فى عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م.

قيسارية نحرير. بعقبة بنى فليج وهى منسوبة إلى نحرير الأزغلى.

القيسارية المقابلة لمسجد جبر بن القاسم .كانت قديما لعلى بن محمد الأسدى الكاتب، من أصحاب خمارويه بن أحمد بن طولون، وقد توفى عام ٣٢٠هـ/ ٣٣٢م.

قيسارية بدر الخفيفى.

ثانيا: الفنادق :

أما الفنادق، فيقصد بها العمائر التى أنشئت لا قامة التجار الأجانب، تسهيلا لاقامتهم فى البلاد، وقيامهم بالصفقات التجارية، وكانت إدارة الجمارك بالموانىء (الديوان) هى الهيئة التى تشرف على هذه الفنادق، وتكلف بالسهر على سلامتها ودفع إيجارها واصلاحها. وكان كل فندق يشرف عليه موظف يعرف بالفندقى تختاره الجالية التى يتبع لها الفندق وهو الذى يمثلهم أمام السلطات.

وكان يسمح لبعض الفنادق أحيانا بايواء الأجانب المارين بمصر أو الاسكندرية والشام، أو لحجاج بيت المقدس وسيناء لبعض ليال نظير دفع نفس الأجر الذى يدفعه التاجر عن كل ليلة يقضيها.

والفندق هو بناء ضخم مربع على شكل الحصن، امتدت خارجه حدائق غرست بها بعض الأشجار. وكان الفندق يتألف من عدة طوابق، وفى الدور الأرضى منها كانت توجد المخازن والحوانيت التى تطل على فناء داخلى فسيح يسمح بتعبئة البضائع وتفريغها، بينما تضم أدواره العليا مساكن التجار الذين كانوا ينامون فيها، ويغلقون غرفهم بأقفال رومية. وكلمة فندق كلمة يونانية الأصل.

ومن الفنادق التى ظهرت بفسطاط مصرفى فترة بحثنا (من الفتح العربى الى بداية الدولة الفاطمية):

فندق حوى بن حوى العذرى : وكان يوجد بعقبة النجارين، وكان نافذا الى دار العنقود، فسد الباب، وهو الباب الحجر المقابل لدار العنقود. وحوى هذا من أهل وادى القرى، ذكره ابن يونس، وقد توفى بمصر سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م.

فندق ابن حرمه : وهو بأول سوق العداسين، وكان أمراء مصر ينزلون فى المسجد الذى على بابه من زمن الفتح الى أيام يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ/ ٦٧٩ - ٦٨٣م).

الخاتمة

بعد أن تتبعنا فى الأبواب والفصول السابقة التحول الذى طرأ على المجتمع المصرى بعد الفتح العربى، يجدر بنا هنا أن نوجز مظاهر هذا التحول كما أسفرت عنها هذه الدراسة.

لقد أبقى العرب بعد دخولهم مصر على جميع الأنظمة التى كانت سائدة فيها فى العصر البيزنطى، نظرا لأنه لم يكن لديهم أنظمة أفضل منها يطبقونها من ناحية، ولأن هذه الأنظمة كانت تخدم مصالحهم من ناحية أخرى.

وبالنسبة للملكية العقارية فى مصر، فقد اختلف المؤرخون فى طبيعة الفتح العربى لمصر وانقسموا الى ثلاث فرق:

الفريق الأول : يرى أن مصرقد فتحت صلحا.

الفريق الثانى : يرى أن مصر قد فتحت صلحا ما عدا الاسكندرية وثلاث قرى هى : سُلْطَيْس، ومَصِيل، وبَلْهِيب.

الفريق الثالث : يرى أن مصر قد فتحت عَنْوَة.

وقد تبين لى من بحث هذه الآراء أن فتح العرب لمصر كان عنوة وصلحا فى نفس الوقت، فهو عنوة من زاوية العلاقة بين العرب والبيزنطيين، وهو صلح اذا نظر اليه من زاوية العلاقة بين العرب والأقباط.

وكان السؤال الذى طرحته كيف انعكست طبيعة الفتح العربى على الملكية العقارية فى مصر؟

لقد كانت الأراضى فى مصر قبل الفتح العربى تنقسم الى ثلاثة أنواع:

النوع الأول : أراضى التاج البيزنطى، وأراضى الاقطاعات العسكرية وأراضى الاقطاعات التى منحت للشخصيات الكبيرة المنتمية للحكم السابق.

النوع الثانى : الأراضى المقدسة سواء التى خصصت للكنائس أو التى خصصت للأديرة.

النوع الثالث : الأراضى التى كانت مع الأقباط.

وبالنسبة للنوع الأول فقد استولت عليها الخلافة العربية، أما النوع الثانى فلم تتخذ حكومةالعرب أى موقف تجاهها إلا فى إمارة عبد العزيز على مصر (٦٥ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ـ ٧٠٥م) الذى فرض الخراج على الأراضى التى تمتلكها الكنائس والأديرة.

أما بالنسبة للنوع الثالث وهى الأراضى التى كانت مع الأقباط، فقد اختلف المؤرخون المحدثون فى شكل الملكية العقارية فيها، هل كان للمصريين حق الملكية التامة أو كان لهم حق الانتفاع فقط؟ وقد وجدت أن هذا الخلاف لم يكن فقط يرجع الى الاختلاف حول شكل الملكية العقارية فى مصر قبل الفتح، بل يرجع أيضا الى الاختلاف حول طبيعة الفتح العربى لمصر.

على أية حال فقد اتفق المؤرخون على أن أراضى مصر سواء فتحت صلحا أم عنوة هى أرضى خراجية .على أن هذا لم يمنع فى رأيى من وجود الأراضى العشرية نتيجة لا ستيلاء الدولة الحاكمة على أراضى البيزنطيين والأراضى التى تركها أهلها أو أراضى من قتل منهم فى الحرب، وجميع الأراضى التى ليس لها صاحب .

وقد تمثلت أشكال الحيازة العقارية فى مصر بعد الفتح العربى فى ثلاثة أشكال :

الشكل الأول : الاقطاع، وكانت هناك الى جانب اقطاعات العرب، اقطاعات أخرى للأقباط .

الشكل الثانى : الأحباس أو الأوقاف، وكانت توقف على المشروعات الخيرية، ويشرف عليها القضاة .

الشكل الثالث : نظام القَبَالات، وهو منح حق جباية الضرائب، وخاصة خراج الأرض، فى مزادات علنية .

أما بالنسبة للنظام المالى المتمثل فى جباية الخراج والجزية، فقد كان استمرارا للنظام البيزنطى وذلك من نص أورده ابن عبد الحكم يقول فيه: «كان عمرو بن العاص، لما استوثق له الأمر، أقر قبطها على جباية الروم».

وبالنسبة للجزية فكان يدفعها أهل الذمة، وإن كان بعض عمال الخراج عمدوا الى تحصيلها ممن أسلم منهم، على اعتبار أن الاسلام أضر بالجزية.

وبالنسبة لطبقة الفلاحين، فقد كانت عند الفتح العربي من الأقباط، وظلت كذلك بعد الفتح العربي حوالى قرن من الزمان خاصة مع تحريم عمر بن الخطاب على الجند فى مصر العمل بالزراعة، ثم دخل العرب فى هذه الطبقة مع مجيء قبيلة قيس إلى مصر عام ١٠٩ هـ /٧٢٧م، ونزولها بلبيس فقد كان مجيئوها مشروطا بعملها بالزراعة، وبعد مرور حوالى قرن آخر على مجيءقبيلة قيس أسقط المعتصم العرب من الديوان، فلم يكن أمامهم سوى الاشتغال بالحرف المختلفة التى كان من ضمنها الزراعة.

أما بالنسبة لطبقة الصناع التى كانت تتكون من الأقباط فقد استمرت فى عملها بالصناعة بعد الفتح العربى لمصر، وحتى بعد سقوط العرب من الديوان وعملهم فى شتى مجالات الحياة المختلفة.

وبالنسبة لطبقة التجار التى كانت تتركز فى الاسكندرية وتتكون من اليهود خاصة ومن الروم والاقباط والسوريين وعناصر أخرى، فبعد الفتح العربى لمصر أضيفت إليها طبقة من التجار العرب الذين استوطنوا مصر.

كما أضيفت إليها طبقة من تجار فارس فى الدولة الطولونية، وفى الدولة الاخشيدية أضيفت إليها أيضا طبقة من اليهود من سوريا.

وقد استطاعت طبقة التجار أن تكون ثروات طائلة من عملها بالتجارة، انعكس بالتالى على نفوذها السياسى، اذ استطاعت أن تتولى أعلى المناصب فى الدولة.

وبالنسبة للنظام الادارى فقد أبقى العرب على الموظفين فى وظائفهم، وكان هؤلاء الموظفون إما عمال من القبط أو عمال من الروم، واحتفظوا لأنفسهم بالمناصب الرئيسية مثل : الوالى وصاحب الخراج وصاحب الشرطة وغيرها ـ التى تمكنهم من تأكيد سيطرتهم، كما تضمن لهم خدمة مصالحهم.

ثم ما لبث أن تغير هذا الوضع ـ بعد فترة من الفتح ـ تحت عاملين أساسيين هما :

١ ـ تعريب الدواوين.

٢ ـ تحريم الخلفاء استخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة.

وكان الدافع وراء هذين العاملين ـ كما أثبتنا ـ هو توافر طبقة من العرب يستطيعون أن يتولوا الوظائف بدلا من أهل الذمة. على أن الحاجة الى استخدام الأقباط فى الوظائف الحكومية ظلت قائمة، والدليل على ذلك ما ذكرته المصادر من أسماء لموظفين أقباط طوال الحكم العربى.

وقد اختلف الأمر بالنسبة للنظام الحربى، فقد حل الجيش العربى محل الحاميات العسكرية الرومانية، وحرم على جنوده العمل بأى مهنة أخرى غير الجهاد حتى يظل على أهبة الاستعداد للحرب. ولكن الى جانب هذا الجيش النظامى، كان هناك جيش من المتطوعة كانوا احرارا فى العودة الى ديارهم وأعمالهم بعد أنتهاء الحرب. و لم يشترك المصريون الأقباط فى الجيش، بل كانوا يدفعون الجزية لقاء اعفائهم من الجندية.

على أن هذا الجيش العربى قد أصابه الكثير من التغير على مر الزمن وفقا للتطورات التى حدثت فى الخلافة نفسها من حيث سيطرة العرب أو الفرس أو الترك، فعندما كانت هذه السيطرة فى يد العرب، كان الجنس العربى هو المكون للجيش، وقد استمر ذلك حتى نهاية الدولة الأموية، فلما سقطت هذه السيطرة فى يد الفرس مع الدولة العباسية، لم يعد الجنس العربى وحده هو المكون للجيش، حتى اذا ماوصلنا الى زمن المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) الذى استكثر من الترك، وانتقلت السيطرة اليهم، وجدنا المعتصم يأمر واليه على مصر كيدر نصر بن عبد الله (٢١٧ ـ ٢١٩هـ/ ٨٣٢ ـ ٨٣٤م) باسقاط العرب من الديوان وقطع أعطياتهم وكان ذلك عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م، وكان من نتيجة ذلك تحول العرب من طبقة عسكرية الى طبقة مدنية، فاحترفوا الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من المهن والحرف التى كانت حتى ذلك الوقت وقفا على أهالى البلاد .

هذا فيما يتعلق بالجيش أما فيما يتعلق بالأسطول، فلم يختلف الوضع عما كان عليه في مصر البيزنطية، فقد اعتمد العرب اعتمادا كليا على الأقباط في العمل على الأسطول كملاحين وعمال وليسوا كمقاتلين، كما استمروا على سياسة الدولة البيزنطية في الاستعانة بخبرة الأقباط في تصنيع السفن .

وبالنسبة للنظام القضائي فقد تغير في مصر بعد الفتح العربي وفقا لشريعة الفاتحين الجدد وهي الشريعة الاسلامية، ولكنه احتفظ بالهيكل القديم مع تغيير مسمياته ووظائفه.

لقد كان النظام القضائي البيزنطي يقوم على أربعة أنواع من المحاكم:

النوع الأول : وهو المحاكم العادية.

النوع الثاني : وهو محكمة الامبراطور.

النوع الثالث : وهو القضاء الكنسي أو المحاكم الكنسية.

النوع الرابع : وهو المحاكم العسكرية .

وقد أبقى العرب على هذا الهيكل مع تغيير مسمياته ووظائفه كما ذكرنا، وهو ما أثبتناه في الرسالة، فكان في العصر الاسلامي أربعة أنواع من المحاكم:

النوع الأول : وهو المحاكم العادية، وكانت هذه المحاكم تتبع الشريعة الاسلامية سواء في اختيار قضاتها أو في أحكامها أو غير ذلك.

النوع الثاني : وهو محكمة الخليفة أو كما تسميه المصادر العربية النظر في المظالم، وكانت تقابل محكمة الامبراطور في العصر البيزنطي .

أما النوع الثالث : فهو محاكم أهل الذمة، وقد أثبتنا أن هذه المحاكم تقابل المحاكم الكنسية في العصر البيزنطي، وكان يتولى القضاة فيها رجال الدين من أهل الذمة، الذين ترك لهم العرب أمر قضائهم.

وقد تقلصت سلطة هؤلاء القضاة الذميين لأن العقوبات التي كانوا يحكمون بها كانت عقوبات دينية فقط، وأصبح من مصلحة الذمي اللجوء الى القضاء الاسلامي لأنه أنفذ وألزم.

أما النوع الرابع والأخير وهو قضاء الجند، فقد اختلف عن المحاكم العسكرية فى الدولة البيزنطية، ففى حين كانت هذه المحاكم دائمة، فان محاكم قضاء الجند فى الدولة الاسلامية اقتصرت على وقت الحرب فقط.

أما بالنسبة لتعريب المجتمع المصرى،فقد جرى هذا التعريب من خلال العوامل الآتية:

١ـ هجرة القبائل العربية.

٢ـ انتشار اللغة العربية.

٣ـ انتشار الاسلام.

وقد ارتبطت هذه العوامل ببعضها البعض، فقد أدى نزوح القبائل العربية الى مصر ونزولها فى الريف الى اختلاطها بالأهالى، وهذا أدى الى انتشار اللغة العربية. كما أدى الى انتشار الاسلام .

وقد اختلف الأمر بذلك عما كان عليه قبل الفتح العربى، فلم يختلط الرومان أو البيزنطيون بالمصريين، وانما عاشوا فى مصر كطبقة حاكمة، ولذلك لم يكن لهم تأثير على المصريين سواء من حيث العادات والتقاليد أو اللغة .

وقد تبع التحول فى المجتمع المصرى من مجتمع قبطى ـ بيزنطى الى مجتمع عربى تحول فى العادات والتقاليد، وفى الأعياد والمواسم، وفى الطعام والشراب وغير ذلك .

وفى الوقت نفسه حدث تحول كبير فى الحركة الفكرية فى مصر. فقد كانت مركز الحركة الفكرية قبل الفتح العربى الاسكندرية، وعندما فتح العرب مصر انتقل هذا المركز من الاسكندرية الى الفسطاط العاصمة الجديدة للعرب، وإن لم يتأثر مركز الاسكندرية كثيرا بهذا الانتقال خصوصا فيما يتعلق بالعلوم الفلسفية.

وقد مرت الحركة الفكرية فى مصر بعد الفتح العربى بمرحلتين:

المرحلة الأولى : من بداية الفتح حتى بداية حركة الترجمة، وقد عنيت بالعلوم الاسلامية والأدبية.

والمرحلة الثانية: ما بعد حركة الترجمة، وقد عنيت بالعلوم الفلسفية.

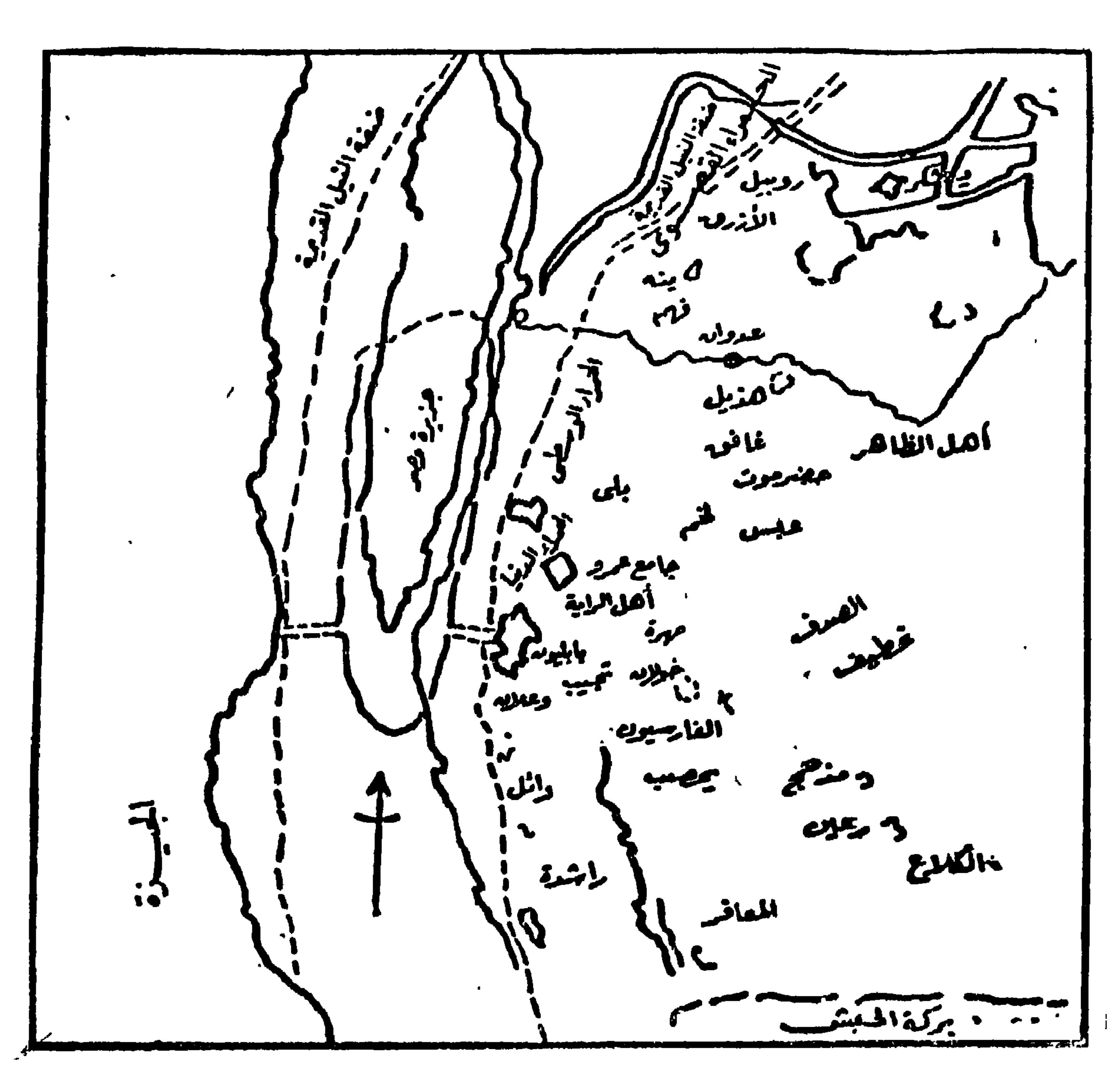
كذلك كان من أهم الميادين التى حدث فيها تحول كبير ميدان الفنون. فقد كان تغير الفن فى مصر ضرورة فرضتها طبيعة النظام العربى الجديد الذى يدين بالديانة الاسلامية، فظهر ما يعرف بالفن الاسلامى، ولم يكن فنا عربيا بحتا وانما هو فن مصرى اسلامى، طبعه العرب بطابع دينهم.

وقد تأثرت بهذا التحول أيضا حركة البناء والتشييد فى المجتمع المصرى، وان ظل يقوم بها البناءون الأقباط. وقد كان من نتيجة التحول العربى للمجتمع المصرى أن تغيرت أهمية الحواضر والمدن مع انتقال السيطرة من القسطنطينيةفى أوربا الى المدينة فى شبه جزيرة العرب، فبعد أن كانت عاصمة مصر هى الاسكندرية أصبحت هى الفسطاط. فتناولت بناء كل من العواصم والمدن الجديدة فى المجتمع المصرى العربى الجديد.

وقد ظهرت فى هذا المدن المساجد والجوامع تبعا لديانة العرب المسيطرين على الحكم، وفى المقابل تعرضت الكنائس التى فى العهود السابقة للهدم، ولكن عملية الهدم هذه لم تكن سياسة ثابتة، وإنما خضعت لسياسة كل من الوالى أو الخليفة.

ومن هذا العرض يتضح حجم التحول الهائل الذى طرأ على المجتمع المصرى بعد الفتح العربى .

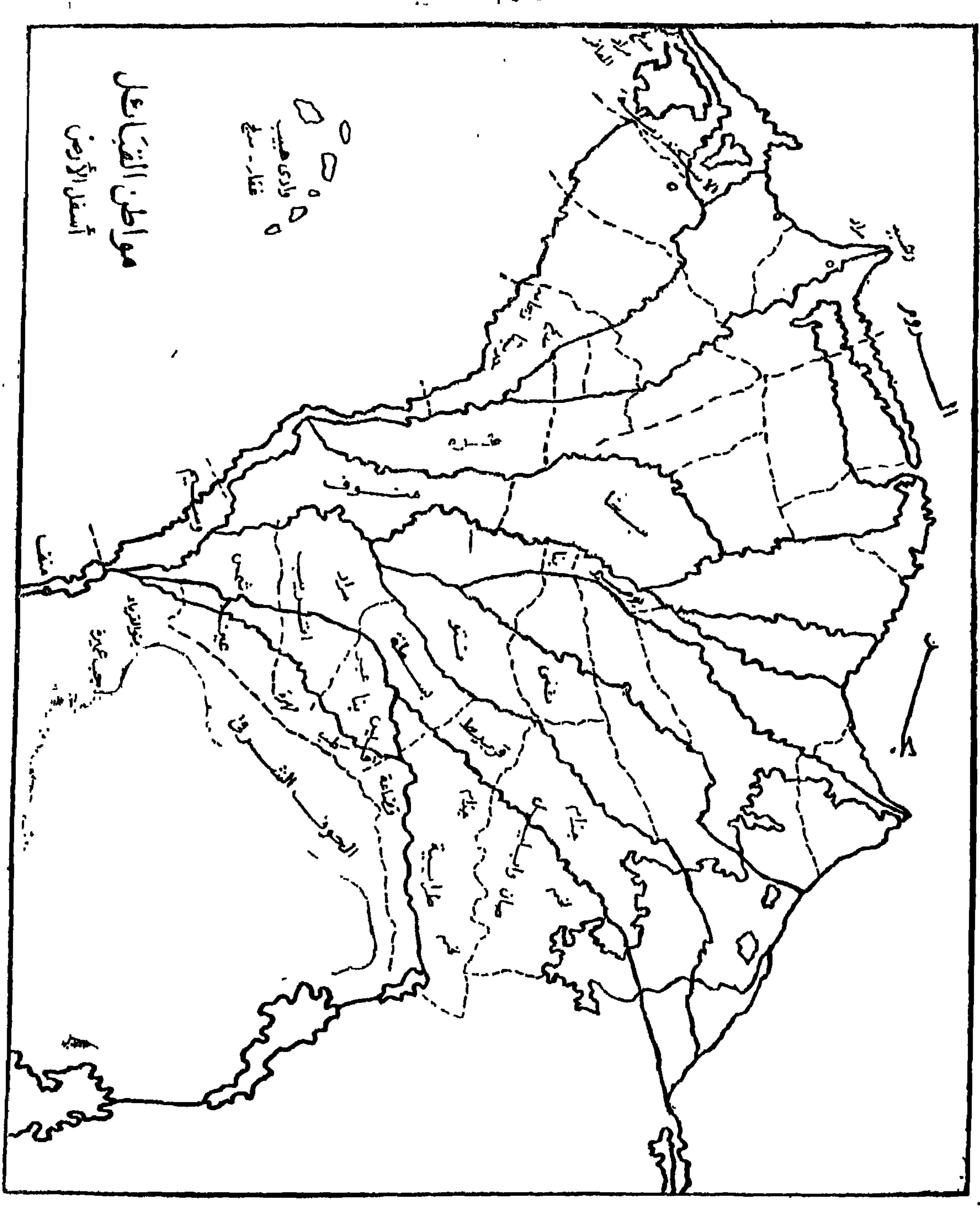
ملحق رقم (٣)



خطط الفسطاط سنة ٢١ هـ

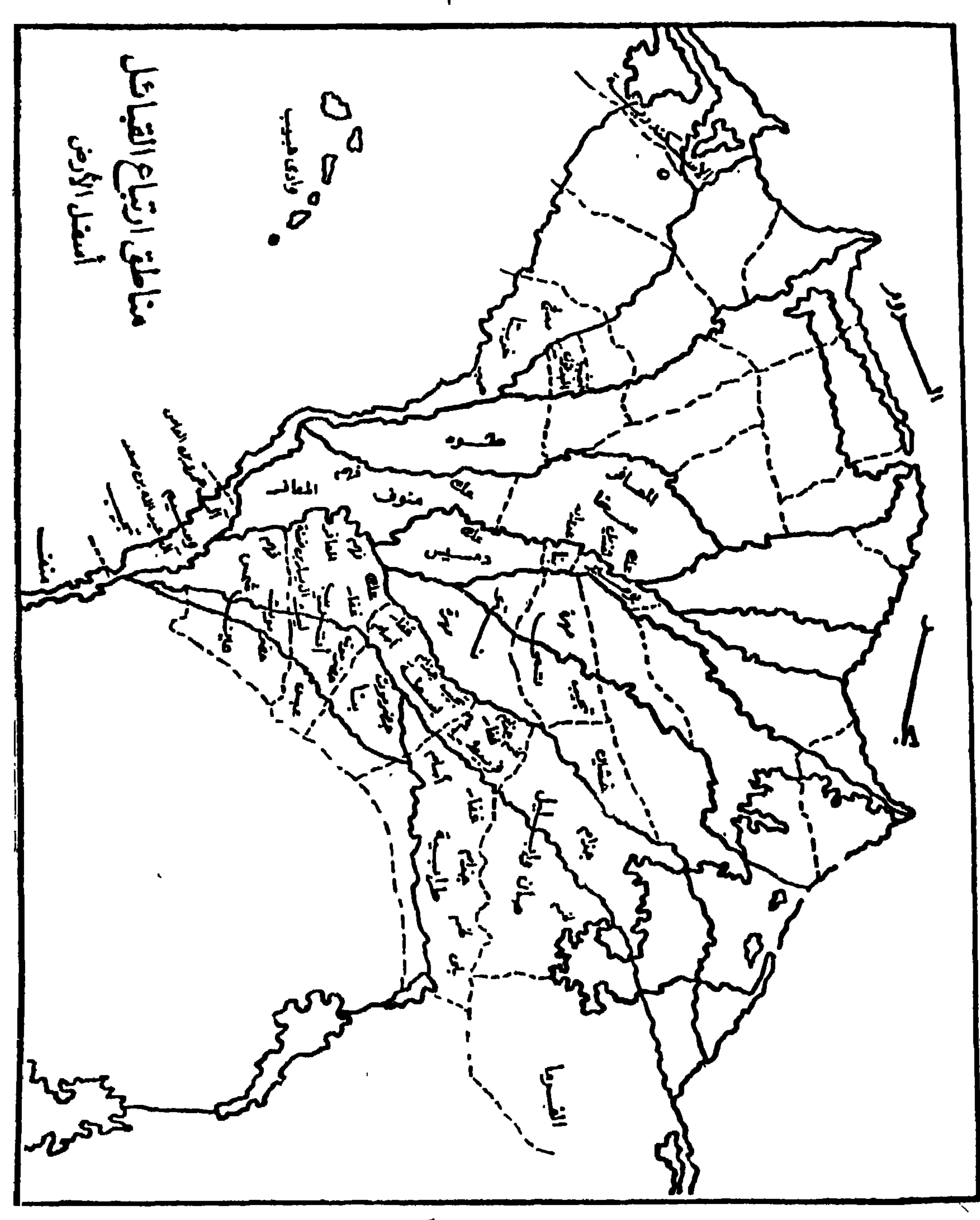
من كتاب مصر في فجر الاسلام - للدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف

ملحق رقم (٤)



من كتاب القبائل العربية في مصر ـ للدكتور عبدالله خورشيد

ملحق رقم (٥)



من كتاب القبائل العربية فى مصر - للدكتور عبد الله خورشيد

ملحق رقـــم (٦)

عقد الزواج رقم ١٥٩ مؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ٢٥٩ هـ.

[جرومان: أوراق البردى العربية، السفر الأول]

١ بسم الله ا[لرحمن الرحيم]
٢ [هـ]ـذا ١١ أصدق [إسـ]ـمعيل مولى أحمـ[ـد] بن مروان القـر[شـ]ـى بمدينة أشمون عايشة
٣ [ابـ]ـنت يوسف السا[كنة . . . . عند ما خطبـ]ـها الى نفسها وهـ[ـى ا]مرأة أيم بالغ بعد أن فو[ضت]
٤ [أمـ]ـرها الى جدّ[ها يعقوب] بن اسحق الـ[. . . . . و] أشهدت له شهود
٥ [بتـ]ـوكيلها إياه فقبل وك[التـ]ـها وانفذ [نكاحها وأصـ]ـدقها إسمعيل مولى
٦ [أ]حمد بن مروان القرشى أربعة دنانير مثاقيل طرا جياد وازنة يعجل لها
٧ [إ]سمعيل دينرين مثقالين نقدا حالا معجلا ويبقى لعا[يشـ]ـة إبنت يوسف
٨ على زوجها إسمعيل مولى أحمد بن مروان دينرين مؤخرين الى خم[ـسة] سنين
٩ أولهم شهر ربيع الـ[أول] سنة تسع وخمسين ومائتين وشرط اسمعيل مولى
١٠ أحمد بن مروان لامرأته عايشة تقوى الله العظيم بحسن الصحبة والمعاشرة
١١ كما أمر الله عز وجل وسنة محمد صلى الله عليه وسلم على
١٢ الإمساك بالمعروف أو التسريح بالاحسان وشرط اسمعيل
١٣ مولى أحمد أن كل امرأة يتزوّجها على إمرأته عايشة ابنت يوسف
١٤ [تقـ]ـام تلك المرأة بيد عايشة تطلق كيف [شـ]ـات من الطلاق
١٥ وولى عقدة هذا النكاح يعقوب بن اسحق فقبل الوكالة وأنفذ
١٦ النكاح ورضى اسمعيل بالمهر المعجل والمؤخر والشروط المسمات
١٧ فى هذا الكتاب وألزم ذلك نفسه فى صحة عقله وبدنه وجواز
١٨ أمره لا علة به من مرض ولا عرة فى شهر ربيع الأول سنة تسع
١٩ وخمسين ومائتين وشهـ[ـد على] ذلك

ملحق رقم (٧)

عقد الزواج المرموز له برقمى ١٤٠ + ٨٦ مؤرخ فى العشر الأواخر من شهر شعبان سنة ٢٧١ هـ.

[جرومان: أوراق البردى العربية ـ السفر الأول]

١ [بسم الله الرحمن الرحيم]

٢ هذا ما أصدق يـ[ـحنس بن شنوده الساكن مـ]ـدينة أشمون دروا ابنت

٣ شنوده [الساكنة مدينة كذا عند ما خطبها الى نفسهـ]ـا وهى امرأة أيم بالغ تلى

٤ نفسها . . [. . . . . . . فلان بن فلان البقـ]ـال وأشهدت له شهودا

٥ بتوكيلها إياه فى إن[كاحها] ن فأصدقها أ[ر]بعة دنانير

٦ عينا ذهبا لمرأته في[ل اصابته بها] ودخوله عليها دينرين نقدا جياد

٧ معجلا وأخرت . . [ ] صداقها على زوجها يحنس بن شنوده

٨ خمسة سنين متواليات أ[ولهن] شعبان من سنة إحـ[ـدى وسبعين ومايتين وعليه تقوا

٩ الله وحده لا شريك له و[احسان صحبتهـ]ـا وقد أوصل يحنس بن شنوده الدينرين

١٠ المعجلين الى امراته دروا [ابنت شنوده . . . .] بلله وأقرت بوصولها اليها وذلك

١١ فى العشر الأواخر من شعبا[ن سنة إحد]ى [و] سبعين وماتين شهد على ذلك

١٢ ا[بر]ا[هـ]ـيم . . . .]

١٢ [أن يـ]تق الله وحده لا شريك له ويحسن صحبتها وعشرتها ولا يضار بها ويفعل ما أمره الـ[ـله] .

١٣ [وسنة مـ]ـحمد صلى الله عليـه وسلم على ما أمر الله به من الامساك بالمعروف أو التسريح باحسـ[ان]

١٤ [ ] اسحق بن سرى بانفاذه هذا النكاح على ما ذ[كرو] فسر . . . . [بعد ان قرى]

١٥ [عليهم] حرفا حرفا عرفوا ما فيه فاقروا بفهمه [ومعر]فة ما فيه من تعرفهم بأ[سمائهم وأنسابهم]

١٦ [وذلك فى] العشر الأواخر من جمـادى الآخرة من سنة تسع وسبعين وماتين شهـ[ـد فلان بن فلان على]

١٧ [اقرار اسـ]ـحق بن سرى وعلى اقرار يعقوب بن اسحق بن يحيي بجميع ما فى هذا الكتاب النكاح [وذلك فى جمادى الآخر سنة ٢٧٩]

١٨ [ ] . . . على اقرار هنيدة ابنت اسحق بن سرى وعلى اقرا[ر] ا . . [ ]

١٩ [ ] بجميع ما فى هذا الكتاب وذلك فى جمادى الآخر [من سنة تسع وسبعين وماتين شهد فلان بن فلان على قرار يعقوب]

٢٠ [بن اسحق النسا]ج وعلى اقرار اسحق بن سرى الطراف الأب [وذلك فى جمادى الآخر من سنة تسع وسبعين وماتين]

٢١ [شهد] . . . . بن العباس على اقرار ا[سحق بن سرى . . . وعلى اقرار يعقوب بن]

٢٢ [اسحق و] كتب شهادته فى جمادى الآخر من سنة [تسع وسبعين وماتين]

٢٣ [ ] . . . . على اقرار اسحق [بن سرى]

ملحق رقم (٨)

عقد الزواج رقم ١٢١ مؤرخ فى العشرة الأيام الأخيره من شهر جمادى الآخرة سنة ٢٧٩ هـ. [جروهمان: أوراق البردى العربية بالسفر الأول]

١ [بسم الله الرحمن الرحيم]

٢ [هـذا ما أصد]ق يعقوب بن [اسـ]حق بن [يـ]حيى النساج الساكن مدينة أشمون هنيدة ابنت [اسحـ]ق بن [سرى]

٣ [عند مـ]ا خطبها الى نفسها وهى يومئذ امرأة أيم بكـ[ـر با]لغ بعد أن فوضت أمرها الى ... [ ]

٤ [وتوكيـ]ـلها إياه فى إنكاحها مـ[ـن] يعقوب بن اسحق بن يحيى [بالـ]ـصداق العاجل والآجل [لهـ]ـا [عليه]

٥ [عجل لهـ]ـا من ذلك قبل اصابته بها ودخوله عليها دينرين نقدا حالا معجلا ... هنيدة ابنت اسحـ[ـق بن سرى]

٦ [بعد ا]ن خلين خمسة سنين متواليات أولهن جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين وما[يتين]

٧ [وشرط اسحـ]ـق بن سرى شروطا أوجبها على نفسه بعد أن عقد عقدة نكاحها .. [ ]

٨ [او] ذمية فأمرها بيد امرأته هنيدة ابنت اسحق تطلقها عليه ما شات من [الطلاق]

٩ [جايز] عليه ولازم له وكل جارية يتخذها عليها ... [يـ]ـكون بيعها بيد امرأته هـ[ـنيدة ان شاءت عتقت]

١٠ [وان شاءت بيـ]ـعت فعتقها وبيعها جايز عليه ولازم له ولا يمنعها من أهلها ولا يمنع أهلها [منها]

١١ [اسحـ]ـق بن سرى بأمرها ورضائها بعد أن أشهدت له شهودا بتوكيلها إياه [وعليه]

ملحق رقم (٩)

عقد الزواج رقم ١٤٤ يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجرى.

[جرومان: أوراق البردى العربية، السفر الأول]

١ بسم الله الرحمن الر[حيم]

٢ هذا ما أصدق حميد بن شهران أص[دق من العين]

٣ الجيد [المصرى ع]شرين دينارا . [تاما]

٤ [وافيـ]ـا وابراته من ذلك براة قبض واستيفى ويبقى لها [كذا دينـ]ـارا مؤخر لها عليه الى انقضى ثمانية حجج متواليات

٥ أولهن تاريخ هـذا الكتاب وعليه أن يتقى الله عز وجـ[ـل فيها ويحسن صحبتها بـ]ـالمعروف كما أمره الله تبارك وتعالى

٦ به فى كتابه وسنة محمد رسوله صلى الله عليه وعلى آ[له . . . . فيـ]ـما عليه من ذلك ودرجة زايدة كقول

٧ الله تعالى وللرجال عليهن درجة والل[ـه] عزيز حكيم وتولى تزويجها . . . . وبأمرها

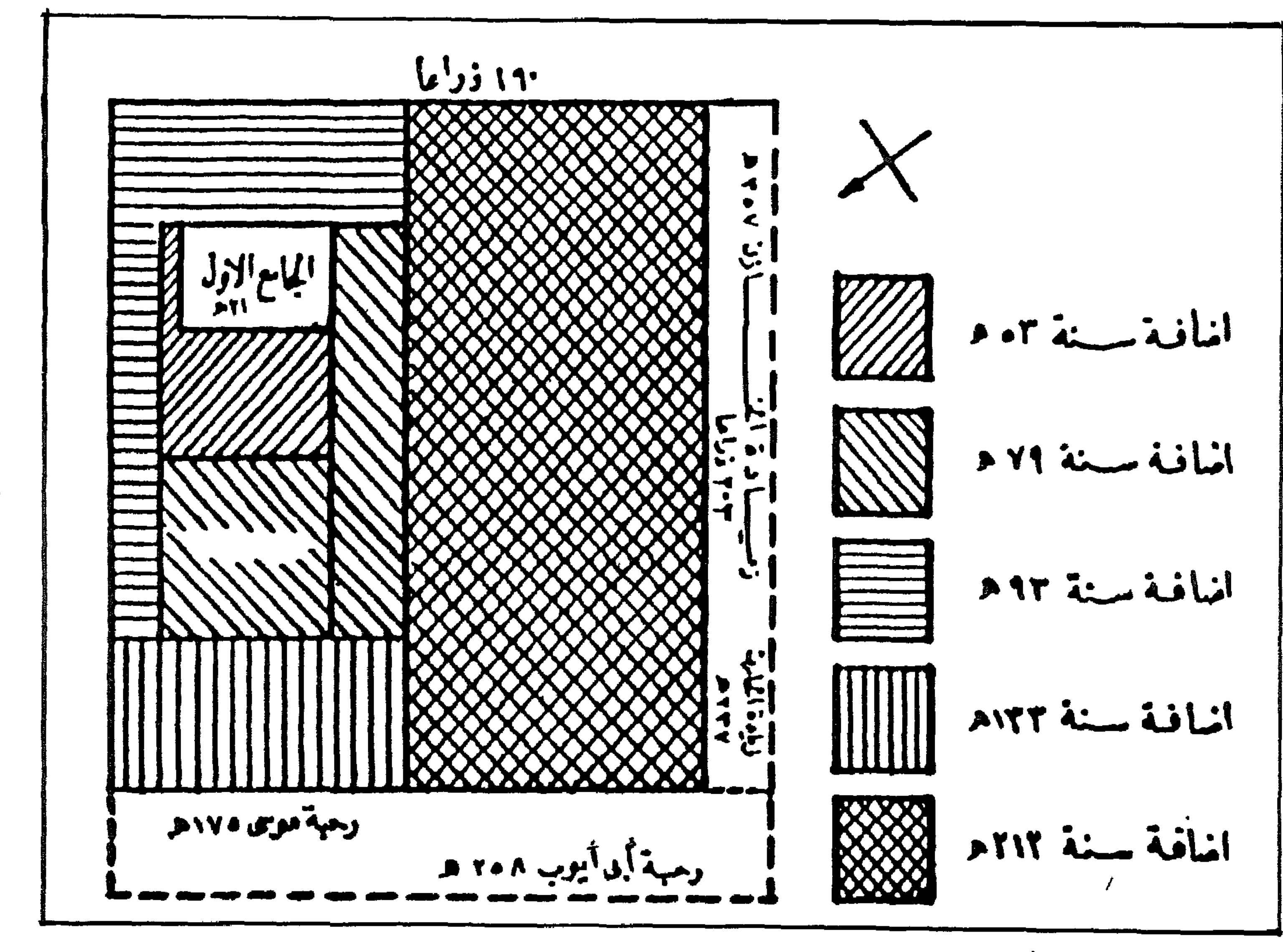
٨ ورضائها وتوكيلها إياه بذلك وإشهادها لهـا [وعليـ]ـها وهى يوميذ بنت بكر بالغ صحيحة العقل

٩ والبدن جايزة الأمر لها وعليها فـ[ـرضى حميـد بن شهران بهذا] الصداق المذكور عاجله وآجله

١٠ وعلى الشرايط المذكورة فيه وقبل ا[لزوج المذكور هـذا النكاح] المقر بمـا شرط له وعليه

١١ بزوج . . [فى صحة عقولهم وابدانهـم وجواز أمورهم طايعين غير مكرهين] و[لا مجـ]ـبرين ولا [مضـ]ـطهدين

١٢ [ ] . . . .



الاضافات المتعاقبة التى طرأت على جامع عمرو بن العاص.

من كتاب العمارة الاسلامية فى مصر ـ للدكتور كمال الدين سامح.

المصادر والمراجع العربية والمعربة

أولا: المصادر العربية:

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكرت عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) :

١ ـ التكملة لكتاب الصلة ٢٠ جزء. مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببيروت ـ جـ١ ١٩٥٥م، جـ٢ ١٩٥٦م.

ابن أبى اصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى ت عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م):

٢ ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . تحقيق الدكتور نزار رضا.

دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥م.

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى ت عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة . دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٤ـ الكامل في التاريخ . ١٢ جزء. دار صادر ـ بيروت ١٤٠٢هـ هـ/ ١٩٨٢م.

ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م):

٥ ـ معالم القربة في أحكام الحسبة . تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان والأستاذ صديق أحمد عيسى المطيعى .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٦م.

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):

٦ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور. الجزء الأول من القسم الأول. تحقيق الأستاذ محمد مصطفى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن بسام (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب عاش قبل عام ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م):

٧ـ نهاية الرتبة فى طلب الحسبة. تحقيق الأستاذ حسام الدين السامرائى. مكتبة المعارف ـ بغداد ١٩٦٨م.

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى ت عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

٨ ـ رحلة ابن بطوطة. دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابن البيطار (ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى ت عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):

٩ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ).

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبى القاسم ت عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م):

١٠ـ الحسبة فى الاسلام. مطبعة المؤيد ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى ت عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

١١ـ رحلة ابن جبير. دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن جزى (عبد الله بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى عاش الى أواخر القرن الثامن الهجرى وربما أدرك أوائل التاسع / الرابع عشرـ الخامس عشر الميلاديين):

١٢ـ الخيل. تحقيق الأستاذ محمد العربى الخطابى . دار الغرب الاسلامى ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٦م.

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ت عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

١٣ـ سيرة عمر بن الخطاب . تحقيق طاهر النعسان الحموى وأحمد قدرى كيلانى .

المكتبة التجارية الكبرى (المطبعة المصرية) ـ القاهرة (بدون تاريخ).

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

١٤ـ صورة الأرض. دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٧٩م.

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت فى حدود عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م):

١٥ـ المســالك والممالك. مكتبة المثنى ـ بغداد ١٨٨٩م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

١٦- العبر وديوان المبتدأ والخبر . ٧ أجزاء .
مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - لبنان ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٧- المقدمة. ٣ أجزاء. تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى .
دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ت عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢ م):

١٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ٨ أجزاء .
تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الفكر ودار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ابن الداية (أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ت عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م):

١٩- المكافأة وحسن العقبى . تحقيق محمود محمد شاكر .
دارالكتب العلمية - بيروت - لبنان (بدون تاريخ).

ابن دقماق (ابرهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ت عام ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):

٢٠- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، فى تاريخ مصر وجغرافيتها، وبآخره فهارس كتاب الانتصار. الجزء الرابع والخامس.
تحقيق لجنة إحياء التراث العربى - دار الآفاق الجديدة - بيروت (بدون تاريخ).

ابن الراهب (أبو شاكر بطرس بن أبى الكرم المهذب المعروف بابن الراهب):

٢١ـ تاريخ ابن الراهب. مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٣م.

ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر بن رسته ت عام ٢٩٥هـ/٩٠٧م):

٢٢ـ الأعلاق النفيسة. المجلد السابع. طبعة ليدن ١٨٩١م.

ابن زولاق (الحسن بن زولاق ت عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)

٢٣ـ أخبار سيبويه المصرى . تحقيق محمد ابراهيم سعد وحسين الديب. مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

ابن الساعى (تاج الدين أبى طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعى ت عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م):

٢٤ـ نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء .
تحقيق الدكتور مصطفى جواد. سلسلة ذخائر العرب العدد (٢٨) ـ دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م.

ابن سعد (محمد بن سعد ت عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):

٢٥ـ الطبقات الكبرى . ٨ أجزاء ، دار صادر ـ بيروت (بدون تاريخ).

ابن سعيد (على بن موسى بن سعيد المغربى ت عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م):

٢٦ـ المغرب فى حلى المغرب. الجزء الأول القسم الخاص بمصر.
تحقيق الدكتور زكى محمد حسن ـ الدكتورة سيدة كاشف ـ الدكتور شوقى ضيف. مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م.

ابن سعيد (على بن سعيد المغربى عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٢٧ـ النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة. القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب. تحقيق الدكتور حسين نصار. دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٠م.

ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى ت عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م):

٢٨ـ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية. مطبعة محمد على صبيح وأولاده ـ ميدان الأزهر ـ القاهرة (بدون تاريخ).

ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم ت عام ٢١٤هـ/ ٨٢٩م):

٢٩ـ سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه رواية ابنه أبى عبد الله محمد (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م).
تصحيح وتعليق أحمد عبيد. مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ت عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م):

٣٠ـ فتوح مصر وأخبارها . مكتبة المثنى ـ بغداد (بدون تاريخ).

ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبرى ت عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٣١ـ تاريخ مختصر الدول. المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية ١٩٥٨ م.

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد الحنبلى ت عام ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):

٣٢ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ٨ أجزاء. مكتبة القدسى ـ القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

ابن فرحون (القاضى برهان الدين بن فرحون المالكى ت عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م):

٣٣ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب . ٢ جزء تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور. دار التراث للطبع والنشر ـ القاهرة جـ١ ١٩٧٢م، جـ٢ ١٩٧٦م .

ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى ت عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

٣٤ـ مسالك الابصار فى ممالك الأمصار. تحقيق دوروتيا كرافولسكى. المركز الاسلامى للبحوث ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه ت أو اخر القرن الثالث الهجرى/ أوائل العاشر الميلادى):

٣٥ـ مختصر كتاب البلدان . طبعة ليدن ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

٣٦ـ عيون الأخبار . ٢ مجلد. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣م.

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكرت عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م):

٣٧ـ أحكام أهل الذمة . ٢ جزء. تحقيق الدكتور صبحى الصالح .
دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير ت عام ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

٣٨ـ البداية والنهاية . ١٤ جزء . مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، من الجزء الثالث إلى الجزء الثامن الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

ابن مماتى (الأسعد بن مماتى ت عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):

٣٩ـ قوانين الدواوين. تحقيق عزيز سوريال عطية. سلسلة صفحات من تاريخ مصر العدد (١٢) ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ابن النقاش (أبو امامة محمد بن على بن النقاش ت عام ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م):

٤٠ـ المذمة فى استعمال أهل الذمة. تحقيق الدكتور سعد بن حسين عثمان. أبها ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

ابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردى ت عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

٤١ـ تاريخ ابن الوردى. الجزء الأول . الطبعة الحيدرية ـ النجف ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

أبو عبيد (القاسم بن سلام ت عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م):

٤٢- الأموال. تحقيق محمد خليل هراس. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٩٨٦م.

أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبى الفداء ت عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

٤٣- تقويم البلدان. دار الطباعة السلطانية - باريس ١٨٤٠م.

٤٤- المختصر فى أخبار البشر . ٤ أجزاء. المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٠٧م.

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ت عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٤٥- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . ١٢ جزء. وزارة الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٣م.

أبو يوسف (القاضى يعقوب بن ابراهيم ت عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م):

٤٦- الخراج. المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة - الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م والطبعة الثانية ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

الأبشيهى (شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبى الفتح ت عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م):

٤٧- المستطرف فى كل فن مستظرف . ٢ جزء. تحقيق الدكتور مفيد محمد قمحة. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الإدفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعى ت عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

٤٨ـ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. تحقيق سعد محمد حسن، مراجعة الدكتور طه الحاجرى. الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٦م.

الأصطخرى (ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعروف بالكرخى ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) :

٤٩ـ المسالك والممالك . تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال.
وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشى ت عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م):

٥٠ـ الاغانى. ٣٠ جزء. تحقيق ابراهيم الأبيارى.
دار الشعب ـ القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

البلاذرى (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى ت عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

٥١ـ فتوح البلدان. مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى):

٥٢ـ سيرة أحمد بن طولون. تحقيق محمد كرد على. مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

التميمى (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد ت عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

٥٣- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار . تحقيق مرزوق على ابراهيم . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

التنوخى (القاضى أبو المحاسن المفضل بن محمد ت عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م):

٥٤- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - المجلس العلمى رقم (١٥) - طباعة إدارة الثقافة والنشر بالجامعة - الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

جرومان (أدولف جرومان):

٥٥- أوراق البردى العربية . ٦ أسفار دار الكتب المصرية - القاهرة. السفر الأول ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، مراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن ١٩٣٤م.

السفر الثالث ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، مراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن ١٩٥٥م.

السفر الرابع ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، مراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن ١٩٦٧م.

السفر الخامس ترجمة الأستاذ عبد الحميد حسن، مراجعة الدكتور محمد مهدى علام ١٩٦٨م.

السفر السادس ترجمة ومراجعة وتعليق الدكتور عبد العزيز الدالى ١٩٧٤م.

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م):

٥٦ـ الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا ـ ابراهيم الأبيارى ـ عبد الحفيظ شلبى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

الحافظ ابن رجب (ت عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م):

٥٧ـ الاستخراج لأحكام الخراج. تحقيق جندى محمود شلاش الهيتى. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

الحميرى (محمد عبد المنعم الحميرى من أبناء القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى):

٥٨ـ الروض المعطار فى خبر الأقطار . تحقيق الدكتور إحسان عباس. مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٧٥م.

الخزرجى (الحافظ صفى الدين أحمد بن عبد الله بن أبى الخير بن عبد العليم بن عبد الله ين على بن حسن الأنصارى صنف هذا الكتاب عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م):

٥٩ـ خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال . المطبعة الخيرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ/ ١٨٩٤م.

الذهبى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت عام ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م):

٦٠ـ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعيان. تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمرى. دار الكاتب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨م.

٦١ـ تذكرة الحفاظ. ٤ أجزاء. دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٦٢ـ العبر في خبرمن غبر ٢ جزء . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. التراث العربي ـ سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر العدد (٤) ـ الكويت ١٩٦٠م.
٦٣ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار . ٢ جزء. تحقيق بشار عواد معروف ـ شعيب الأرناوءوط ـ صالح مهدى عباس. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ت عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م):
٦٤ـ مختار الصحاح. دار القلم ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسى ت عام ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م):
٦٥ـ طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. سلسلة ذخائر العرب العدد (٥٠) ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٣م.

ساويرس (ساويرس بن المقفع عاش حتى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ أواخر العاشر الميلادى).
٦٦ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة. المجلد الثانى (٣ أجزاء). مطبوعات جمعية الآثار القبطية ـ مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ـ القاهرة جـ١ ١٩٤٣م، جـ٢ ١٩٤٨م، جـ٣ ١٩٥٩م.

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):
٦٧ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . ١٢جزء. مكتبة القدسى القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

٦٨ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة. ٢ جزء تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ القاهرة الطبعة الأولى جـ١ ١٩٦٤م، جـ٢ ١٩٦٥م.

٦٩ـ تاريخ الخلفاء. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٧٠ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة . ٢ جزء. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى جـ١ ١٩٦٧م، جـ٢ ١٩٦٨م.

الشابشتى (أبو الحسن على بن محمد ت عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م):

٧١ـ الديارات. تحقيق كوركيس عواد. مطبعة المعارف ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

الشعرانى (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى الشافعى المصرى من أعيان علماء القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى):

٧٢ـ الطبقات الكبرى . ٢ جزء . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده مصر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

الشيرازى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى ت عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م).:
٧٣- القاموس المحيط . ٤ أجزاء .الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصرت عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م):
٧٤- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة. نشره الدكتور السيد الباز العرينى، واشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

الصولى (ابو بكر محمد بن يحيى ت عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م وقيل عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م):
٧٥- ادب الكتاب. تعليق محمد بهجه الأثرى ومراجعة محمود شكرى الألوسى. دار الباز للطباعة والنشر - بغداد ١٣٤١هـ/ ١٨٩٦م.

الطبرى (ابو جعفر محمد بن جرير ت عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):
٧٦- تاريخ الرسل والملوك. ١٠ أجزاء. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. سلسلة نخائر العرب العدد (٣٠) - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة (بدون تاريخ).

عبد اللطيف البغدادى (ابن يوسف بن محمد بن على موفق الدين ت عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م):
٧٧- الافادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. تحقيق أحمد غسان سبانو.
دار قتيبة - دمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الفيومى (احمد بن محمد بن على ت عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م):

٧٨ـ المصباح المنير. مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

القرمانى (ابو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى الشهير بالقرمانى):

٧٩ـ أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ. عالم الكتب ـ بيروت (بدون تاريخ).

القلقشندى (ابو العباس أحمد بن على ت عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

٨٠ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء . ١٤ جزء. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨١ ـ قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان. تحقيق إبراهيم الابيارى. دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٨٢ ـ مآثر الأنافة فى عالم الخلافة. ٣ أجزاء. تحقيق عبد الستار أحمد فراج . عالم الكتب ـ بيروت (بدون تاريخ).

٨٣ ـ نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب. تحقيق ابراهيم الأبيارى .
الشركة العربية للطباعة والنشر ـ تراثنا العربى (١) ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى ت عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م):

٨٤ ـ الولاة وكتاب القضاة. دار الكتاب الإسلامى ـ القاهرة (بدون تاريخ) عن طبعة دار الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م.

الكندى (عمر بن محمد بن يوسف الكندى المصرى ت بعد عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م):

٨٥ ـ فضائل مصر . تحقيق ابراهيم أحمد العدوى ــ على محمد عمر .
دار الفكر ـ بيروت، ومكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

الماوردى (ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ت عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):

٨٦ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية. دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان (بدون تاريخ).

المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثماتى الأزدى البصرى أبو العباس المبردت عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م وقيل عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م):

٨٧ ـ الكامل فى اللغة والأدب. ٢جزء. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥ـ ١٩٤٦م.

محمد بن طلحة (ابو سالم ت عام ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م):

٨٨ ـ العقد الفريد للملك السعيد. المطبعة الوهبية ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧م.

المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين بن على ت عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

٨٩ ـ التنبيه والاشراف. مراجعة عبد الله اسماعيل الصاوى. مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها ـ القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٩٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر. ٤ أجزاء . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

المفضل بن سلمة (أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ت عام ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م):

٩١- الملاهى وأسمائها من قبل الموسيقى. تحقيق غطاس عبد الملك خشبة. الهيئةالمصرية العا مة للكتاب - القا هرة ١٩٨٥م.

المقدسى (محمد بن أحمد المقد سى ت عام ٣٩٠ هـ/ ٩٩٩ م) :

٩٢ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها غازى طليمات.المختار من التراث العربى رقم (١٣) - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق ١٩٨٠ م.

المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ت عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

٩٣- إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات فى مصر . دار ابن الوليد - حمص (بدون تاريخ).

٩٤- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين. عالم الكتب - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦١م.

٩٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية . دارصادر - بيروت (بدون تاريخ).

مؤلف مجهول (كاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى):

٩٦ ـ الاستبصار فى عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب. نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد. دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ـ بغداد ١٩٨٦م.

النديم (أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحق المعروف بالوراق ت عام ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م):

٩٧ ـ الفهرست. تحقيق رضا ـ تجدد ابن على بن زين العابدين.
طهران ١٩٧١م.

الوطواط (محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبى ت عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨)م :

٩٨ـ مباهج الفكر ومناهج العبر، صفحات من جغرافية مصر. تحقيق الدكتور عبد العال عبد المنعم الشامى . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ قسم التراث العربى ـ السلسلة التراثية ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

٩٩ـ معجم الأدباء.٢٠ جزء دار الفكر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٠ـ معجم البلدان . ٥ أجزاء. دار صادر. بيروت (بدون تاريخ).

يحيى بن آدم (القرشى ت عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م):

١٠١- الخراج. صححه وشرحه ووضع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر المطبعةالسلفية ومكتبتها - القاهرة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، والطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب ت عام ٢٨٤هـ-٨٩٧م):

١٠٢ - البلدان. طبعة ليدن ١٨٩١م.

اليمانى (عبد الباقى بن عبد المجيد ت عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م):

١٠٣- إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين.

تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية - السعودية - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ثانيا: المراجع:

ابو صالح الألفى (الدكتور):
١ـ الفن الاسلامي. أصوله ـ فلسفته ـ مدارسه.
دار المعارف ـ القاهرة (بدون تاريخ).

أحمد أمين
٢ـ ظهر الاسلام. ٤ أجزاء . مكتبة النهضة المصريةالقاهرة (بدون تاريخ)جـ١،٣،٤ الطبعة السادسة، جـ٢ الطبعة الخامسة.
٣ـ فجر الاسلام . مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة عشر ١٩٨٧م.

أحمد تيمور باشا
٤ـ التصوير عند العرب . أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكى محمد حسن .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٢م.

أحمد جاب الله شلبى
٥ـ الحضارة الاسلامية خلال الأربعة عشر قرنا الماضية: التعليم والتربية عند المسلمين.
دراسات فى الحضارة الاسلامية بمناسبة القرن ١٥م ـ المجلد الأول ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٥م.

أحمد الشرباصى
٦ـ الائمة الأربعة. سلسلة كتاب الهلال العدد (١٦٢) ـ دار الهلال ـ القاهرة سبتمبر ١٩٦٤م.

أحمد عبد الرازق أحمد (الدكتور):
٧ـ وسائل التسلية عند المسلمين.
دراسات فى الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن ١٥م ـ المجلد الأول ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٥م.

أحمد عبد السلام ناصف (الدكتور):
٨ـ الشرطة فى مصر الإسلامية.
الزهراء للإعلام العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

أحمد صادق سعد
٩ ـ تاريخ مصر الإجتماعى ـ الإقتصادى.
دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

آدم متز
١٠ـ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. ٢ جزء.
ترجمة الأستاذ الدكتور محمد عبدالهادى أبوريدة.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

اسماعيل باشا البغدادى
١١ ـ هدية العارفين ـ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين .
٦ أجزاء. .
مكتبة المثنى ـ بغداد عن طبعة استانبول ١٩٥١م.

امينة أحمد إمام الشوربجى (الدكتورة) :
١٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م).
رسالة دكتوراة غير منشورة.
كلية البنات ـ جامعة عين شمس ١٩٩٢م.

الأب انستاس الكرملي ١٣ ـ النقود العربية والإسلامية وعلم النميات.
مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

أيدرس بل (هـ . آيدرس بل) :
١٤ ـ مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.
ترجمة الدكتور عبداللطيف أحمد علي ـ والدكتور محمد عواد حسين.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٤م.

بتلر (الدكتور ألفريد . ج . بتلر) :
١٥ ـ فتح العرب لمصر . ٢ جزء.
ترجمة محمد فريد أبوحديد.
سلسلة تاريخ المصريين العددين ٢٧ و٢٨ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٩م.

تريتون (الدكتور أ. س. تريتون) :
١٦ ـ أهل الذمة في الإسلام.
ترجمة الدكتور حسن حبشي.
دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

توفيق سلطان اليوزبكي (الدكتور):
١٧ـ التعريب في العصرين الأموي والعباسي ـ المجلة المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد الرابع والعشرون ـ القاهرة ١٩٧٧م .

جاستون فييت ١٨ ـ المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى.
ترجمة محمد وهبى.
بحث فى كتاب (فى مصر الإسلامية) مقالات منوعة لطائفة من الأساتذة ـ مطبعة المقتطف والمقطم ـ القاهرة ١٩٣٧م.

جرجى زيدان ١٩ ـ تاريخ التمدن الإسلامى . ٥ اجزاء؛
مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس.
دار الهلال ـ القاهرة ١٩٦٨م.

جون مارلو ٢٠ ـ تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢م.
ترجمة الدكتور عبدالعظيم رمضان.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٦م.

(الدكتور):

حسن إبراهيم حسن ٢١ـ تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى.
٤ أجزاء.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٣م.

٢٢ ـ المجمل فى التاريخ المصرى (حسن إبراهيم حسن وآخرون).
مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

٢٣ـ النظم الاسلامية (حسن ابراهيم حسن ـ محمد عبد الرحيم مصطفى ـ على إبراهيم حسن).
دار السعد ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٠م.

حسن محمود (الدكتور) :

٢٤ ـ العالم الإسلامى فى العصر العباسى (د. حسن محمود ـ د. أحمد إبراهيم الشريف).
دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة (بدون تاريخ).

حسن محمود الشافعى

٢٥ ـ العملة وتاريخها .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

حسينى (س. أ. ق حسينى) :

٢٦ ـ الإدارة العربية .
ترجمة الدكتور إبراهيم أحمد العدوى، ومراجعة عبدالعزيز عبدالحق.
سلسلة الألف كتاب العدد (١٨٦) ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة (بدون تاريخ).

خير الدين الزركلى

٢٧ ـ الأعلام . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.
الجزء الخامس.
مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ـ الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

درويش النخيلى (الدكتور):

٢٨ ـ السفن الاسلامية على حروف المعجم.
دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

رافت عبد الحميد (الدكتور):
٢٩ـ الدولة والكنيسة، الجزء الأول (قسطنطين) مطبعة أطلس - القاهرة ١٩٧٥م.

٣٠ ـ الدولة والكنيسة، الجزء الثانى (أثناسيوس) مطبعة سعيد رأفت - جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٨٠م.

٣١ ـ ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحى.
كتاب روزاليوسف ـ العدد الحادى عشر ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م.

زكى محمد حسن (الدكتور) :
٣٢ ـ بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية.
مجلة جمعية محبى الفن القبطى ـ المجلد الثالث ١٩٣٧م ـ مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة.

٣٣ ـ الفن الإسلامى فى مصر .
مطبوعات دار الآثار العربية ـ القاهرة ١٩٣٥م.
٣٤ ـ فنون الإسلام .
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٤٨م.
٣٥ ـ فى الفنون الإسلامية .
مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ١٩٣٨م.
٣٦ ـ كنوز الفاطميين .
دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م.

ستانلى لينبول ٣٧ ـ سيرة القاهرة .
ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن، والدكتور على إبراهيم حسن، وإدوار حليم.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٢٤م.

سعاد ماهر محمد (الدكتورة) :

٣٨ ـ البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية .
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ وزارة الثقافة ـ القاهرة ١٩٦٧م.

٣٩ ـ تطور العمائر الإسلامية الدينية بتطور وظائفها .
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثامن عشر ـ القاهرة ١٩٧١م.

٤٠ ـ الفنون الاسلامية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٦م .

٤١ ـ النسيج الإسلامى .
الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ـ مطابع دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٧م.

سعيد اسماعيل على (الدكتور) :

٤٢ ـ تاريخ التربية والتعليم فى مصر .
عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٥م.

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

٤٣ ـ العلم بين المسجد والمدرسة .
بحث فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية.
سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥١) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٢م.

٤٤ ـ الفلاح والإقطاع فى عصر الأيوبيين والمماليك .
بحث فى كتاب الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور.
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

سليم حسن (الدكتور) :
٤٥ ـ مصر القديمة. ٢ جزء.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٢م.

سليمان نسيم (الدكتور) :
٤٦ ـ الأقباط والتعليم فى مصر الحديثة .
تقديم ومراجعة الأنبا غريغوريوس، والدكتور عزيز سوريال عطية.
منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى (بدون تاريخ).

سهام مصطفى ابو زيد (الدكتورة) :
٤٧ ـ الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر المملوكى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٦م.

السيد الباز العرينى (الدكتور) :
٤٨ ـ الحسبة والمحتسبون فى مصر .
المجلة التاريخية ـ المجلد الثالث ـ العدد الثانى ـ أكتوبر ١٩٥٠م.
٤٩ ـ مصر البيزنطية .
دار النهضة المصرية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

السيد طه السيد ابو سديرة (الدكتور) :
٥٠ ـ الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى.
(٢٠ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤١ ـ ١١٧١م).
سلسلة الألف كتاب الثانى العدد (٩٥) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩١م.

السيد محمود عبد العزيز سالم (الدكتور):

٥١ـ المآذن المصرية. نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى.
مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة) :

٥٢ ـ أحمد بن طولون .
أعلام العرب العدد (٤٨) ـ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والأنباء والنشر ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥م.

٥٣ ـ الأرض والفلاح فى مصر الإسلامية .
بحث فى كتاب (الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور) ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

٥٤ ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومى.
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلدان التاسع والعاشر ـ القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢م.

٥٥ ـ تعريب مجتمع الأسكندرية .
بحث فى كتاب (مجتمع الأسكندرية عبر العصور) ـ مطبعة جامعة الأسكندرية عام ١٩٧٥م.

٥٦ ـ دراسات فى المجتمع المصرى الإسلامى قبل العصر الفاطمى. مستخرج من (دراسات آثارية إسلامية) ـ المجلد الثانى ـ القاهرة ١٩٨٠م.

٥٧ ـ دراسات فى النقود الإسلامية .
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثانى عشر ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م.

٥٨ ـ عبدالعزيز بن مروان .
أعلام العرب العدد (٧٠) ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة اكتوبر ١٩٦٧م.

٥٩ ـ العرب والبحار .
حولية كلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ العدد الرابع ـ يولية ١٩٦٤م.

٦٠ ـ مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه .
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٠م.

٦١ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة .
سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥٧) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٣م.

٦٢ ـ مصر فى عصر الاخشيديين .
سلسلة تاريخ المصريين العدد (٢٩) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٩م.

٦٣ ـ مصر فى عصر الولاة .
سلسلة تاريخ المصريين العدد (١٤) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٨م.
٦٤ ـ مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية.
دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

عبد الحفيظ محمد على
٦٥ ـ الحركة الديرية فى مصر وأثرها على بلدان البحر المتوسط فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين.
بحث فى كتاب (مصر وعالم البحر المتوسط) إعداد وتقديم الدكتور رؤوف عباس ـ دار الفكر للدراسات والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٦م.

عبد الخالق سيد ابو رابية
٦٦ ـ عمرو بن العاص .
الزهراء للإعلام العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

عبد الرحمن زكى
(الدكتور) :
٦٧ ـ الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع.
المكتبة الثقافية العدد (١٥٨) ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مكتبة مصر ـ القاهرة أول يونية ١٩٦٦م.

عبد الله خورشيد
(الدكتور) :
٦٨ ـ القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة.
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧م.

عبد المجيد عابدين (الدكتور) :

٦٩ ـ لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده.
مطبعة الشبكشي بالأزهر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

عبدالمنعم سلطان (الدكتور) :

٧٠ ـ تاريخ الشرطة فى مصر الإسلامية فى عصر الولاة، من الفتح حتى قيام الدولة الطولونية ٢٥٤هـ / ٨٦٨م.
القاهرة ١٩٨٥م (بدون مكان للطبع).

٧١ ـ المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى، دراسة تاريخية وثائقية.
دار المعارف ـ القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

عبدالمنعم ماجد (الدكتور) :

٧٢ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م والطبعة الخامسة ١٩٨٦م.

عطية القوصى (الدكتور) :

٧٣ ـ أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة.
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثانى والعشرون ـ القاهرة ١٩٧٥م.

٧٤ ـ تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية.

دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٦م.

٧٥ ـ من أخبار المدن الإسلامية المندثرة «تنيس».

قبلت للنشر فى العدد الأول من (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) مجلة كلية الآداب والتربية ـ جامعة الكويت.

عطية مصطفى مشرفة	(الدكتور) : ٧٦ ـ القضاء فى الإسلام بوجه عام وفى العهد الإسلامى فى مصر بوجه خاص إلى سنة ٣٥٨هـ. مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م
على إبراهيم حسن	(الدكتور) : ٧٧ ـ مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى. مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ يناير ١٩٥٤م.
على حسنى الخربوطلى	(الدكتور) : ٧٨ ـ البحر المتوسط بحيرة عربية. سلسلة إقرأ العدد (٢٤٧) ـ القاهرة (بدون تاريخ). ٧٩ ـ الحضارة العربية الإسلامية. مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
عمر رضا كحالة	٨٠ ـ أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام ٥ أجزاء. المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ١٩٥٩م.

فاطمة مصطفى عامر (الدكتورة) :
٨١ ـ استضافة الجيوش الإسلامية أثناء الفتوحات الإسلامية.
دار العلوم للطباعة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

كوبلاند (ج . و. كوبلاند) :
٨٢ ـ الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا.
ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة.
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٥٥م.

لجنة التاريخ القبطى
٨٣ ـ خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر .
مطبعة المقتطف والمقطم ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٢٥م.

محمد رمزى
٨٤ ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م. قسمين وفهرس.
دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
القسم الأول خاص بالبلاد المندرسة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤م.
القسم الثانى أربعة أجزاء (جـ ١ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م، جـ ٢ ١٩٥٨م، جـ ٣ ١٩٦٠م، جـ ٤ ١٩٦٣م).

محمد ضياء الدين الريس (الدكتور) :
٨٥ ـ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦١م.

محمد عبد الرحمن البكر (الدكتور) :

٨٦ ـ السلطة القضائية وشخصية القاضى فى النظام الإسلامى.
الزهراء للإعلام العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمد عبد العزيز مرزوق (الدكتور) :

٨٧ ـ الفن المصرى الإسلامى .
سلسلة إقرأ العدد (١١٤) ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٢م.

محمد عبد الله عنان

٨٨ ـ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية.
دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

٨٩ ـ مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

محمد عبد المنعم خفاجى

٩٠ ـ شعراء مصر من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الفاطمية (٢٠ ـ ٣٥٨هـ).
(محمد عبدالمنعم خفاجى ـ محمد مصطفى الماحى).
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

٩١ ـ مواكب الحرية فى مصر الإسلامية.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٧م.

محمد عزة دروزة — ٩٢ ـ عروبة مصر فى ظل العروبة الصريحة والإسلام.
الجزء الثانى.
سلسلة كتب قومية العدد (٨٩) ـ مطابع الدار القومية ـ القاهرة ١٧ يناير ١٩٦١م.

محمد قنديل البقلى — ٩٣ ـ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى.
مراجعة الدكتور عبدالرحمن زكى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٣م.

محمد كامل حسين — (الدكتور) :
٩٤ ـ الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى اخر الدولة الفاطمية.
سلسلة الألف كتاب العدد (٢٤٤) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٩م.

محمد كامل مرسى بك — (الدكتور) :
٩٥ ـ الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن.
مطبعة نورى ـ القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

محمد محمد فياض — ٩٦ ـ التقاويم .
سلسلة الألف كتاب العدد (١٦٣) ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٨م.

محمود بن محمد بن عرنوس — ٩٧ ـ تاريخ القضاء فى الإسلام .
المطبعة المصرية الأهلية الحديثة ـ القاهرة ١٩٣٤م.

مصطفى جواد — ٩٨ ـ سيدات البلاط العباسى.
دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ١٩٥٠م.

مصطفى طه بدر (الدكتور) :

٩٩ ـ مصر الإسلامية . الجزء الأول (من الفتح الإسلامى حتى زوال الدولة الاخشيدية).
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٤م.

مصطفى العبادى (الدكتور) :

١٠٠ ـ الأرض والفلاح فى مصر الرومانية.
بحث فى كتاب (الأرض والفلاح على مر العصور) ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

١٠١ ـ مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى.
مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٨٥م.

مصطفى عبد الله شيحة (الدكتور) :

١٠٢ ـ الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى (٢٠ ـ ٦٤٨هـ / ٦٤١ ـ ١٢٥٠م).
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

المعجم الوجيز

١٠٣ ـ طبعة وزارة التربية والتعليم ـ القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

مليحة رحمة الله (الدكتورة) :

١٠٤ ـ الملابس فى العراق خلال العصور العباسية.
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثالث عشر ـ القاهرة ١٩٦٧م.

المنجد في اللغة والاعلام ١٠٥ ـ دار المشرق ـ بيروت ـ الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م.

المورد ١٠٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٧م.

الموسوعة المصرية ١٠٧ ـ الموسوعة المصرية تاريخ مصر القديمة وآثارها.
المجلد الأول، الجزء الثالث تاريخ وآثار مصر الإسلامية.
مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات (بدون تاريخ).

القس منسى يوحنا ١٠٨ ـ تاريخ الكنيسة القبطية.
مكتبة المحبة ـ القاهرة ١٩٨٣م.

نقولا يوسف ١٠٩ تاريخ دمياط منذ أقدم العصور.
مطبعة التحرير ـ القاهرة ١٩٥٩م.

نيكولسون (رينولد . أ. نيكولسون) :
١١٠ ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه.
ترجمة أبوالعلا عفيفي.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

يونان لبيب رزق (الدكتور) :
١١١ ـ أوروبا في عصر الرأسمالية . (د. يونان لبيب رزق ـ د. رؤوف عباس ـ د. عبدالعظيم رمضان).
دار الثقافة العربية ـ القاهرة ١٩٨٣م.

الكشافات

* قام بعمل الكشافات هويدا عبدالعظيم رمضان.

١ ـ كشاف الأعلام

– ب –

- ش -

٢ ـ كشاف البلاد والأماكن

٣ ـ كشاف المصطلحات والمعانى

المحتويات

الباب الخامس :

الفصل الأول :

الفصل الثانى :

الفصل الثالث :

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



رقم الايداع بدار الكتب ٥٦٤٧/١٩٩٤

I.S.B.N 977-01-3999-8